نَبْـــعُ الْإِيمَـــانِ

بِخُطَبِ

مَحَبَّةِ وَحُقُوقِ الْأَوْطَانِ

تأليف
الشيخ السيد مراد سلامة

تَبْـــعُ الْإِيمَـــــانِ

بِخُطَبِ

مَحَبَّةِ وَحُقُوقِ الأَوْطَانِ

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ". [آل عمران/١٠٢] " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [النساء/١]." يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا". [الأحزاب/٧٠ – ٧١].

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ... وبعد.....

اعلم علمني الله تعالى وأباك أن محبة الأوطان واجبة على أهل الإيمان و الذي و متطلب من متطلبات الولاء و الانتماء يتأمل القران الكريم يجد أن الله تعالى سوى بين القتل و بين الخروج من الأوطان فدل ذلك على أن الوطن و محبته مركوزة في نفسية الإنسان قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء:٦٦] ؛ فقرن جل شأنه الجلاء عن الوطن بالقتل ، وهو بمفهومِه –عباد الله– يفيد أنَّ الإبقاءَ فيه عديلُ الحياةِ ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦] ؛ فجعل القتال ثأراً للجلاء .

بلادي أحبك فوق الظنون وأشدو بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كل جميل وهمت لأجلك في كل وادي

و من هام فيك أحب الجمال وإن لامه الغشم قال: بلادي

لأجل بلادي عصرت النجوم وأترعت كاسي وصغت الشوادي

وأرسلت شعري يسوق الخطى بساح الفدا يوم نادى المنادي

والذي يتأمل أحوال الأنبياء والصالحين يجدهم يكثرون من سؤال الله تعالى أن يبارك لهم في أوطانهم

* دعا إبراهيم الخليل–صلى الله عليه وسلم–لمكة { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥] فدعوة إبراهيم تركزت علي الآن والرزق وهو ما يعني الآن الاقتصاد في التوقيت المعاصر

* دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – للمدينة وقد دعا النبي صلي الله عليه وسلم للمدينة الَتْ عَائِشَةُ: عن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ). ([1])

وحب الوطن والالتصاق به والإحساس بالانتماء إليه، شعور فطري غريزي يعم الكائنات الحية ويستوي فيه الإنسان والحيوان، فكما أن الإنسان يحب وطنه ويألف العيش فيه ويحن إليه متى بعد عنه، فإن الحيوانات هي أيضا تألف أماكن عيشها ومقارها ومهما هاجرت عن أوطانها خلال بعض فصول العام، هي ما تلبث أن تعود مشتاقة إليها

قال عمر رضي الله عنه: " عَمَّر الله البُلدان بحبِّ الأوطان ".

وكان يقال: لولا حبُّ الناس الأوطان لخسرت البُلدان.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى .*** ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى *** وحنينه أبدا لأول منزل

ولقد ألقيت في الأعوام الماضية خطبا عديدة عن حب الوطن وعن حقوقه وعن أسباب نهضته وعن محاربة الفساد والمفسدين وعن الشهادة في سبيل الله والشهادة من أجل حماية

---

[1] –أخرجه البخاري (٢٩/٣)

الأوطان..... وها أنا بفضل الله تعالى جمعتها في ذلك السفر البارك الذي سميته (نبع الإيمان بخطب محبة وحقوق الأوطان)

وسيجد القارئ الكريم وهو يتنقل في ذلك الكتاب أنه في روضة غناء يجني منها ثمار الحب و الوفاء والتضحية الفداء والعمل على رقي المجتمع ونبذ الفرقة الاختلاف .....

والله اسأل انى يجعل ذلك العمل هاديا إلى الصراط المستقيم و داعيا إلى حماية ومحبة الأوطان وصل الله على نبينا و حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم عدد ما ذكر الذاكرون و عدد ما غفل عن ذكرك الغافلون .....

كان الفراغ منه يوم الأحد الموافق ١٤٤٤/٣/٢٦هـ

الموافق ٢٠٢٢/١٠/٢٣ م

كتبه الراجي عفو ربه و مغفرته

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية

قرية فرنوى/ مركز شبراخيت/ محافظة البحيرة/ جمهورية مصر العربية

hamam4111@gmail.com

abo_hamam2012@yahoo.com

الحقوق العشر للوطن في الإسلام

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١٠٢)} آل عمران. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١)} النساء. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١)} الأحزاب أما بعد... فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار حياكم الله جميعا أيها الإخوة الفضلاء طبتم وطاب سعيكم وممشاكم وتبوأتم جميعا من الجنة منزلا وأسأل الله الحليم الكريم جلا وعلا الذي جمعنا في هذا المكان الطيب المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين في جنته ودار مقامته إني ولي ذلك ومولاه أحبتي في الله.

أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام حديث في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن الحقوق العشر للوطن في الإسلام و هي حقوق استلهمتها من الآيات القران و السنة النبوية تحب على الإنسان لوطنه الذي تربى فيه و نعم بأمنه و خيره فأعيروني القلوب الأسماع

١-حق الحب:

إخوة الإسلام: أول هذه الحقوق حق الحب ومحبة الأوطان واجب على بني الإنسان جاءت بها الشرائع وأقرتها الطبائع

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦] ». واقترن في موضع آخر بالدين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

مفارقة الوطن ابتلاء:

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا إلى المدينة من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة وإلى مولده ومولد آبائه. فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ

رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مكة. ثم قال مخاطبا مكة: ما أطيبك من بلد وما أحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك. ويقول الله سبحانه وتعالى: «إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا». قال العيني: ابتلى الله سبحانه وتعالى نبيه بفراق الوطن. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ» ([٢])

٢-حق الدعاء للوطن :

إخوة الإسلام إن من حقوق الوطن على الفرد ان يدعو له بالصح وأمان واستقرار وأسوتنا في ذلك الأنبياء و المرسلون و إليكم طرفا من دعائهم لأوطانهم

فها هو خليل الرحمن يسال الله تعالى لوطنه الامن و استقرار و الرخاء اقتصادي ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦]

دعاء النبي صل الله عليه وسلم للمدينة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ

[٢] – رواه البخاري ٤ / ٨٥ و ٨٦

إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ

٣-حق الدفاع:

اعلموا عباد الله: أن الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن بالسلاح وبالكلمة والدفاع عن الوطن بالسلاح والكلمة جهاد ولا ريب فيه لمن أخلص نيته ومن قتل في ذلك فنرجو له الشهادة

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شهيد". ([٣])

قُلْتُ- البغوي : ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُرِيدَ مَالُهُ، أَوْ دَمُهُ، أَوْ أَهْلُهُ فَلَهُ دَفْعُ الْقَاصِدِ وَمُقَاتَلَتُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ بِالأَحْسَنِ فَالأَحْسَنِ، فَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ إِلا بِالْمُقَاتَلَةِ، فَقَاتَلَهُ، فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَلا شَيْءَ عَلَى الدَّافِعِ" أخرجه أحمد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ". قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ، قَالَ: " قَاتِلْهُ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ، قَالَ: " فَأَنْتَ شَهِيدٌ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: " فَهُوَ فِي النَّارِ ". ([٤])

فعلى هذا فان كل من قتل دون أرضه أو عرضه أو ماله أو دينه أو أهله فهو شهيد والوطن مال وعرض وأهل ودين ونشر الأمن في ربوعه غاية دينية شرعية

٤-حق البناء:

إخوة الإسلام: إن من حقوق الوطن على أبنائه أن يعملوا دائبين عل بنائه ورفعته والعمل على النهوض به ليرقى بين سائر الأمم والمجتمعات، أصحاب الهمة العالية هم الذين يقوون على البذل في سبيل المقصد الأعلى، ويبدلون أفكار العالم، ويغيرون مجرى الحياة بجهادهم وتضحياتهم، ومن ثَمَّ فهم القلة التي تنقذ الموقف، وهم الصفوة التي تباشر مهمة " الانتشال السريع " من وحل الوهن، ووهدة الإحباط.

زاحم بكتفيك وساعديك قوافل العظماء المجددين من السلف والخلف، ولا تؤجل فإن مرور الزمن ليس من صالحك، وإن الطغيان كلما طال أمده، كلما تأصَّلت في نفوس المتميعين معاني الاستخذاء، ولابد من مبادرة تنتشل، ما دام في الذين جرفهم التيار بقية عرق ينبض، وبذرة فطرة كامنة.

---

[٣] – «مسند أحمد» (٣/ ١٧٣ ط الرسالة): «وأخرجه عبدُ الرزاق (١٨٥٦٥) ، والحميدي (٨٣)»

[٤] – أخرجه مسلم في الصحيح ١/ ١٢٤ كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن من قصد

هذا زمان لا توسُّط عنده يبغي المغامر عالياً وجليلا

كن سابقاً فيه أو ابق بمعزلٍ ليس التوسط للنبوغ سبيلا

إن أمتك المسلمة تترقب منك جذبة " عُمَرِيَّة " توقد في قلبها مصباح الهمة في ديجور هذه الغفلة المدلهمة، وتنتظر منك صيحة " أيوبية " تغرس بذرة الأمل، في بيداء اليأس، وعلى قدر المئونة؛ تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجز. المصدر: المفكرة الدعوية.

وها هي نماذج في البناء والعمير والبذل والعطاء بتلك النماذج تتفوق الأمم وتسموا الشعوب وتتوقد العزائم.

١-داود عليه السلام: لما أعطى الله داود عليه السلام إلانة الحديد، فيم استخدمها ذلك النبي الكريم؟ لقد استخدمها في صناعة الدروع، وملابس الحرب، والعتاد العسكري؛ ليجاهد في سبيل الله عز وجل.

٢-سليمان عليه السلام: وقد أعطى الله سيلمان عليه السلام نعماً كثيرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[١٩]

٥-حق النصيحة:

معاشر الأحباب: ومن حقوق الوطن على أبنائه أن يتناصحوا فيما بينهم من أجل سلامة المجتمع والوطن من المعاصي المهلكة ومن المخالفات من المفسدة قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٦١-٦٢].

(أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النَّصِيحَة لكم والشفقة عليكم

- وقال سبحانه حكاية عن هود عليه السلام: {قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ }[الأعراف: ٦٧-٦٨].

عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدين النَّصِيحَة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))(٥) .

قال الخطابي: (فمعنى النَّصِيحَة لله سبحانه، صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنَّصِيحَة لكتاب الله، الإيمان به والعمل بما فيه، والنَّصِيحَة لرسوله، التصديق بنبوته،

---

٥ -رواه مسلم (٥٥)

وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنَّصِيحَة لأئمة المؤمنين، أن يطيعهم في الحقِّ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، والنَّصِيحَة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم) ([6]).

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)) ([7]) .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلِّ مسلم ([8])

٦–حق الوحدة والاتحاد:

إخوة الإسلام: و من حقوق الوطن على أبنائه العمل على وحدته و السعي حول الالتفاف و الاصطفاف الوطني و ذلك أمر شرعي أمرنا الله تعالى به فقال سبحانه و تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: ١٠٣]

قال القرطبي رحمه الله: "فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبـل الله فاعتصموا ⁂ منه بعروته الوثقى لمن دانا

في صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ((إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ)).([9])

وصدق الله عز وجل إذ يقول {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)} [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

---

[6] –(معالم السنن) (١٢٦/٤).

[7] – رواه مسلم (٢١٦٢).

[8] –رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

[9] – أخرجه أحمد (٣٦٧/٢، رقم ٨٧٨٥) ، ومسلم (١٣٤٠/٣، رقم ١٧١٥)

حرموا هداية دينهم وعقولهم هذا وربك غاية الخسـران

تركوا هداية ربهم، فإذا بهم غرقى من الآراء في طوفان

وتفرقوا شـيعاً بها نهجهم من أجلها صاروا إلى شنآن

قال الشاعر:

وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا حضرت أيدي الرجال بمشهد

٧-حق البذل :

إخوة الإسلام: إن من حقوق الوطن على أبنائه البذل والسخاء و خاصة عند الشداد و الكروب و في القران الكريم آيات كثيرة تدعو الأغنياء و أصحاب الثراء إلى البذل وقت أزمات و لنأخذ على ذلك مثال ففي غزوة تبوك دعا الله تعالى المجتمع المسلم الى البذل من اجل تجهيز الجيش و مواجهة العدو الغاشم الظالم

أعلن النبي -صلى الله عليه وسلم - النفير ، وحث الناس على الإنفاق في سبيل الله عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ «أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيْثُ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزْتُهُمْ قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ» ([١٠])، فاستجاب الصحابة لندائه ، وضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي كُمِّهِ أَلْفُ دِينَارٍ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَلَّى، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا» . ([١١])

وحاول عمر بن الخطاب أن يسبق أبا بكر فأتى بنصف ماله عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ "

---

[١٠] – ذكره البخاري تعليقاً ٥ / ٣٠٥

[١١] –أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٦٣، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٦، كتاب المناقب (٥٠)، باب في مناقب عثمان. . . (١٩)

قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟! " قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلى شيء أبدا ([١٢])" .

وتصدّق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بألفي درهم ، إلى جانب الصدقات العظيمة التي قدّمها أغنياء الصحابة كالعباس بن عبد المطلب ، و طلحة بن عبيد الله ، و محمد بن مسلمة ، و عاصم بن عدي ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان لفقراء المسلمين نصيبٌ في الصدقة، حيث قدّموا كل ما يملكون في سبيل الله مع قلّة ذات اليد، فمنهم من أتى بصاعٍ من تمر، ومنهم من جاءّ بنصف صاعٍ أو أقلّ.

٨-حق التضحية :

أمة الإسلام: ومن حقوق الوطن على أبنائه التضحية فالتضحية في سبيل الوطن هي التخلي عن كل شيء وتقديم الروح من أجل الحفاظ على الوطن، وهي كذلك فداء وتقديم الغالي والنفيس من أجل تحقيق الأمن والأمان والحفاظ على استقرار الوطن، فالتضحية ليست فقط كلمة تقال، بل هي فعل حقيقي يقوم بفعله كل شخص وطني محب لوطنه مهما كانت وظيفته أو مهنته أو عمله، وقد ضحى من قبل آباؤنا وأجدادنا من أجل بناء منازل لنا وتوفير احتياجاتنا وبناء الوطن ومن أجل أن نعيش نحن اليوم في أمان واستقرار.

ولاشك أن الدفاع عن الدين والنفس والأهل والمال والبلاد وأهلها، من الجهاد المشروع، ومن يقتل في ذلك وهو مسلم يعتبر شهيدًا؛ لقول النبي ﷺ: من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد[[١٣]].

إن نيل الشهادة في سبيل الله دفاعا عن الأوطان مكرمة جليلة، ومنحة كبيرة، يمن الله تعالى بها على من يشاء، يقول سبحانه: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]أي: ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها، فدرجة الشهداء كبيرة، ومنزلتهم رفيعة، فهم أحياء فرحون، عند ربهم يرزقون، قال الله جل وعلا مذكرا بعظم منازلهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] فطوبى لأبناء هذا الوطن الأبرار، الذين التحقوا بركب الشهداء الأطهار،

---

[١٢] – الحاكم ١/ ٤١٤ وصححه، وفي النسخة المطبوعة: أحمد بن محمد بن نصير. وأخرجه الترمذي (٣٦٧٥)

[١٣] –واه الترمذي في (الديات)، باب (ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد) برقم ١٤٢١.

الموعودين بأعظم الجزاء عند العزيز الغفار عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي مَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ». ([١٤])

الخطبة الثانية

٩-حق الوفاء :

ومن حقوق الوطن علينا معاشر أحباب الوفاء لذلك الوطن الذي تربينا فيه ونعمنا بأمن واستقرار أن نكون أفياء لذلك الوطن وألا ننكر الجميل ولكن كيف يكون الوفاء للوطن؟

يكون الوفاء للوطن بعدة أمور

فالطالب الذي تعلم في المدارس والجامعات لابد أن يكون وفيا لذلك الوطن الذي سخر و سهل لك التعليم فعنده تخرجه يبدا برد الجميل بخدمة ذلك الوطن و العمل على نهضته و رقية

والموظف الذي يتقاضى راتبا شهريا لابد أن يكون وفيا لوطنه فيؤدي وظيفته وألا يتخلف عن عمله

العامل الذي يعمل في مصنعه لابد أن يكون وفيا لوطنه فيتقن عمله ويجود صنعته

الجندي لابد أن يكون وفيا لوطنه فيكون عينا ساهره وأذن صاغية لحماية امن البلاد والعباد

.....

وَطَنِي سَيَبْقَى فِي القُلُوبِ لَكَ الوَلَاءْ عَهْدٌ يُجَدِّدُهُ كِرَامٌ أَوْفِيَّاءْ

وَطَنِي وَكَمْ لَكَ فِي القُلُوبِ مَكَانَةٌ تَسْمُو بِنَا وَتُثِيرُ فِينَا الكِبْرِيَاءْ

. يَا مَوْئِلَ العَرَبِ الَّذِينَ تَوَشَّحُوا كُلَّ المَفَاخِرِ مُنْذُ أَنْ بَزَغَ الضِّيَاءْ

يَا مَوْطِنَ الإِيمَانِ يَا رَمْزَ الوَفَا سَنَظَلُّ لِلوَطَنِ المُقَدَّسِ أَوْفِيَّاءْ

١٠-الطاعة:

معاشر الموحدين: ومن حقوق الوطن على أبنائه طاعة ولاة الأمر فطاعتهم صمام أمان للفرد و المجتمع و عصيانهم سبيل إلى تهديد أمن الوطن .....وما عُلم لجماعة خرجت على ولي أمرها إلا كان ما أفسدت أكثر مما صلحت وفي ثورات الربيع العربي خير دليل فنظر الى ما حل

---

[١٤] -صحيح: رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٣١)، وأحمد (٢٣٩٥١)

بكثير من تلك البلاد من دمار و انهيار و من تمزق و تشرذم و من انهيار أخلاقي تبعه انهيار اجتماعي تبعة انهيار اقتصادي تولد عن الجميع انهيار سياسي عسكري .....

قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] إذن فكل النصوص الآمرة بطاعة ولاة الأمر، مقيّدة بقيد إقامة الدين ، كما في حديث عَنْ أُمِّ الْحُصَيْنِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» " ([١٥])

وفي حديث البخاري عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ،فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ.» ([١٦])

ها ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجرٍ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيتَ إِنْ قَامَتْ عَلَينَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَنَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَنَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيسٍ فَقَالَ: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) ([١٧])

لافتا إلى أن ذلك يعني أن الله تعالى حمل الولاة وأوجب عليهم العدل بين الناس فإذا لم يقيموه أثموا، وحمل الرعية السمع والطاعة لهم، فإن قاموا بذلك أثيبوا عليه، وإلا أثموا.

---

[١٥] –أخرجه مسلم (١٢٩٨)

[١٦] – أخرجه البخاري في صحيحه من هذا الطريق، كتاب الفتن، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "سترون بعدي أمورا تنكرونها "٤/ ٣١٣" حديث "٧٠٥٥"

[١٧] – مسلم (٣/ ١٤٧٤ – ١٤٧٥ رقم ١٨٤٦)، البُخَارِيّ (٦/ ٦١٢ رقم ٣٦٠٣)، وانظر (٧٠٥٢)

القول الجلي في بيان متطلبات الولاء والانتماء الوطني

الخطبة الأولى

أما بعد : إخوة الإسلام حديثنا إليكم اليوم عن متطلبات الولاء و الانتماء الوطني فهل تعرف أخي المسلم ما يجب عليك نجاه وطنك الذي ترعرعت فيه ؟

اعرني سمعك وقلبك لنتعرف على ذلك في أوجز عبارة وارق إشارة

أولا : من متطلبات الولاء و الانتماء الوطني حب الوطن الحب:

بلادي أحبك فوق الظنون وأشدو بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كل جميل وهمت لأجلك في كل وادي

و من هام فيك أحب الجمال وإن لامه الغشم قال: بلادي

لأجل بلادي عصرت النجوم وأترعت كاسي وصغت الشوادي

وأرسلت شعري يسوق الخطى بساح الفدا يوم نادى المنادي

و اعلم علمني الله تعالى وأباك أن محبة الأوطان واجبة على أهل الإيمان و الذي و متطلب من متطلبات الولاء و الانتماء يتأمل القران الكريم يجد أن الله تعالى سوى بين القتل و بين الخروج من الأوطان فدل ذلك على أن الوطن و محبته مركوزة في نفسية الإنسان قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء:٦٦] ؛ فقرن جل شأنه الجلاء عن الوطن بالقتل ، وهو بمفهومِه –عباد الله– يفيد أنَّ الإبقاءَ فيه عديلُ الحياةِ ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦] ؛ فجعل القتال ثأراً للجلاء .

أيها المؤمنون: وإذا كان هذا الحب قائمًا في نفوس البشر كلٌّ لوطنه فكيف الأمر في هذا الوطن المبارك ؛ بلدِ التوحيد والعقيدةِ ، ومَهدِ السنة والرِّسالة ، ومهبط الوحي ومأرِز الإيمان ، وأرضِ الحرمين ، وقِبلة جميع المسلمين ؟!

أيها المؤمنون: إن الوطن المسلم القائم على الشرع المقيم لحكم الله جل وعلا قد اجتمع لأهله حبان:

* حب فطري وهو المتقدم ذكره.

* وحب شرعي وهو ذلكم الحب العظيم المبني على الصلاح والإصلاح.

ثانيا: من متطلبات الاستقرار العمل على استقراره وسؤال الله تعالى أن يحفظه من مكر الماكرين ومن كيد الكائدين

والذي يتأمل أحوال الأنبياء والصالحين يجدهم يكثرون من سؤال الله تعالى أن يبارك لهم في أوطانهم

* دعا إبراهيم الخليل–صلى الله عليه وسلم–لمكة { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥] فدعوة إبراهيم تركزت علي الآن والرزق وهو ما يعني الآن الاقتصاد في التوقيت المعاصر

* دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – للمدينة وقد دعا النبي صلي الله عليه وسلم للمدينة الَتْ عَائِشَةُ: عن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ). (١٨)

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبوا الدعاء من النبي صلوات الله عليه وسلم

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا»،. (١٩)

دعا النبي صلى الله عليه وسلم لوطنه، فالمرء الصالح يتمنى الخير لموطنه، ويبغض كل ما يسوء إلى وطنه، ويرى وطنه أنها أجمل وأفضل بقاع الأرض مهما فعلوا فيه أهلها.

✍ ثالثا: الدفاع عنه من متطلبات الانتماء والولاء:

إخوة الإسلام أحباب خير الأنام: إن من متطلبات الانتماء والولاء بذل المهج وكل غال ونفيس من أجل سلامته والحفاظ عليه وذلك أيها الأحباب من صميم الإيمان

أبطالُنَا وهُمُ أحادِيثُ الندَى ليسُوا علَى أوطانهم بشِحَاحِ

صبَرُوا علَى مُرِّ القِتالِ فأَدْرَكُوا حُلْوَ المنَى مَعْسُولةَ الأَقْدَاحِ

قال الله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

---

١٨ –أخرجه البخاري (٢٩/٣)

١٩ –(أخرجه الترمذي) ٢٢٦٨ ،

ثم اعلموا عباد الله أن الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن بالسلاح وبالكلمة والدفاع عن الوطن بالسلاح والكلمة جهاد ولا ريب فيه لمن أخلص نيته ومن قتل في ذلك فنرجو له الشهادة

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شهيد". أخرجه أحمد

قُلْتُ–البغوي : ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُرِيدَ مَالُهُ، أَوْ دَمُهُ، أَوْ أَهْلُهُ فَلَهُ دَفْعُ الْقَاصِدِ وَمُقَاتَلَتُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ بِالأَحْسَنِ فَالأَحْسَنِ، فَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ إِلا بِالْمُقَاتَلَةِ، فَقَاتَلَهُ، فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَلا شَيْءَ عَلَى الدَّافِعِ" أخرجه أحمد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ، قَالَ: قَاتِلْهُ ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ، قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: فَهُوَ فِي النَّارِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فعلى هذا فان كل من قتل دون أرضه أو عرضه أو ماله أو دينه أو أهله فهو شهيد والوطن مال وعرض وأهل ودين ونشر الأمن في ربوعه غاية دينية شرعية

فيا حُماة العرين، وأُباة العِرنين: إن الله تعالى لما أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم – أرسله للحفاظ على الكليات الخمس

١–الدين ٢–العقل ٣–العرض ٤–المال ٥–النفس

وهذه الخمس مجتمعة في أي وطن إسلامي تقام فيه شعائر الإسلام وترفع فيه راية التوحيد

الخطبة الثانية

رابعا: من متطلبات الولاء والانتماء: شخصية تنبذ الفرقة والاختلاف

أيها الأحباب: إن من متطلبات الانتماء والولاء نبذ الفرقة والاختلاف:

أن تحب الجماعة وتكره الفرقة

أن تؤلف ولا تفرق

أن تبني ولا تهدم

أن تعمر ولا تدمر

لولا التَّعاونُ بينَ النَّاسِ ما شرفتْ نفسٌ ولا ازدهرتْ أرضٌ بعمرانِ

فيا أمة الإسلام: لماذا الخلاف؛ والدين واحد، والقرآن واحد، والقبلة واحدة؟

لماذا الفرقة؛ والأصل واحد، والأمة واحدة؟

لماذا الفرقة والخلاف؛ والوطن يجمعنا، والبلاد تضمّنا، ومصلحة البلاد غايتنا؟

إلى متى الفرقة؛ ونحن ندرك ما فيها من ضرر وفساد؟

فهل يختلّ نظام المجتمع، وتنتشرُ الفوضى والاضطرابات، وتتصدعُ أركان الأمة، وتتهددُ عروشها، وتنهَدّ حضاراتها؛ إلا بتفرقِ أهلها وتنازعِهم؟

وهل تتعطل مصالحُ البلاد ومنافعُ العباد؛ إلا بالتفكك، والتعصب للآراء، واتباع الأهواء؟

وهل يتسلط الأعداء ويتمكنون من رقاب الناس؛ إلا بتضارب الآراء، وتحكيم الشهوات والأهواء، وانتشار الأحقاد والحزازات الشخصية والنزَعات الفردية؟

فإلى متى التفرق يا أمة الوحدة والألفة والإخاء؟

و هذا هو نبع الإيمان و الالتزام بأوامر الرحمن و التمسك بهدي سيد ولد عدانان صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣]

ثم نهانا سبحانه وتعالى عن التشبه بالأمم السابقة التي دب إليها داء الفرقة و الاختلاف فقال سبحانه { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥]

وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم البشرية جمعاء و أمرهم أن يلتزموا فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ أنّه قال: «من خرج من الطّاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهليّة. ومن قاتل تحت راية عِمّيّة، يغضب لعَصَبة، أو يدعو إلى عَصَبة، أو ينصر عصبة، فقتِلَ، فقِتلة جاهليّة. ومن خرج على أمّتي، يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يَفِي لذي عهد عهدَه، فليس منّي ولستُ منه» رواه مسلم. ([٢٠])

عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة؛ فإنها سبب في قوتكم وعزكم وأمنكم. وإياكم والعصبيةَ ومفارقة الجماعة، فذاك من عمل الجاهلية التي أنقذنا الله تعالى منها بالإسلام،

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ.([٢١])

إنِّي رأيتُ نملةً ... في حيرةٍ بين الجبال

لم تستطعْ حملَ الطَّعامِ ... وحدَها فوق الرِّمال

نادت على أختٍ لها ... تعينُها فالحملُ مال

لم يستطيعا حملَه ... تذكَّرا قولًا يُقَال

تعاونوا جميعكم ... فالخير يأتي بالوصال

[٢٠] – مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٢٢١)حسن لغيره،

[٢١] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٦٦)[حكم الألباني] : صحيح

نادت على إخوانِه جاءوا جميعًا بالحبال

جرُّوا معًا طعامَهم لم يعرفوا شيئًا محال

الدعاء .....

أثر الوطن والاستيطان في العبادات والقربات

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أعطى الأمان لمن شكر

سبحانه سبحانه رب عظيم قد على فوق الخلاق وقتدر

سبحانه سبحانه عنت الوجوه لجاهه واستسلمت فطر الحياة لأمره لما أمر

فأتم فيض نعيمه للمؤمنين العاملين لدينهم جنات عدن عزها نور الجلال أفاءه أمر الذي في كل أمر قد أمر

وأضاف من مدد الخلود ما غاب عن وعي المسامع والبصر

من كل فيض ناعم يسمو على كل الفكر

ويفوق كل تصور عرفته أذهان البشر

واشهد أن لا اله إلا الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه ولا سند

سبحانه سبحانه جعل الحياة مطية مطواعة للمؤمنين المحسنين لأنهم قد وحدوا الله العظيم المقتدر

ومشوا على درب الهدي لما بدى في المبتدى نور الذي أحيا الفطر

ونشهد أنه رسول الله من جاء فخرا للحياة يؤمها نحو العلا حتى علت رغم الحفر

رغم الصعاب تقدمة تمحو الظلام وتنتصر

بالعلم ترسم للحياة سبيلها من أجل إسعاد البشر

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢}

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١][

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١][

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد –صلى الله عليه وسلم– وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد أيها الإخوة الأحباب أن الشرع الحكيم لم يهمل قضية الأوطان بل خصها بتشريعات ورخص وأحكام واليوم نلقي نظرة سريعة على (أثر الوطن والاستيطان في العبادات والقربات)

فهيا لنتعرف على ذلك

المسالة الأولى الوطن والمسح على الخفين :

أيها الإخوة إن من المسائل الفقهية المتعلقة بالوطن و بالسفر مسألة المسح على الخفين فقد شرع الله على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم أن يمسح المصلي على خفيه يوم وليلة للمقيم فإذا غادر موطنه و انتقل منه فإنه يشرع له أن يمسح ثلاثة أيام لياليهن

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ المُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: «أَمَعَكَ مَاءٌ» قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ، فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ الإِدَاوَةَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ» فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا (٢٢)

عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: " كُنَّا نَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ "، وَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ جَهْوَرِيُّ الصَّوْتِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " (٢٣)»

المسألة الثانية أثر الوطن والاستيطان في الصلاة :

أولا اثر الوطن في قصر الصلاة: أخي المسلم إذا خرجت من وطنك الذي ولدت فيه مسافرا إلى بلد أخر فإنه يشرع لك قصر الصلاة الرباعية و ذلك تخفيفا عليك من أعباء السفر و مشقته قال الله تعالى

---

٢٢ – صحيح البخاري» (٧/ ١٤٤):

٢٣ – مسند أحمد» (٣٠/ ١١ ط الرسالة):

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١) ﴾ [النساء: ١٠١]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْمُسَافِرِ رَكْعَتَيْنِ، وَعَلَى الْمُقِيمِ أَرْبَعًا، وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً»([٢٤])

و قد اجمع الفقهاء على مشروعية القصر للمسافر

✍ثانيا: الجمع بين الصلاتين للمسافر:

إخوة الإسلام و من المسائل المتعلقة بالوطن و الاستيطان أنه أباح للمسافر الجمع بين الصلايتين تيسيرا عليه فالسفر مشقة و المشقة تجلب التيسير

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ، إِذَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ سَيْرٍ وَيَجْمَعُ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ»([٢٥])

وعَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الشَّفَقُ نَزَلَ فَجَمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَيَقُولُ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَفْعَلُ إِذَا أَعْجَلَهُ السَّيْرُ.»([٢٦])

✍ثالثا: و من المسائل المتعلقة بالوطن و الاستيطان: صلاة الجمعة فهي واجبة على المقيم و الإقامة شرط صحة للجمعة فلا تنعقد الجمعة بالمسافر لأنها لا تجب في حقه بل يصليها ظهرا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ كان يُؤمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فعليهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلا أَنْ تكُونَ امْرأَةً، أَوْ عَبْدًا، أوْ صَبيًّا أَوْ مَرِيضًا، أَوْ مُسَافِرًا، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْهَا بِلهْو أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَغْنَى الله عَنْهُ، والله غنِيٌّ حَمِيدٌ".([٢٧])

---

[٢٤] -«صحيح مسلم» (١/ ٤٧٩):

[٢٥] -«صحيح البخاري» (٢/ ٤٦):

[٢٦] -«المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي» (٢/ ١٦):

[٢٧] -«المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي» (٢/ ١٦):

«عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: " لَا جُمُعَةَ عَلَى مُسَافِرٍ ".»([٢٨])

قال ابن هبيرة: "واتفقوا على أن الجمعة لا تجب على صبي ولا عبد ولا مسافر ولا امرأة، إلا رواية عن أحمد في العبد خاصة" ([٢٩])

وقال ابن عبد البر: "وأما قوله: (ليس على مسافر جمعة) فإجماع لا خلاف فيه" ([٣٠])

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر مراراً، ولم ينقل عنه ولو مرة واحدة أنه صلى الجمعة.

قال ابن المنذر: "ومما يحتج به في إسقاط الجمعة عن المسافر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مرّ به في أسفاره جُمَعٌ لا محالة، فلم يبلغنا أنه جَمّع وهو مسافر، بل قد ثبت عنه أنه صلى الظهر بعرفة وكان يوم الجمعة، فدلّ ذلك من فعله على أن لا جمعة على المسافر؛ لأنه المبين عن الله عز وجل معنى ما أراد بكتابه، فسقطت الجمعة عن المسافر استدلالاً بفعل النبي صلى الله عليه وسلم" ([٣١])

رابعا: أنه لا صلاة عيدين على المسافر ترك وطنه

إخوة الإيمان: ومن المسائل المتعلقة بالوطن و الاستيطان أن صلاة العيدين غير واجبة في حق من غادر وطنه مسافرا عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «لَا جُمُعَةَ وَلَا تَشْرِيقَ إِلَّا فِي مِصْرٍ جَامِعٍ» ([٣٢])

المسألة الثالثة: أثر الوطن والاستيطان في الزكاة

فقد فرض الله تعالى لابن السبيل و هو المسافر سهما في زكاة الأموال: يقول الكبير المتعال﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)﴾ [التوبة: ٦٠]

---

[٢٨] – «السنن الكبرى للبيهقي» (٣/ ٢٦٢):

[٢٩] –(اختلاف العلماء ١/١٥٢).

[٣٠] –(الاستذكار ٢/٣٦).

[٣١] –(الأوسط ٤/٢٠).

[٣٢] –«مصنف عبد الرزاق الصنعاني» (٣/ ١٦٧):

وابن السبيل هو المسافر الذي انقطع به سفره ولا يجد ما يبلغه فيعطى من الزكاة حتى يرجع إلى وطنه وأهله

قال الإمام مالك يعطى من الزكاة ابن السبيل وإن كان غنيا في بلده إذا احتاج

وقال مجاهد: لابن السبيل حق في الزكاة وان كان غنيا إذا كان منقطعا به

الخطبة الثانية

نقل الزكاة من وطن إلى وطن أخر

ومن المسائل المتعلقة بالوطن نقل الزكاة من وطن المسلم إلى وطن أخر و للعلماء في نقل الزكاة إلى بلد أخر قولان:

القول الأول: لا يجوز نقل الزكاة عن البلد الذي وجبت فيه، و هو قول الجمهور من المالكية، والشافعية و الحنابلة.

القول الثاني: يكره نقل الزكاة عن البلد الذي وجبت فيه لغير قريب وأحوج، و هو قول الحنفية

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»(٣٣)

عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا مُصَدِّقًا ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَرَدَّهَا فِي فُقَرَائِنَا فَكُنْتُ غُلَامًا يَتِيمًا لَا مَالَ لِي ، فَأَعْطَانِي قَلُوصًا»(٣٤)

---

٣٣ -«صحيح البخاري» (٢/ ١٠٤):

٣٤ -«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥):

«قَالَ السَّلَفُ: جِيرَانُ الْمَالِ أَحَقُّ بِزَكَاتِهِ وَكَرِهُوا نَقْلَ الزَّكَاةِ إلَى بَلَدِ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ لِيَكْتَفِيَ كُلُّ نَاحِيَةٍ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الزَّكَاةِ وَلِهَذَا»([٣٥])

يظهر مما تقدم أن الأصل توزيع الزكاة في بلد جمعها لقوة أدلة القول الأول، ولما في ذلك من تحقيق التكافل الاجتماعي، ودفع الضغينة بين الفقراء والأغنياء، ولما فيه من تحقيق الاكتفاء الذاتي من كل إقليم وناحية، فلا يحتاجون إلى غيرهم مما يدفع عنهم مشقة استتباع الغير والركون إليهم. إلا أن ذلك لا يمنع من نقل الزكاة والخروج عن الأصل إذا رأى أهل الاجتهاد تقرير ذلك، قال ابن زنجويه: السنة عندنا أن الأمام يبعث على صدقات كل قوم من يأخذها من أغنيائهم ويفرقها في فقرائهم غير أن الإمام ناظر للإسلام وأهله، والمؤمنون أخوة، فإن رأى أن يصرف من صدقات قوم لغناهم عنها إلى فقراء قوم لحاجتهم إليها فعل ذلك على التحري والاجتهاد ([٣٦]).

و قد أفتى بنحو ذلك شيخ الإسلام حيث نص على جواز نقل الزكاة وما في حكمها لمصلحة شرعية([٣٧])..

✍المسألة الرابعة: أثر السفر في الصوم :

واعلم أن مفارقة الأوطان من أسباب التخفيف على المسلم حيث رخص الله تعالى له الفطر فقال جل جلاله﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَرَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ لِيُرِيَهُ النَّاسَ، فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ فِي

---

[٣٥] –«الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥/ ٣٧٠):

[٣٦] – الأموال٣/١١٩٦.

[٣٧] – الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية(١٤٨).

رَمَضَانَ "، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «قَدْ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ»([38])

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا، فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ»([39])

الدعاء .....

القول الجلي في بيان أسباب النهوض بالمنتج الوطني

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العلمين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأراضين، سبحانه سبحانه بهرت عظمته قلوب العارفين، وأظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل الرياح فأجرها ، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها ، الملائكة من خشيته مشفقون ،

---

[38] –«صحيح البخاري» (٣/ ٣٤):

[39] –«صحيح مسلم» (٢/ ٧٩٠):

والرسل من هيبته خائفون ،والجبابرة لعظمته خاضعون ،{لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ [الروم : ٢٦]

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ، لا مغيث غير الله، ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، و لا ناصر غير الله،

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعَدُّ لكل ما يُتوقعُ

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزعُ

يا من خزائن رزقه في قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ فبالافتقار إليك فقري أدفعُ

ما لي سوى قرعي لبابك حيلةٌ فلئن رُدِدْتُ فأيَّ باب أقرعُ؟

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كانَ فضلك عن فقير يُمنعُ

حاشا لجودك أن يقنِّط عاصياً الفضل أجزلُ والمواهب أوسعُ

وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى الرحمةا لمهداة والنعمة المسداة، صاحب المقام المحمود والحوض المورود الشفاعة العظمى ،سيد الأولين والأخرين على الله ولا فخر ذاك:

الشفيع مقامه المحمودُ ولوائه بيد العلا معقود

فاذا توافدت للحساب وفود قالوا تقدم بالأنام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما فيقوم بالباب العلي ويسجد

ويقول يا مولاي آن الموعد فيجاب قل يسمع إليك محمد

ونريك منا نضرة ونعيما صلوا عليه وسلموا تسليما

اللهم صل عليه وسلم على أله وأصحابه

الطيبين الأبرار الذين كانوا فيما بينهم رحماء فرضى عنه رب الأرض والسموات وعن التابعين وتابعين بإحسان إلي يوم الدين قال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢}

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١][

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١][

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد e وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

العنصر الأول تحقيق الانتماء للوطن:

اعلموا عباد الله أن محبة للأوطان والانتماء للأمة والبلدان أمر غريزي وطبيعة طبع الله النفوس عليها، وحين يولد الإنسان في أرض وينشأ فيها فيشرب ماءها ويتنفس هواءها ويحيا بين أهلها فإن فطرته تربطه بها فيحبها ويواليها، ويكفي لجرح مشاعر إنسان أن تشير بأنه لا وطن له.. وقد اقترن حب الأرض بحب النفس في القرآن الكريم.. قال الله – عز وجل – : { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اُقْتُلُوا أَنْفُسكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيل مِنْهُمْ} (٦٦ سورة النساء).. بل ارتبط في موضع آخر بالدين.. قال – تعالى – : {لَا يَنْهَاكُمْ اللَّه عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنّ اللَّه يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ }(٨ سورة الممتحنة).

ولما كان الخروج من الوطن قاسيًا على النفس فقد كان من فضائل المهاجرين أنهم ضحوا بأوطانهم هجرةً في سبيل الله.. وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح : عن عبد الله بن عدي بن حراء قال : رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واقفا على الحزورة فقال : " إنكِ لخيرُ أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجت منك ما خرجت "، قال العيني رحمه الله : " ابتلى الله نبيه بفراق الوطن ".. ولما علم النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه سيبقى مهاجرًا دعا بتحبيب المدينة إليه كما في الصحيحين وفي صحيح البخاري : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته (أي أسرع بها).. قال ابن حجر – رحمه الله – : " فيها دلالة على فضل المدينة، وعلى حب الوطن والحنين إليه ".

من مقتضيات الانتماء للوطن: محبته والافتخار به وصيانته والدفاع عنه والنصيحة له والحرص على سلامته واحترام أفراده وتقدير علمائه وطاعة ولاة أمره.

ومن مقتضيات الوطنية: القيام بالواجبات والمسئوليات كلٌ في موضعه مع الأمانة والصدق..

ومن مقتضيات حب الوطن : احترام نظمه وثقافته والمحافظة على مرافقه وموارد الاقتصاد فيه، والحرص على مكتسباته وعوامل بنائه ورخائه، والحذر من كل ما يؤدي إلى نقصه.. إن الدفاع عن الوطن واجبٌ شرعي، وإن الموت في سبيل ذلك شهامةٌ وشهادة.. وفي قصة الملأ من بني إسرائيل : { قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا (٢٤٦ سورة البقرة).

✍العنصر الثاني الأمانة:

و من وسائل النهوض بالمنتج الوطني أن يتصف العامل و الصانع بالأمانة التي هي من اهم الصفات التي تسوق للسلع و المنتجات ولا شك أن الأمانة خلق أوجبه الإسلام، واعتز بها العرب قبله، فإذا أرادوا أن يمتدحوا إنساناً وصفوه بالأمانة ، وقد أكد القرآن الكريم في كثير من أياته على هذا الخلق ، وكذلك فعلت السنة المشرفة فقال تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) – المؤمنون ٨ – وقال تعالى (إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها) – سورة النساء : ٥٨ – والواقع أن أمور الناس لا تستقيم إلا بالأمانة ، ومنها أن يخلص في عبادته ، وأن يحسن الانتفاع بوقته ، وأن يحسن العامل ، والصانع ، والتاجر عمله ، و ان يجتهد فيه ، ومن الأمانة أن يحسن الموظف عمله ، وأن يؤدي ما عليه من مسؤولية وتبعة تجاه المواطنين والدولة والأمة جميعاً.

وعليه فإذا اجمعت القوة والأمانة في شخص معين كان ذلك أحرى بالقيام بعمله على الوجه الأكمل وهو الأجدر بالعمل من غيره ، وان كان اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل كما يقول ابن تيمية رحمة الله .

ويظهر مما سبق (أن خير الأجراء من تمتع بقوة الجسم واتصف بالأمانة ، فإن قوة الجسم هي المعينة على أداء العمل وإنجازه ، وأن الأمانة هي الحافز الذي يدفع العامل إلى إحسان العمل وإتقانه وإجادته ، وهي الخلق الذي يحول بينه وبين الغش والإهمال " يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين " ولا يطمح أصحاب العمل و لايريدون من العامل اكثر من ذلك) هذا ويمكن أن نلخص واجبات العامل في النقاط التالية :

أن يعرف العامل ما هو المطلوب منه وما هي واجباته ومنطلقات عمله وأن يكون العقد بين العامل وصاحبه واضحاً لا لبس فيه .

أن يشعر بالمسؤولية تجاه العمل الذي كلف او تعاقد عليه وارتبط به .

أن يؤديه على أحسن الوجوه أيا كان نوع العمل سواء كان موظفاً أو صانعاً أو مزارعا أو مهندساً أو طبيباً أو معلماً ونحو ذلك .

أن يؤدي ذلك بأمانة وإخلاص دون غش أو إهمال أو تقصير لقوله صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه " وهذا يعني بداهة أن الله يمقت التقصير والإهمال في العمل قال صلى الله عليه وسلم (من غش فليس منا) .

عدم الخيانة في العمل بكل صورها وأشكالها.

فتضييع الأوقات خيانة ، والغش خيانة ، وأخذ الرشوة خيانة ، وتعطيل أعمال الناس خيانه ، فكل من تقلد عملاً . مهما كان نوعه ولم يؤده وفق ما طلبه منه الشرع الحنيف فهو خائن لأمانته والله تعالى يقول(يأيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)– الأنفال :اية ٢٧–.

الواقع التطبيقي لهذه الصفة

كانت أوروبا وآسيا وأفريقيا تستورد كميات كبيرة من بضائع البلاد الإسلامية، بما في ذلك الأواني الزجاجية المزخرفة والجلود الملونة من مختلف الأنواع والقرميد والبلاط والخزف والفخار والورق والسجاد والمنتجات العاجية المحفورة والمخطوطات المزودة بالصور والرسوم والشروح والمنتجات المعدنية بما فيها السيوف الدمشقية والمزهريات والأقمشة القطنية الناعمة والمنسوجات الحريرية الثمينة والصوفية والكتانية. والحنطة والأرز والسكر والزجاج والزيوت والعطور والزعفران وشراب العنب والمرايا والجواهر والخرز وسنانير صيد الحوت.

وقد كانت المنسوجات والقطع المعدنية والزجاجية الإسلامية والصابون ذات قيمة عالية، وكان اقتناء الزجاج المملوكي المُذّهب المزخرف يدل على مكانة اجتماعية خاصة وقد وجد علماء الأثار زجاجاً مملوكياً على شواطئ البحر الأسود ومن هناك وصل إلى كييف في أوكرانيا حالياً وإلى روسيا البيضاء وليتوانيا وحتى قلب موسكو ووجدوا بقايا هذا الزجاج أيضا في البلاد الإسكندنافية وموانئ هانز وفي هولندا.

كانت القوافل الإسلامية عبارة عن مواكب ضخمة من الناس يقطعون بسلعهم وحيواناتهم مسافات هائلة وصلت أقصى الآفاق. وكان هدفها إما الحج وإمّا التجارة. وصل هؤلاء التجار حتّى الصين في أقصى الأرض وبلغتها قوافلهم التي انطلقت من الهند وبلاد فارس ومصر.

إن أكبر قطر إسلامي "إندونيسيا" يساوي سكانه العالم العربي كله، تمّ إسلامه عن طريق التجار، فالتاجر عندما يكون صادقاً، و أميناً، ويقدم السلعة الجيدة بالسعر المناسب هذا إنسان داعية، هذه دعوة، الصدق دعوة، والأمانة دعوة، والإتقان دعوة، وعدم الكذب دعوة، وكشف العيب دعوة، والتساهل دعوة، فيمكن أن تكون داعية وأنت صامت.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».([٤٠])

العنصر الثالث الإتقان

ومما يروج للسلع والمنتج الوطني الجودة والإتقان فمتى كانت السلع متقنة ذات جودة عالية فان العالم يقبل عليها ويتنافس على اقتنائها

و لقد دعت الشريعة الغراء إلى إجادة الأعمال و المصنوعات في كثير من الأدلة

و الإتقان أيها الآباء صفة من صفات رب الأرض و السماء فهو الذي أتقن كل شيء خلقة و احسن كل شيء ابدعه قال الله– تعالى – { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ }(النمل: من الآية٨٨) فأحسنه وجوده وأتقنه،

و الذي يتأمل إتقان الله تعالى لمخلوقاته و كيف انه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى لهتف لا اله الا الله

قصة:

يحكى أن رجلا وابنه كانا تحت نخلة في بستان فاراد الولد أن يجادل أباه فقال له: يا أبت انظر إلى هذه النبتة الصغيرة ’نبتة البطيخ ’تثمر ثمرة كبيرة جدا بينما هذه النخلة على طولها ثمرتها صغيرة...ولا نسبة بينها وبين البطيخة...وكان المفروض أو المعقول أن تكون ثمرة النخلة في عظم البطيخة ’لتتناسب مع حجم الشجرة ’بينما تكون ثمرة نبات البطيخ في حجم التمرة...فقال له: يا بني ’لعل لله حكمة لا نعرفها.

ثم استلقى الفتى على ظهره ليستريح ’واستلقى أبوه إلى جواره...وما إن غفت عين الفتى قليلا حتى سقطت من أعلى النخلة تمرة فأصابت وجهه وآلمته وصاح من أثر ذلك...فقال له أبوه: ماذا بك؟ فقال تمرة من فوق النخلة أصابتني فقال الوالد :يا بني ’احمد الله أنها لم تكن بطيخة.

---

[٤٠] –

اعلموا أمة الإسلام أن الله تعالى حثكم على الإتقان فقال –عز وجل–: { وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(البقرة: من الآية١٩٥). هذا الإحسان، هو الإتقان والإحكام، وهذه القضية وهي تجويد شيء وإحسانه وإتقانه من المطالب الشرعية العظيمة في ديننا،

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ» .

وإذا عمل أي عمل من الأعمال أتقن ذلك العمل، ولا من أجل أن يأخذ الجزاء من الناس، ليس من أجل أن يترقى، ولكن ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى

أي عمل، لأن النكرة عملاً في هذا السياق سياق الشرط تفيد العموم، ولذلك فإن الله –سبحانه وتعالى– يحب من سلوك المؤمن الإتقان،

✍ الواقع التطبيقي لهذه الصفة:

و لقد ضرب الله تعالى مثالا فريدا في الإنشاء و التعمير ألا و هو إتقان ذي القرنين–في بنائه السد {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً*قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً} ما أخذ منهم قرشاً {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} (الكهف:٩٤–٩٥) .

فقد استخدم ذو القرنين اعلى مواصفا التقنية في البناء و الإحكام لذلك السد يقول العلامة ابن كثير – رحمه الله –: وأما السد فقد بناه ذو القرنين من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم. فلو قيل ما هو أنفع بنيان في العالم، فهو سد القرنين، لأنه لو لم يكن موجوداً لخرجوا على الناس وأفسدوا الدنيا، فلا الأهرامات، ولا تمثال الحرية، ولا برج إيفل، ولا البرجين التوأم، ولا الفنادق الشامخات، أكثر بنيان فيه فائدة للبشرية، ما هو سد العالي ولا السد الواطي، هو سد ذي القرنين.

✍ الإتقان في حياة نبي الله سليمان عليه السلام

و تأملوا إلى قمة التقدم و الإتقان الذي شيد به سليمان عليه السلام ذلك القصر { قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ (هذا القصر كله أرضه وسقفه وجدرانه) مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (النمل:٤٤)

قال ابن كثير رحمه الله : وذلك أن سليمان، عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيما من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج

يحول بين الماشي وبينه.(هذا من باب الإقحام في الدعوة، والإبهار للكفار حتى يستسلموا ويدخلوا في دين الواحد القهار) فلما شاهدت ما شاهدت علمت أن هذا نبي، تابت ورجعت إلى الله قائلة { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ } .

✍ العنصر الرابع: علو الهمة في النهوض بالمنتج الوطني

وعالي الهمة هو من يسعى إلى نيل المعالي و يطمح إلى أن ترقى امته و يسعى لتحقيق وسائل التقدم و الرخاء للامة الإسلامية و لبني وطنه

ورُوي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: "لا تصغُرنّ همّتُكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرُمات من صغر الهِمَم".

وذمّ الله المهازيلَ الهابطين إلى الأهواء، (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

عباد الله:

إن دينًا هذا شأنُه لا يقبلُ من أتباعه الكسلَ والخُمولَ والعجزَ والسكونَ والاستِرخاءَ، وضعفَ الهمّة والفتور، (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) [الشرح: ٧، ٨].

إذا كان المرءُ ينامُ حتى يملّ الفراشُ جنبَه، ويبسُطُ ألوانَ الطعام كلما اشتهَى، ويصرِفُ الأوقات الطويلة للتسوُّق والمُسامَرة، ولا يرعوي عن صرفِ جُلّ يومِه وغالبِ ساعاته في تصفُّح الأجهزة الإلكترونية، أو مُتابعة المُلهيات، ويركُضُ وراءَ الدنيا ركضَ الوحوش في البَرّيّة، فمتى يُنتِجُ؟ أو يصلُح لردِّ عدوانٍ أو نهوضٍ بأمّةٍ؟

إن معالِيَ الأمور والطُموحات الكُبرى لا تأتي إلا بالكدِّ والتعَب.

والناظرُ في حال الأُمم يجِدُ أنه ما من أمةٍ ترقّت في مراتبِ المجدِ وسطّرَت اسمَها على صفحات التاريخ إلا كان وراءَ ذلك عملٌ كبيرٌ وتضحِياتٌ جِسامٌ، وبذلٌ للجُهد في كل الميادين.

إن الأُمم لا تكونُ كذلك بغير تحمُّل أبنائِها لمسؤولياتِهم، واستِعداد الشباب والناشِئة للبَذل والتضحِيةِ والعطاء، مما يجعلُنا نتبيّنُ خطورةَ إهمالِ الناشِئة، وعدم تربيتهم على الجِدِّ واستِشعار المسؤولية.

قال الغزاليُّ – رحمه الله –: "والصبيُّ أمانةٌ عند والدَيْه، وقلبُه الطاهرُ جوهرةٌ نفيسةٌ؛ فإن عُوِّدَ الخيرَ وعُلِّمَه نشأَ عليه، وسعِدَ في الدنيا والآخرة، وإن عُوِّد الشرّ وأُهمِلَ إهمالَ البهائِم شقِيَ وهلَك. وصيانتُه بأن يُؤدِّبَه ويُهذِّبَه ويُعلِّمَه محاسِنَ الأخلاق".

وإذا نظرنا إلى أحوال السابقين من أمّتنا نجِدُ أنهم أعطَوا هذا الأمرَ ما يستحقُّه من العناية؛ بحيث نشأَ أبناؤُهم نشأةً سويّةً، تحمّلُوا المشاقّ والصِّعابَ دون كلَلٍ أو ملَلٍ، وبذَلوا لهذا الدين ولرِفعة الأمة دون مَنٍّ.

عباد الله

إن الأمةَ لا تُصابُ من الخارج إلا بعد أن تُصابَ من الداخل، وليس لنا أن نُسيءَ وننتظر من الله الإحسان، (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: ٨٣]، (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [الأنبياء: ١٠٥].

إن الإنسانَ الصالحَ لعمارة الأرض ووراثتِها ليس هو الذكيّ فحسب؛ بل أن يكون ذا قلبٍ سليمٍ، وضميرٍ حيٍّ، وتقوَى تكبحُ جماحَ الهوى والنّزَوات، يُغذِّي ذلك نورُ التوحيد والعبادات، والعالَمُ كلُّه بحاجةٍ إلى هذه القيادة الروحيّة الفاضِلة.

أيها المسلمون:

بأيديكم أصحُّ تراثٍ سماويٍّ، وفي أيمانِكم ريُّ العالَم، وإن الأمةَ الإسلاميّةَ مُزوّدةٌ بدينٍ عصِيٍّ على الفناء له قدرةٌ على تحريك الروح الهامِدة، وتجديد الأسمان البالِية، وهي ما زالَت تستشفِي من سقامِها، وتُحاولُ أن تستعيدَ قُواها، وتستأنِف أداء رسالتِها الأولى، ولعلّها بتأييد الله بالغةً ما تحبُّ.

وإن أمّتَنا الكبيرة تنتشِرُ فوقَ بِساطٍ من الأرض التقَت فوقَه مقاليدُ الدنيا، ومفاتيحُ العِمران، وفي قبضَةِ يدها رخاءُ العالَم وشرفُه، ولو أحسنَت استِغلالَ ما تملِك فإن سائرَ الأُمم تحتاجُ إليها، ولا تحتاجُ هي إلى أحدٍ، (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: ٩٠].

ألا فتيمّموا شطرَ الفلاح، وتسربَلوا بطُهر الصلاح، وخُذوا من مِشكاة (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: ٩]، ثم أتبِعوا سببًا، واستردُّوا كرامتَكم، وقولوا: لا للشهوات والنّزَوات، والرّغَبات والرّهَبات، لا للنّعَرات والخِلافات.

شُدُّوا عزائِمَكم، واجتازُوا المسالِك، وتخطَّوا المهالِك، وإن السُّمُوقَ إلى القِمَم والذُّرَى لا يكونُ بوثبةٍ واحدةٍ؛ بل لا بُدّ من تدرُّجٍ على سُنن الله في الحياة.

إن عالِيَ الهِمّة يحمِلُ همّ أمتِ ويجودُ بالنفسِ والنّفيسِ في سبيل تحصيلِ غايتِها، وتحقيق رِفعَتها، ويعلم أن المكارِمَ منوطةٌ بالمكارِه، وأن المصالِحَ والخيرات واللّذّات والكمالات لا تُنالُ إلا بحظٍّ من المشقّة، ولا يُعبَرُ إليها إلا على جسرٍ من التّعَب، ومن أراد العلوّ لأمته لم يلتفِت إلى لومِ لائِمٍ، ولا عذل عاذِل، ومضَى يكدَحُ ساعِيًا، (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) [الإسراء: ١٩].

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من خافَ أدلَجَ، ومن أدلَجَ بلغَ المنزِلَ، ألا إن سِلعةَ الله غالية، ألا إن سِلعةَ الله الجنة».

كبيرُ الهمّة لا ينقُضُ عزمَه، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) [آل عمران: ١٥٩].

إن طريقَ النجاح ليس مفروشًا بالورود والرّياحين، ويحتاجُ إلى تعبٍ وإلى بذلٍ لإدراكِه، وإذا ذاقَ الإنسانُ طعمَ النجاح هانَت عليه كلُّ لحظةِ تعبٍ أمضاهَا في طريقِه، حتى يكون ذلك التعبُ أشهَى من النفس، وألذّ من طعم الدّعَة والسُّكون. وهذه سُنّةُ الله في الحياة، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: ٦٩].

وتربيةُ الأمة على ذلك مسؤوليةُ الأولياء والمُربّين، ووسائلِ الإعلام والمسؤولين، أما التخديرُ وزرعُ الوهْنِ بالمُلهيات فلا يُنتِجُ إلا أمّةً داجِنةً، لا تبنِي في الرّخاءِ، ولا تصمُدُ في البلاء. (الهمّة العالية من أسباب النهوض بالأمة فضيلة الشيخ /صالح آل طالب)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

الواقع التطبيقي لهذه الصفة :

قال شوقي:

وما نـيـل المطالب بالتمني *** ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

وما استعصى على قوم منالٌ *** إذ الإقدام كان لهم ركاباً

هذا نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله صنع منبر المسجد الأقصى، وذلك قبل تحرير القدس بعشرين عاماً، حيث كان له مطلب سام، وهمة عالية تمثلت في تحرير المسجد الأقصى من قبضة النصارى، برغم أن الأمة الإسلامية كانت مفككة آنذاك والخلافات شديدة بين قيادات المسلمين .. هيأ القوة اللازمة للتحرير.. وبنى مصانع للسلاح .. ووحد أقطار المسلمين من شمال أفريقيا إلى مصر واليمن وبلاد الشام وشمال العراق .. وجعل الناس يعيشون مرحلة التحرير وكأنها أمامهم .. وما بناء المنبر إلا نوعاً من هذه التهيئة .... وعندما توفي نور الدين جاء تلميذه من بعده صلاح الدين الأيوبي فأتم التحرير.. ووضع منبر نور الدين في مكانه في المسجد الأقصى

✍ نحن بحاجة إلى النجاح و الإنتاج حاجتنا إلى الهواء

وذلك الشاب الصيني الذي ذهب لرجل كبير في السن سائلا إياه مفتاح النجاح فأحضر الرجل العجوز إناء به ماء فاستغرب الشاب وقال له العجوز أنظر إلى الإناء ماذا ترى؟

فنظر الشاب إلى الإناء وإذا بالعجوز يمسك برأس الشاب ويغمره في الماء فحاول الشاب المقاومة فأقبض الرجل العجوز بقوه أكبر ولكن الشاب قاوم بشده واخرج رأسه من الماء

فأستغرب الشاب من تصرف هذا العجوز فقال له العجوز هل رأيت مدى حاجتك للهواء فقال الشاب: نعم

قال العجوز: هكذا النجاح لا بد أن تطلبه كطلبك للهواء.

✍ قصة المنتج الياباني:

الطالب أوساهير أحدث نقله لليابان وغيّر موازين القوة الاقتصادية بالعالم.

* يقول " أوساهير" الذي بعثته حكومته للدراسة في ألمانيا:

– لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت لأدرس عليه في جامعة هامبورج لما وصلت إلى شيء، كانت حكومتي راسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية كنت أحلم بأن تعلم كيف أصنع محرك صغير كنت أعرف أن لكل صناعة وحدة أساسية، أو ما يسمى موديل هو أساس الصناعة كلها، فإذا عرفت كيف تصنع وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها..

– وبدلاً من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل أو مركز تدريب عملي أخذوا يعطونني كتبا لأقرأها وقرأت حتى عرفت نظرية الميكانيكا كلها ولكنني ظللت أمام المحرك –أيا كانت قوته–وكأنني أقف أمام لغز لا يحل..

– وفي ذات يوم، قرأت عن معرض محركات ايطالية الصنع ، كان ذلك أول الشهر وكان معي راتبي ، وجدت في المعرض محركاً قوة حصانين ، ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب ودفعته ، وحملت المحرك ، وكان ثقيلاً جداً ، وذهبت إلى حجرتي ، ووضعته على المنضدة وجعلت أنظر إليه ، كأنني أنظر إلى تاج من الجوهر ـ وقلت لنفسي:

هذا هو سر قوة أوروبا، لو استطعت أن أصنع محركاً كهذا لغيرت تاريخ اليابان ، وطاف بذهني خاطراً يقول: أن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى ، مغناطيس كحذوة الحصان، وأسلاك ، واذرع دافعه وعجلات ، وتروس وما إلى ذلك لو أنني استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها ، ثم شغلته فاشتغل ، أكون قد خطوة خطوة نحو سر"موديل " الصناعة الأوروبية ..

– وبحثت في رفوف الكتب التي عندي ، حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات وأخذت ورقاً كثيراً، واتيت بصندوق أدوات العمل ، ومضيت أعمل ، رسمت المحرك ، بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمل أجزاءه ، ثم جعلت أفككه قطعة قطعة ، وكلما فككت قطعة ، رسمتها على الورقة بغاية الدقة وأعطيتها رقما وشيئا فشيئاً فككته كله ثم أعدت تركيبه ، وشغلته فأشتغل ، كاد قلبي يقف من الفرح ، استغرقت العملية ثلاثة أيام ، كنت آكل في اليوم وجبه واحده ، ولا أصيب من النوم إلا ما يمكنني من مواصلة العمل..

– وحملت النبأ إلى رئيس بعثتنا ، فقال: حسناً ما فعلت ، الآن لا بد أن اختبرك ، سآتيك بمحرك متعطل ، وعليك أن تفككه وتكشف موضع الخطأ وتصححه ، وتجعل هذا المحرك العاطل يعمل ، وكلفتني هذه العملية عشرة أيام ، عرفت أثناءها مواضع الخلل ، فقد كانت ثلاث من قطع المحرك بالية متآكلة ، صنعت غيرها بيدي ، صنعتها بالمطرقة والمبرد.

– بعد ذلك قال رئيس البعثة: عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك ، ثم تركبها محركاً ولكي أستطع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد، وصهر النحاس والألمنيوم بدلاً من أن أعد رسالة الدكتوراه كما أراد مني أساتذتي الألماني ، تحولت إلى عامل ألبس بدلة زرقاء واقف صاغراً إلى

جانب عامل صهر المعادن كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم حتى كنت اخدمه وقت الأكل مع إنني من أسرة ساموراي ولكنني كنت أخدم اليابان وفي سبيل اليابان يهون كل شي..

– قضيت في هذه الدراسات والتدريب ثماني سنوات كنت أعمل خلالها مابين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم وبعد انتهاء يوم العمل كنت آخذ نوبة حراسة وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

– وعلم الميكادو الحاكم الياباني بأمري ، فأرسل لي من ماله الخاص خمسة الآلف جنيه انجليزي ذهب اشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة وأدوات وآلات وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت نقودي قد فرغت فوضعت راتبي وكل ما ادخرته..

– وعندما وصلت إلى " نجا زاكي" قيل إن الميكادو يريد أن يراني قلت: لن استحق مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملاً ، استغرق ذلك تسع سنوات ..

– وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي عشرة محركات، "صنع اليابان" قطعة قطعة، حملناها إلى القصر ودخل ميكادو وانحنينا نحييه وابتسم وقال هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي صوت محركات يابانية خالصة هكذا ملكنا "الموديل" وهو سر قوة الغرب: نقلناها إلى اليابان ، نقلنا قوة أوروبا إلى اليابان ، ونقلنا اليابان إلى الغرب.

الدعاء .....

سمات وسلوك الشخصية الوطنية في ضوء الشرع الحنيف

الخطبة الأولى

أما بعد:

إخوة الإيمان أتباع النبي العدنان–صلى الله عليه وسلم–حديثنا اليوم في غاية الأهمية حيث سنتكلم عن {سمات وسلوك الشخصية الوطنية في ضوء الشرع الحنيف} فما هي تلك السمات التي تتصف بها الشخصية الوطنية التي تستمد سماتها من شرع ربها ومن سنة نبيها صلى الله عليه وسلم–؟

أعيروني القلوب و الأسماع:

السمة الأولى شخصية عالمة: أول سمة من سمات تلك الشخصية أنها صفة عالمة تعلم من ينفعها و من ينفع البلاد و العباد فالعلم هو أساس الشخصية المؤمنة و العلم هو أساس تقدم الأمم و الشعوب و الجهل هو أساس تخلف و تقهقر الشعوب لذا رفع الله تعالى من شان العلم و أهله لهذا لم يسوِ الله عز وجل بين أهل العلم والجاهلين بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٧.] .

ونصح أحد العلماء المسلمين بعدم مشاورة سبعة من الناس قائلاً: (سبعة لا ينبغي لذي عقل أن يشاورهم: جاهل، وعدو، وحسود، ومرَّاء، وجبان، وذو هوى، فالجاهل يُضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف على رضا الناس، والجبان من دأبه الهرب، والبخيل حريص على المال، فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه لا يقدر على مخالفته) ([٤١]) .

فالجهل مصيبة المصائب، وآفة الآفات في المجتمعات، فإذا حلَّ الجهل في أمة من الأمم، لا يكون مصيرها إلاَّ الهلاك والبوار، لأنها لا تستطيع على شيء، وعندما لا تستطيع على شيء، فإنها ستكون عرضة دائماً وأبداً لبغي الأعداء..

وضرر الجاهل أشد وأنكى على المجتمع من غيره، وقد قيل: (عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الجاهل)، لماذا؟ لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته، فمضرته لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات الحد، والمحدود أقل ضرراً ما هو غير محدود ([٤٢]).

يصف شكيب أرسلان أحوال المسلمين بقوله: إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام في المشارق والمغارب.

---

[٤١] – روائع إسلامية: ج٢ ص٤٦.

[٤٢] – انظر: أدب الدنيا والدين ص ١٦٨

.ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل، الذى يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل، يجادل في قضية مسلم بها، وأيضا العلم الناقص الذى هو أشد خطرا من الجهل البسيط، فصاحب العلم الناقص لا يدرى ولا يقتنع بأنه لا يدري، وابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم. ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم، فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغى كل شيء قديم، دون النظر فيما هو ضار ونافع، كذلك آفة الإسلام هى الفئة الجامدة التى لا تريد أن تغير شيئا، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظنا منهم بأن الاقتداء بالغربيين كفر. نعم.. أضاع الإسلام جاحد وجامد.

✍ السمة الثانية: شخصية تعمل بذلك العلم والعمل على تطبيقه على أرض الواقع:

فالأمة الإسلامية و الوطن به من العلماء و العباقرة الذين باستطاعتهم أن يجعلوا الأمة شامة بين سائر الأمم و لكننا لا نستفيد من علمهم و لا نطبق ذلك العلم على أرض الواقع و الله تعالى قرن بين الإيمان و العمل الصالح في غير ما آية من كتابه ففي سورة العصر يقول الله تعالى وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)(سورة العصر)

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله –رسول الله صلى الله عليه وسلم– : ((إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتْ الْمَاءَ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ؛ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ))([٤٣])

هذا الصحابي الجليل ابن مسعود –رضي الله عنه–يقول: " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن". وعلي –رضي الله عنه– يقول: "يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل".

✍ السمة الثالثة: شخصية محبة للأوطان:

[٤٣] – أخرجه : البخاري ٣٠/١ (٧٩) ، ومسلم ٦٣/٧ (٢٢٨٢) (١٥)

و من سمات الشخصية الوطنية المؤمنة أنها محبة لوطنها تحن إليه تترجم تلك المحبة إلى حقيقة على أرض الواقع و قد عبر النبي عن محبته إلى وطنه التي تربى فيه و ترعرع في شعابه كما في حديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ»(٤٤)

وروى ابن الجوزي بسنده عن أبي بكر الهذلي، عن رجال من قومِه: أن أصيلًا الهُذَلي قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فقال: ((يا أصيل، كيف تركت مكة؟))، قال: يا رسول الله، تركتُها وقد ابيضَّت بطحاؤها، واخضرت مسلاتها، يعني: شعابها، وأمشر سلمها، والإمشار: ثمرٌ له حمرة، وأعذق إذخرها، والإعذاق: اجتماع أصوله، وأحجن ثمامها، والإحجان: تعقفه، فقال: ((يا أصيل، دع القلوب تقر، لا تشوقهم إلى مكة)).

وحب الوطن فطرة يُفطَر عليه الإنسان، وخلة يجبل عليها ويُعجَن بها، وطبيعة تولد معه وتوجد في البدن ولا تخرج إلا إن أدرج في الكفن، يقول ابن الجوزي: وفطرة الرجل معجونة بحب الوطن، ثم إن الإبل تحن إلى أوطانها، والطير إلى أوكارها، وما أروع قول ابن الرومي:

وحبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ مآربُ قضَّاها الشبابُ هُنالِكا

إذا ذكَرُوا أوطانَهم ذكَّرتْهمُ عهودُ الصبا فيها فحنُّوا لذالكا

وعن علي كرم الله وجهه: عمرت الدنيا بحب الأوطان.

وعن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: ما عالجتُ شيئًا أشد من منازعة النفس للوطن.

وقال عبد الملك بن قُرَيْبٍ الأصمعي: سمعتُ أعرابيًّا يقول: إذا أردتَ أن تعرف الرجل فانظر كيف تَحبُّبُه إلى أوطانه، وتشوُّقُه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

السمة الرابعة: من سمات الشخصية الوطنية المؤمنة الدفاع عنه والذود عن أهله:

ثم اعلموا عباد الله أن الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن بالسلاح وبالكلمة والدفاع عن الوطن بالسلاح والكلمة جهاد ولا ريب فيه لمن أخلص نيته ومن قتل في ذلك فنرجو له الشهادة

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شهيد". (٤٥)

---

٤٤ – أخرجه الترمذي (٥/٧٢٣ ، رقم ٣٩٢٦)و قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح

٤٥ – أحمد (١/١٩٠ ، رقم ١٦٥٢) ، وعبد بن حميد (ص ٦٦ ، رقم ١٠٦)

قُلْتُ– البغوي : ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُرِيدَ مَالُهُ، أَوْ دَمُهُ، أَوْ أَهْلُهُ فَلَهُ دَفْعُ الْقَاصِدِ وَمُقَاتَلَتُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ بِالأَحْسَنِ فَالأَحْسَنِ، فَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ إِلا بِالْمُقَاتَلَةِ، فَقَاتَلَهُ، فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَلا شَيْءَ عَلَى الدَّافِعِ" ([٤٦])

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ". قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ، قَالَ: " قَاتِلْهُ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ، قَالَ: " فَأَنْتَ شَهِيدٌ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: " فَهُوَ فِي النَّارِ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ([٤٧])

فعلى هذا فان كل من قتل دون أرضه أو عرضه أو ماله أو دينه أو أهله فهو شهيد والوطن مال وعرض وأهل ودين ونشر الأمن في ربوعه غاية دينية شرعية

فيا حُماة العرين، وأُباة العِرنين: إن الله تعالى لما أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم – أرسله للحفاظ على الكليات الخمس

١– الدين ٢– العقل ٣–العرض ٤–المال ٥– النفس

وهذه الخمس مجتمعة في أي وطن إسلامي تقام فيه شعائر الإسلام وترفع فيه راية التوحيد

السمة الخامسة: شخصية محبة للخير لأهله

إخوة الإيمان محبي النبي العدنان – صلى الله عليه وسلم–ومن سمات الشخصية المسلمة المحبة لوطنها أنها تحب الخير لغيرها من أبناء جلدتها ووطنها كما تحبه لنفسها روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".([٤٨])

ومن ذلك أنه رباهم على محبة الخير لإخوانهم المسلمين كما يحبونه لأنفسهم، وجعل ذلك من علامات كمال الإيمان، فمن لم يكن كذلك فقد نقص إيمانه، ويؤكد هذا المعنى –أن محبة الخير للآخرين من علامات الإيمان– ما رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " ((أَحِبَّ للنَّاسِ ما تُحبُّ لنفسِك تكن مسلماً)) ".([٤٩])

---

[٤٦] – شرح السنة للبغوي (١٠/ ٢٤٩)

[٤٧] – أخرجه : مسلم ١/٨٧ (١٤٠) (٢٢٥) .

[٤٨] – أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٧ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

[٤٩] – سنن الترمذي (٢٣٠٥)، وسنن ابن ماجة (٤٢١٧)

وهي سبب دخول الجنة: ثم إن هذه الصفة من أعظم أسباب دخول الجنة، روى الإمام أحمد عن يزيد القشيري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟ "، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " فَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ "([٥٠])

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه".([٥١]).

خلد الله ذكر الأنصار ومدحهم بهذه الصفة وقد مدح الله أنصار نبيه صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ {خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٩]

لا يكره الخير للمسلمين إلا أحد ثلاثة: منهم: رجل يسخط قضاء الله ولا يطمئن لعدالة تقديره سبحانه فهو يريد أن يقسم رحمة ربه على حسب شهوته وهواه ، ولو اتبع الحق هواه لما أذن هذا الساخط على أقدار الله لغيره أن يتنسم نسيم الحياة: (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً) (الاسراء: ١٠٠).

نعم لو كان الأمر لهؤلاء ضعاف النفوس ضعاف الإيمان لحجبوا عن الناس كل خير ، ولكن : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف: ٣٢)

عن ابن بريدة الأسلمي قال: (شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة)

ولما أراد محمد بن واسع أن يبيع حمارًا له، قال له رجل: أترضاه لي؟ فرد عليه: لو لم أرضه لك لم أبعه.

---

[٥٠] مسند الإمام احمد ١٦٧٠٦ ، انظر الصحيحة: ٧٢

[٥١] –صحيح مسلم ١٨/٦–١٩ (١٨٤٤) (٤٦) و (٤٧)

وكان عتبة الغلام إذا أراد أن يفطر يقول لبعض إخوانه المطلعين على أعماله: أخرج لي ماء أو تمرات أفطر عليها ليكون لك مثل أجري.

وذكر ابن خلكان في –وفيات الأعيان– أن السري كان يقول: منذ ثلاثين سنة، وأنا أستغفر من قولي مرة: الحمد لله، فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني واحد، وقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيرًا من الناس.

أقول قولي هذا، وأسأل الله سبحانه أن يمنَّ علينا بالاستجابة له ولرسوله، وبالثبات على ما يرضيه إلى أن نلقاه تعالى، وأن يغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، إنه غفور رحيم.

الخطبة الثانية

أما بعد:

السمة السادسة: شخصية تنبذ الفرقة والاختلاف

أيها الأحباب: ومن سمات الشخصية السوية المحبة لوطنها أنها تحب الجماعة وتكره الفرقة

أنها تؤلف ولا تفرق

أنها تبني ولا تهدم

أنها تعمر ولا تدمر

و هذا هو نبع الإيمان و الالتزام بأوامر الرحمن و التمسك بهدي سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم– قال الله تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣]

ثم نهانا سبحانه وتعالى عن التشبه بالأمم السابقة التي دب إليها داء الفرقة و الاختلاف فقال سبحانه { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥]

و خاطب النبي صلى الله عليه وسلم البشرية جمعاء و أمرهم أن يلتزموا بالجماعة عن أبيه، عن رجل قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «أيها الناس، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، أيها الناس، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة» ، ثلاث مرار، قالها إسحاق ([٥٢])

[٥٢] – مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٢٢١)حسن لغيره،

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ.([٥٣])

السمة السابعة: شخصية الواقعية: والواقعية هي أن يعيش المسلم على أرض الواقع لا يسبح في الرمال ولا يبني بيتا في الخيال ولا يحرث في البحر، بل يرى الأشياء على حقيقتها و الأمة و الوطن الإسلامي يمر بظروف عصيبة و بحرب شعواء على قيمه و على دينه و على ثوابته، حرب سياسية واقتصادية و اجتماعية تحتاج من المسلم أن يلبس لكل أزمة لبوسها

المسلم بالمعنى القرآني يدرك أنه ليس على الناس بجبار، وأنه ليس عليهم بمسيطر، وأنه ليس عليهم بحفيظ، وليس عليهم بوكيل.

قال الله تعالى {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} [ق ٤٥]

قال الله تعالى {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ، إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ} [الغاشية ٢١-٢٣]

قال الله تعالى {قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} [الأنعام ١٠٤]

قال الله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ} [يونس ١٠٨]

يدرك أن الاختلاف لا يعني التقاتل و لا التناحر و إنما هي سنة الله تعالى في خلقه {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود: ١١٨، ١١٩]

إخوة الإسلام و"تظهر واقعية الإسلام أيضا في إيجاد المخارج المشروعة للمسلم في أوقات الشدة والضيق، وعدم إلزامه بما كان لازما له أو واجبا عليه، أو محرما عليه في الأوقات العادية"

---

[٥٣] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٦٦)[حكم الألباني] : صحيح

ففي الأزمات الاقتصادية يكون حاله الرضا والقناعة وترك الترف والبزخ وها هو صلى الله عليه وسلم عنْ جَابِرٍ، قَالَ: " لَمَّا حَفَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الْخَنْدَقَ، أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى رَبَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الْجُوعِ " ([٥٤])

واقعية في النفقة في الحياة الأسرية عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، وَاللهِ إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ نَارٌ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَلَيه وسَلم، قُلْتُ: يَا خَالَةُ، وَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ نِعْمَ الْجِيرَانُ كَانُوا كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَبْعَثُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَلَيه وسَلم مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَمْذُقُهُ لَنَا فَيَسْقِينَاهُ.([٥٥])

الدعاء .....

الحفاظ على الأوطان من المعاصي التي تدمر البلدان

[٥٤] – مسند أحمد ط الرسالة (٢٢/ ١٢٩) والبيهقي في "دلائل النبوة" ٤٢٢/٣.

[٥٥] – أخرجه: البخاري ٢٠١/٣ (٢٥٦٧) ، ومسلم ٢١٨/٨ (٢٩٧٢) (٢٨) .

الخطبة الأولى

الحمد لله ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بنار

تلظى بدوام الوقيد، المكرم سبحانه وتعالى لمن أطاعه واتقاه بجنات لا ينفذ نعيمها ولا يغيب،

فسبحان الذي قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقي وسعيد [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ] [فصلت: ٤٦] ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْيَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ، لا مغيث غير الله،

ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله، ولا مفرج لهمومنا وكروبنا إلا الله

فإذا أصابك همٌ فقل يا الله

وإذا أصابك حزنٌ فقل يا الله

وإذا واجهتك المشكلات فقل يا الله

وإذا اجتمعت عليك الدنيا بأسرها فقل الله، فإنه لا مفرج لكل ذلك إلا الله

أما بعد: فيا أحباب الحبيب صلى الله عليه وسلم –حديثنا اليوم عن المحافظة على الأوطان من المعاصي التي تدمر البلدان

اعلموا ثم اعلموا أنه لا أضر على الفرد والمجتمع من الذنوب والمعاصي وقد يستهين بها الفرد ويستهين بها المجتمع ولكنها هي التي تفسد عليه أمنه الاجتماعي وأمنه الاقتصادي وأمنه السياسي فكم من أمم قد أهلكها الله تعالى كانت أشد قوة وأكثر جمعا ولكن الذنوب والمعاصي قصمت ظهورهم وجعل الله تعالى بأسهم شديد يقول ابن القيم رحمه الله:

ما الذي غرّق أهل الأرض كلّهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلّط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة.

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحةَ حتى قطّعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيحَ كلابهم، ثم قَلَبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا. ثم أتبعهم حجارةً من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمّةٍ غيرهم. ولإخوانهم أمثالُها، وما هي من الظالمين ببعيد! وما الذي أرسل على قوم شعيب سحابَ العذاب كالظُّلل، فلمّا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظّى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحُهم إلى جهنّم. فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من (بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمّرها تدميرًا؟

وما الذي سلّط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ، ومرّةً بجور الملوك، ومرّةً بمسخهم قردة وخنازير؟ وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [الأعراف: ١٦٧].

قال الإمام أحمد: عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: لما فتحت قبرص فُرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء جالسًا يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يومٍ أعزّ الله فيه الإسلامَ وأهلَه؟ فقال: ويحك يا جبير، ما أهونَ الخلقَ على الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أضاعوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمرَ الله، فصاروا إلى ما ترى!

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَأْسَهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ

صَالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ثُمَّ يُرْجَعُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ» "[٥٦].

✍ ركّاب سفينة واحدة: أيها الإخوة الكرام لابد أن يعي الجميع أن الطالحين والصالحين ركاب سفينة واحدة، فإن هلك الطالحون لطلاحهم فسيهلك معهم الصالحون، وإن غرق المفسدون فسيغرق معهم الصالحون، والله –تبارك وتعالى–يقول: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[الأنفال: ٢٥].فلا يتوهمن متوهم –ولو كان صالحاً– أنه سينجو إن نزلت العقوبة الجماعية، نسأل الله أن يرفع عن الأمة البلاء.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَخْرُجُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ وَيَشُقُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدَعُكُمْ تَمُرُّونَ عَلَيْنَا فَتُؤْذُونَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: إِنْ مَنَعْتُمُونَا فَتَحْنَا بَابًا مِنْ أَسْفَلِهَا، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ، نَجَوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا "

[٥٧]رواه البخاري

✍ خماسية الشقاء الاجتماعي:

أيها الأحباب أحباب النبي الأواب ها هو النبي صلى الله عليه و سلم يحذرنا من خمسة أمور هي سبب كل شقاء في أي مجتمع من المجتمعات عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مَعْشَرَ المهاجرينَ! خِصالٌ خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بهنَّ ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ : لم تَظْهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قَطُّ ؛ حتى يُعْلِنُوا بها ؛ إلا فَشَا فيهمُ الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أسلافِهم الذين مَضَوْا ، ولم يَنْقُصُوا المِكْيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشِدَّةِ المُؤْنَةِ ، وجَوْرِ السلطانِ عليهم ، ولم يَمْنَعُوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا ، ولم يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم ، فأَخَذوا بعضَ ما كان في

---

[٥٦] – مسند أحمد ط الرسالة (٤٤/ ٢١٦)وأخرجه الطبراني في "الكبير" ٢٣/ (٧٤٧)

[٥٧] – أخرجه البخاري (٢٦٨٦)

أَيْدِيهِم ، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم.[٥٨]

الآثار المترتبة على منع الزكاة :

يقول عليه الصلاة والسلام: (ولا منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا) كم يستسقي الناس، وكم يستغيثون الله عز وجل ويطلبون منه المطر، بل نرى الجدب قد ضرب أطنابه في الأرض، وسبب ذلك أن الأمة الإسلامية فرطت في دينها، وضيعت كثيراً من أوامر ربها سبحانه وتعالى.لقد أصبحت أرقام الأموال لدى طائفة من الناس خيالية لدرجة أنك قد تعجز عن إحصائها، ولكن مع الأسف نجد أن الكثير منهم امتنعوا من إخراج زكاة أموالهم، بل رأينا كثيراً من تلك الأموال تذهب في معصية الله عز وجل، وفيما لا يرضي الله في وقت].

وحينما يبخل الناس بالزكاة فإن الله تعالى يمنع المطر، ولربما يظن ظان أن المطر إنما هو وسيلة لإنبات العشب، ولكن المطر حقيقة هو وسيلة لحياة هذا الإنسان {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ [الواقعة:٦٨-٦٩].إن امتناع القطر من السماء سببه الذنوب والسيئات، وأعظم هذه الذنوب وتلك السيئات التي كانت سبباً في حبس المطر حتى أجدبت الأرض هو منع إخراج الزكاة، فعلينا أن نصلح أحوالنا حتى يغير الله ما بنا؛ لأن الله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد:١١].

نقص المكيال والميزان وعاقبته:

و قد يستهين جموع المجتمع بقضية تطفيف الكيل و الميزان فلا يبالي البائع أن يطفف ولا يبالي المشتري أن يطفف و وما علموا أن ذلك سبب الغلاء و العناء و الضراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان)، المراد بنقص الميزان والمكيال إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم.

---

[٥٨] – سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ١٥٠) وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" ٣/ ٢٢٠ و ٨/ ٣٣٣ –٣٣٤ إسناده ضعيف،

وقد حذر شعيب عليه السلام قومه من الشرك بالله وبخس المكاييل والموازين، فقد كان قومه يغشون في المعاملات وينقصون الناس أشياءهم، وذكرهم الخير الذي أدره الله عليهم، والأرزاق المتنوعة، وأنهم ليسوا بحاجة إلى ظلم الناس في أموالهم، ولكنهم أبوا ذلك فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

✍ عاقبة نقض عهد الله وعهد رسوله:

و من عقوبات الذنوب و العاصي التي تجلب على الفرد و المجتمع الذل و الهوان و تسلط الأعداء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم)، ولقد نقض المسلمون عهودهم مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، فتركوا ما أمرهم الله به وارتكبوا ما نهاهم الله عنه، ثم كانت النتيجة الحتمية، والخاتمة السيئة: (سلط الله عليهم عدواً من غيرهم)، أي: من غير الأمة الإسلامية، (فيأخذ بعض ما في أيديهم)، إذا أردت دليلاً على هذا الواقع المرير فتصفح خارطة العالم الإسلامي، أين فلسطين؟ وأين الأندلس؟ وأين كثيراً من البلاد التي أصبحت الآن في قبضة العدو، وما بقي منها فيكاد أن يكون تحت سيطرة العدو إلا ما شاء الله.وإنا لنخاف أن يأتي ذلك اليوم الذي يأخذ العدو كل ما في أيدينا، ويصبح هؤلاء المسلمون أسرى بسبب سيئاتهم وإعراضهم عن الله عز وجل.

✍ المعاصي سبب كل فساد في البحر و البحر أصاب الإنسان أو الحيوان أم الطير كل ذلك بسبب ذنوب بني آدم فأي مجتمع ظهرت الفواحش و ارتكاب المحرمات إلا شقي المجتمع بما فيه فمن آثار الذنوب والمعاصي أنها تتعدى إلى غير مرتكبها، فليست مقصورة على العاصي فقط، بل إنَّ آثارها متعدية إلى غيره من جيرانه، ومن يعيشون معه، بل وحتى لها تأثير على الأرض التي يعيش عليها، وحتى لها تأثير على الحيوانات والجمادات، فمن آثارها على المجتمع عامة؛ أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء، والزرع والثمار، والمساكن، قال تعالى: { {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

}[الروم: ٤١].

* ومن آثارها على المجتمع عامة؛ أنها سبب من أسباب الخسف والزلازل؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، إذا علا فجارها على أبرارها، وساد القبيلة منافقوها» ".[٥٩]

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ". قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "إِذَا ظَهَرَتِ القِيان وَالْمَعَازِفُ، واستُحلت الْخُمُورُ".. [٦٠]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، وَيُضْرَبُ عَلَى رُءُوسِهِمُ الْمَعَازِفُ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ ". [٦١]

أيها الناس: ومن آثار الذنوب والمعاصي على المجتمع أنَّ شؤمها وضررها ليس مقتصراً على العاصي فقط، وإنما متعدي إلى غيره من الجمادات والحيوانات، قال مجاهد بن جبر: "إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم"

* ومن أثرها على المجتمع أنَّها سببٌ للتمزق والتفرق والاختلاف، وهذا ما نراه ونلاحظه اليوم في أمتنا، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]. ولكن للعجب إنَّ كثيراً من الناس اليوم يعزون ما حلَّ بالأُمَّةِ من تمزق وتشرذم واختلاف إلى أسباب مادية بحتة، أو إلى أسباب سياسية، أو إلى أسباب مالية، أو إلى أسباب حدودية، أو ما أشبه ذلك، وهذا مما لاشك فيه أنه من قصور فهمهم، وضعف إيمانهم، وغفلتهم عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله. أو لا يعلم أولئك أن وراء تلك النكبات والمصائب أسباباً غير تلك الأسباب المادية البحتة أسباباً شرعية، وهي الذنوب والمعاصي، أولم يسمعوا إلى الله وهو يقول: { {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ

---

[٥٩] – صَحِيح الْجَامِع: ٥٤٦٧ ، الصَّحِيحَة: ٢٢٠٣

[٦٠] – الترمذي (٤/٤٩٥) (٢٢١٢)

[٦١] – سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٥/ ٥٣٠) وأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٤٥٣ في صحيح الجامع

يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} }[الأعراف: ٩٦-٩٩]. فالله الله -عباد الله- في تقوى الله، ومراقبته في السر والعلانية، والحذرَ الحذرَ من الغفلة، والتمادي في معصيته.

أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد: .....

ومنها تسليط الأعداء، وذهاب القوة، ونزع الهيبة من قلوب الأعداء:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة من الصغار على من خالف أمري، من تشبه بقوم فهو منهم".

إن صحائف التاريخ خير شاهد على عجيب تأثير المعاصي في الأمم، لقد كانت أمة الإسلام في سالف دهرها أمة موفورة الكرامة، عزيزة الجانب، مرهوبة القوة، عظيمة الشوكة، لكنها أضاعت أمر الله، وأقْصت شريعته من حياتها، وراجت أسواق الشرك في أصقاع كثيرة في العالم الإسلامي؛ فصار أمرها إلى إدبار، وعزها إلى ذل، وجثم على صدرها ليل طويل من الاستعمار الكافر، ولولا أنها الأمة الخاتمة لأصبحت تاريخًا دابرًا تحكيه الأجيال!!

وليس الذي حلّ بنا ويحلُّ ظلمًا من ربنا.. كلا وحاشا، فهو القائل في الحديث القدسي الصحيح: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا"، وإنما هي السنن الربانية النافذة التي لا تحابي أحدًا؛ {إِنّ اللّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]، {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الأنفال: ٥٣].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان مرفوعًا: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها". قلنا: يا رسول الله، أمِن قلة منا يومئذٍ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، تُنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن". قالوا: وما الوهن؟ قال صلى الله عليه وسلم: "حب الدنيا وكراهة الموت".

إننا –معاشر المسلمين– اليوم نئن تحت وطأة الذلّ المسلّط علينا، وكثير من المسلمين لا يزالون غافلين عن سبب البلاء الذي بيّنه رسولنا صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث صحيح؛ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، سلّط الله عليهم ذلاً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم" (رواه أبو داود وأحمد).

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إننا كنا قومًا أذلة فأعزنا الله بهذا الدين، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

الدعاء.....

الصوارم الحسان للدفاع عن الأوطان

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

ثم أما بعد:

أمة الحبيب الأعظم نقف اليوم مع ذلك الوطن المجروح في أبنائه و شباب من أناس لا يخافون الله تعالى و أصبحت إراقة الدمة أمرا سهلا هينا عند هؤلاء فهم يقتلون لأدنى شبهة يخربون الأوطان و يدمرون البنيان و يشعلون النيران حالهم كما قال الشاعر

بعضي على بعضي يجرد سيفه *** والسهم مني نحو صدري يرسل

النار توقد في خيام عشيرتي .*** وانا الذي يا للمصيبة اشعل

أناس لا يقدون وطنا يذكر فيه اسم الله و ترفع فيه الجمع و الجماعات

تعالي يا أمة محمد لنعيش مع الوطن و مدلوله و محبته ووجوب الذود عنه

✍ تعريف الوطن في اللغة:

في اللغة : ـ قال ابن منظور في لسان العرب

الوطن المنزل الذي تقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحله يقال أوطن فلان ارض كذا وكذا اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه .

وقال الزبيدي : ـ الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله وجمعها أوطان .

تعريف الوطن اصطلاحا :

١ـ عرف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله (الوطن الأصلي هو مولد الرجل ، والبلد الذي هو فيه (١) .

٢ـ عند الرجوع إلى كتب المعاجم والموسوعات ، وخاصة السياسية منها نجد أنها لاتختلف عن المعنى اللغوي

أ) ففي المعجم الفلسفي يقول (الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة ، والوطن الأصلي : هو المكان الذي ولد فيه الإنسان ، أو نشأ فيه .

ب) في معجم المصطلحات السياسية الدولية : الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة يشعر المرء بارتباطه بها ، وانتهائه إليها.

من هذه التعريفات توصل الدكتور زيد العبد الكريم الزيد إلى أن الوطن المراد هنا هو الوطن الخاص ، الذي يلد الشخص ولادة ونشأة أو نشأة فقط .

وتعارف الناس عليه في العصر الحاضر بالحصول على الجنسية ، أو رابطة الجنسية وهو لبنة متماسكة في بناء الوطن العام الذي يحد بالعقيدة الإسلامية ولا يحد بحدود جغرافية.

وجوب محبة الأوطان

و اعلم علمني الله تعالى وأباك أن محبة الأوطان واجبة على أهل الإيمان و الذي يتأمل القران الكريم يجد أن الله تعالى سوى بين القتل و بين الخروج من الأوطان فدل ذلك على أن الوطن و محبته مركوزة في نفسية الإنسان قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء:٦٦] ؛ فقرن جل شأنه الجلاء عن الوطن بالقتل ، وهو بمفهومِه –عباد الله– يفيد أنَّ الإبقاءَ فيه عديلُ الحياةِ ، وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿

قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦] ؛ فجعل القتال ثأراً للجلاء .

أيها المؤمنون : وإذا كان هذا الحب قائمًا في نفوس البشر كلٌّ لوطنه فكيف الأمر في هذا الوطن المبارك ؛ بلدِ التوحيد والعقيدةِ ، ومَهدِ السنة والرِّسالة ، ومهبط الوحي ومأرِز الإيمان ، وأرضِ الحرمين ، وقِبلة جميع المسلمين ؟!

أيها المؤمنون : إن الوطن المسلم القائم على الشرع المقيم لحكم الله جل وعلا قد اجتمع لأهله حبان :

- حب فطري وهو المتقدم ذكره .
- وحب شرعي وهو ذلكم الحب العظيم المبني على الصلاح والإصلاح .

حب الأوطان غريزة في بني الإنسان

حب الوطن والالتصاق به والإحساس بالانتماء إليه، شعور فطري غريزي يعم الكائنات الحية ويستوي فيه الإنسان والحيوان، فكما أن الإنسان يحب وطنه ويألف العيش فيه ويحن إليه متى بعد عنه، فإن الحيوانات هي أيضا تألف أماكن عيشها ومقارها ومهما هاجرت عن أوطانها خلال بعض فصول العام، هي ما تلبث أن تعود مشتاقة إليها.

لقد فطر الإنسان على أمور عديدة، من تلك الأمور أن يحبَّ المرء ماله وولده وأقاربه وأصدقاءه، ومن هذه الأمور كذلك حبّ الإنسان لموطنه الذي عاش فيه وترعرع في أكنافه، وهذا الأمر يجده كل إنسان في نفسه، فحب الوطن غريزة متأصّلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هوجِم، ويغضب له إذا انتُقص.

ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه فإنّ حنين الرجوع إليه يبقى معلّقًا في ذاكرته لا يفارقه، ولذا يقول الأصمعي: "قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوانات: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بها بعيدًا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبًا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعًا".

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ –في حديث بدء الوحي – حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ ...)

فلما اخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و قال كما في حديث ع عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْحَزْوَرَةِ، يَقُولُ: " وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ "

قال عمر رضي الله عنه: " عَمَّر الله البُلدان بحبِّ الأوطان ".

وكان يقال: لولا حبُّ الناس الأوطان لخسرت البُلدان.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى .*** ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى *** وحنينه أبدا لأول منزل

✍ دعاء الأنبياء لأوطانهم

و من حب الأوطان الدعاء لها بالخير و النماء و العافية من البلاء ، وهذا من شان الأنبياء و الصالحين أن يسألوا الله تعالى أن يبارك لهم في أوطانهم

* دعا إبراهيم الخليل– صلى الله عليه وسلم– لمكة { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥] فدعوة إبراهيم تركزت علي الآن والرزق وهو ما يعني الآن الاقتصاد في التوقيت المعاصر

* دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – للمدينة وقد دعا النبي صلي الله عليه وسلم للمدينة الَتْ عَائِشَةُ: عن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبوا الدعاء من النبي صلوات الله عليه وسلم

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا»،.

دعا النبي صلى الله عليه وسلم لوطنه، فالمرء الصالح يتمنى الخير لموطنه، ويبغض كل ما يسوء إلى وطنه، ويرى وطنه أنها أجمل وأفضل بقاع الأرض مهما فعلوا فيه أهلها.

من حب الوطن الاستشفاء بتراب الوطن

و من العجيب عباد الله الاستشفاء بتراب الوطن ورد ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا" أخرجه البخاري

فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها ، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك

* ولذلك قال بُقراط: يُداوى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضه؛ فإنَّ الطبيعة تتطلَّع لهوائها، وتنزع إلى غذائها.

* وقال أفلاطون: غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها.

* وقال جالينُوس: يتروّح العليل بنسيم أرضه، كما تنبت الحبة ببلِّ القطْر.

وكانت العرب إذا غزتْ وسافرتْ حملتْ معها من تُربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزْلةٍ أو زكام أو صُداع. وأُنشد لبعض بني ضبَّة:

نسير على علمٍ بكُنه مسيرنا *** وعُدّةِ زاد في بقايا المزاودِ

ونحمل في الأسفار ماء قبيصةٍ *** من المنشأ النائي لحبِّ المراودِ

* واعتلَّ سابور ذو الأكتاف بالرُّوم، وكان مأسوراً في القدّ، فقالت له بنت ملك الرُّوم وقد عشقتْه: ما تشتهي مما كان فيه غذاؤك؟ قال: شربةً من ماء دجْلة، وشمَّةً من تربة إصطخر! فغبرت عنه أيّاماً ثم أتته يوماً بماءِ الفرات، وقبضةً من تراب شاطئه، وقالت: هذا من ماء دجلة، وهذه من تربة أرضك، فشرب واشتمَّ من تلك التُّربة فنقه من مرضه.

الحنين إلى الأوطان من شيمة الأنسان

حنين الصحابة رضي الله عنهم إلى مكة: فقد حن أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم إلى أوطانهم و انشدوا في ذلك الأشعار فها هو بلال و أبو بكر – ضي الله عنهما بيكيان و ينشدان الأشعار حنينا إلى مكة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: " لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصْبِحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَلَيْهِ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ، فَيَقُولُ:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ، وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجِنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ». أخرجه البخاري

ولو لا نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد لم ينزل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: من الآية ٨٥)، وقد صدق ابن الرومي حيث قال:

وحبب أوطان الرجال إليهم*** مآرب قضاها الفؤاد هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ***عهود الصبي فيها فحنوا لذالكا

وجاءت أشعار السلف في التعبير عن حبهم لأوطانهم، وشغفهم وحنينهم إليها تترا، فهذا أبو بكر العلاف أنشد يقول:

كما تُؤلف الأرض التي لم يكن بها *** هواء ولا ماء سوى أنها وطن

وأنشد علي بن محمد التنوخي:

ما كنت أول مشتاق إلى وطن*** بكى وحن إلى أحبابه وصبا

وجوب الدفاع عن الأوطان

ثم اعلموا عباد الله أن الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن بالسلاح وبالكلمة والدفاع عن الوطن بالسلاح والكلمة جهاد ولا ريب فيه لمن أخلص نيته ومن قتل في ذلك فنرجو له الشهادة

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شهيد". أخرجه أحمد

قُلْتُ– البغوي : ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أُرِيدَ مَالُهُ، أَوْ دَمُهُ، أَوْ أَهْلُهُ فَلَهُ دَفْعُ الْقَاصِدِ وَمُقَاتَلَتُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْفَعَ بِالأَحْسَنِ فَالأَحْسَنِ، فَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ إِلا بِالْمُقَاتَلَةِ، فَقَاتَلَهُ، فَأَتَى الْقَتْلُ عَلَى نَفْسِهِ، فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَلا شَيْءَ عَلَى الدَّافِعِ" أخرجه أحمد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ". قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ، قَالَ: " قَاتِلْهُ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ، قَالَ: " فَأَنْتَ شَهِيدٌ " ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: " فَهُوَ فِي النَّارِ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فعلى هذا فان كل من قتل دون أرضه او عرضه او ماله أو دينه او اهله فهو شهيد والوطن مال وعرض وأهل ودين ونشر الأمن في ربوعه غاية دينية شرعية

فيا حُماة العرين، وأُباة العِرنين: إن الله تعالى لما ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم – أرسله للحفاظ على الكليات الخمس

١– الدين ٢– العقل ٣–العرض ٤–المال ٥– النفس

و هذه الخمس مجتمعة في أي وطن إسلامي تقام فيه شعائر الإسلام و ترفع فيه راية التوحيد

فشرع رد الصائل

أ) الصائل على العرض: ولو كان مسلماً إذا صال على العرض وجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله، ولذا فقد نص الفقهاء على أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر ولو قتلت إذا خافت على عرضها.

ب) أما الصائل على المال أو النفس: فيجب دفعه عند جمهور العلماء ويتفق مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم، ففي الحديث الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

قال الإمام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن الجزء ٢٤٢/١: (لا نعلم خلافاً أن رجلاً لو شهر سيفاً على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله).

قال الشيخ عبد الله عزام: (وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلماً، وإذا قتل العادل فهو شهيد،

و الله جل جلاله امرنا الدفع في غير ما آية من الآيات و لنذكر منها

امرنا بقتال الفئة الباغية: يقول الله عز وجل: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ٩، ١٠]

فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفظاً لوحدة كلمة المسلمين وحماية دينهم وأعراضهم وأموالهم، فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

حد لنا حد الحرابة: قال تعالى: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: ٣٣، ٣٤]

هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون في الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم ولقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين كما في الصحيحين فكيف بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!

وفي تفسير قوله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عليكمْ فاعْتَدُوا عليهِ بمثْلِ ما اعْتَدَى عليْكُمْ). (البقرة الآية : ١٩٤). يقول فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي الأستاذ بجامعة الأزهر رحمه الله:

وهذه الآية تُفيد أن ردَّ العدوان يكون بمثل ما حَدَثَ به العدوان من أسلحة وآلات؛ لأننا لا نستطيع أن نُحطِّم العدوان الباغي إلا بعقوبة مماثلة له حتَّى تَرْدَعُه وتسحقه؛ ولذلك قال بعض المفسرين إن العدو الذي يقاتلنا بالمدافع والقذائف النارية أو الغازية السامَّة يَجب أن يُقاتَل بمثلها ما دام مُصِرًّا على استعمالها، وإلا لم تتحقَّق الحكمة الشرعية من القتال وهي منع الظلم وسَحْقِ العدوان، والبادي أظلم وعلى الباغي تدور الدوائر.أ.هـ

ويُشترط في أعمال الدفاع شرطان:

١- شرط اللزوم: وذلك بأن تكون أفعال الدفاع لازمة لرد العدوان.

٢- شرط التناسب وذلك بأن تكون أعمال الدفاع متناسبة مع أعمال العدوان مصداقا لقوله تعالى " فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (البقرة: ١٩٤).

هذه هي أهم شروط الدفاع الشرعي–في الشريعة الإسلامية– وهي أيضا ذات الشروط المقررة في القانون الدولي المعاصر، ويتضح منها أن الإسلام أباح حق الدفاع الشرعي بجانبيه الفردي والجماعي، إذا توافر شرطاه: وقوع عدوان، والرد المناسب عليه

ولعل خير من عبَّر عن ذلك الإمام الفراء في معاني القرآن، حيث يقول:

"فإن قال قائل: أرأيت قوله (فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلما، وإن كان لفظه واحدا. ومثله قول الله تبارك وتعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا)، وليست من الله على مثل معناها من المسيء؛ لأنها جزاء".

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حوزة الدين يا رب العالمين . اللهم آمِنَّا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين..

اللهم آت نفوسنا تقواها ، زكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم يا ربنا يا قوي يا عزيز يا ذا الجلال والإكرام انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان ، اللهم انصرهم في أرض الشام وفي كل مكان يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ، اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم

اللهم أصلح ذات بيننا ، وألِّف بين قلوبنا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا يا ذا الجلال والإكرام . اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علِمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، وأن تجعل كل قضاءٍ قضيته لنا خيرا يا رب العالمين . اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين

والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . ربنا إنَّا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الحب في الله وأثره في الأمن المجتمعي

الخطبة الأولى

إذا كـان الحبّ الفطري هو الذي يحكم علاقتنا بالوطن والأرض والحيوان والجبال، فالأوْلى أن يحكم – هذا الحبّ – علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بل لا مفرّ لنا إذا أردنا بناء مجتمع متماسك ومتضامن ومتكافل من أن ننشـــر ثقافة التحابّ والتراحم بين أبنائه، فهذه الثقافة هي التي تخفِّف من غلواء الخلافات البغيضـــة والعصـــبيات المقيتة والتوترات الاجتماعية وتحدّ من تأثيراتها الســـلبيّة، وإنّ مجتمعـاً تتراجع فيـه عـاطفـة الحـبّ لتحلّ محلّها الكراهية والحقد هو دون شـــكّ مجتمع محكوم بالانهيار الداخلي عاجلاً أم آجلاً.

في ضـــوء ذلك، فإنّ من الطبيعيّ أن نحرص على قيمة الحبّ الفطريّة وأن ننمِّيها وأن نطوّرها ونعمل على جعلها هي اللغة التي تحكم العلاقات الإنسـانية على اختلاف دوائرها ومستوياتها، ما يجعل من الحبّ منهج حياة في تعاملنا مع الناس جميعاً، وليس مجرّد إحساس عاطفي نبيل.

✍ فضل الحب في الله :

اعلم زاداك الله علما : أن الله جل جلاله رتب على الحب فيه من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا هو سبحانه ورفعة المنزلة يوم القيامة وها هو النبي (صلى الله عليه وسلم) يخبرنا بمكانة المتحابين في الله تعالى ، فعن أبي إدريس الخولاني أنه قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا ، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن راية ، فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، قال فانتظرت حتى قضي صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ثم قلت ؛ والله إني لأحبك لله ، فقال آلله ! فقلت : آلله فقال : آلله ، فقلت آلله ؛ وأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه ، وقال أبشر فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : قال لله تبارك وتعالى ، وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في والمتباذلين في . ([٦٢])

. عن أبي مالك الأشعري (ﷺ) قال : كنت عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فنزلت عليه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ [المائدة : ١٠١] قال : فنحن نسأله إذا قال إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة ،

---

[٦٢] – مسند أحمد ط الرسالة – (٣٦ / ٣٦٠)الموطأ ٢/٩٥٣–٩٥٤، ومن طريقه أخرجه عبد بن حميد (١٢٥) ، ١٦٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٤٣٣١

قال : وفي ناحية القوم أعرابي فجثى على ركبته ورمي بيديه ثم قال : حدثنا يا رسول الله عنهم من هم ؛ قال : فرأيت في وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) البشر فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : هم من عباد الله من بلدان شتى ، وقبائل شتى من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ، ولا دنيا يتبادلون بها ، يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ، ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون .)([٦٣])

ومن فوائد الحب في الله تعالى الظل في عرش الله يوم لا ظل إلا ظله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.. (٦٤)

وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول (صلى الله عليه وسلم) إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظل يوم لا ظل إلا ظلي . (٦٥)

ومن فضله استكمال الإيمان وتذوق حلاوة الإيمان بالله تعالى : عن أبي إمامة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمال الإيمان)([٦٦]).

وعن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما تحابا إثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه . ([٦٧])

: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله . ([٦٨])

. ثم أخبر (رضي الله عنه) أن هناك ثلاثة أمور متى حققها العبد وجد حلاوة الإيمان فلا سبيل إلى حلاوة الإيمان إلا إذا استكمها العبد فعن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه

---

[٦٣] –مسند أحمد ط الرسالة – (٣٧ / ٥٣٠) وصححه الألباني ٣٠٢٧ – صحيح٢

[٦٤] –أخرجه البخاري (٦٦٠) و (١٤٢٣) و (٦٤٧٩) ، ومسلم (١٠٣١) (٩١)

[٦٥] – أخرجه أحمد (٢/٢٣٧) ، رقم ٧٢٣٠) ، ومسلم (٤/١٩٨٨ ، رقم ٢٥٦٦)) .

[٦٦] – سبق تخريجه

[٦٧] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/١٩١ ، رقم ٥٤٤)

[٦٨] – خرجه أحمد (٢/٢٩٨ رقم ٧٩٥٤) ، والحاكم (١/٤٤ ، رقم ٣) . وأخرجه أيضًا : محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/٤٥١ ، رقم ٤٦٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٩١ ، رقم ٩٠١٨) . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٩٥٨

وسلم) : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، أن تحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار . ([٦٩]).

ويقول المولي سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا [مريم : ٩٦]) . أي مودة ومحبة في قلوب أوليائه ولولا فضل هذه المودة ما وعد الله بها عباده المؤمنين ، ويقول سبحانه وتعالى (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف : ٦٧]) [الزخرف ٦٧] .

كيف يحقق الحب في الله الأمن المجتمعي

أولا : إفشاء السلام.

أي إذاعته ونشره ، والسلام هو سُلم الوصول إلى قلوب الخلق وإلى محبة الخالق سبحانه وتعالى، إن إفشاء السلام مما يصفي القلوب ويطهرها من الضغائن ويزرع فيها المحبة والمودة عن أبي هريرة : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؛ أفشوا السلام بينكم . ([٧٠])

وأولى الناس بالله تعالى: الذي يبدأ بالسلام، عن أبي إمامة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام . ([٧١])

وتأمل حال السلف كما يصور ذلك أبو هريرة (رضي الله عنه) بقوله: إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه. ([٧٢])

وعن حصين قال: قال ابن عمر: إني لأخرج ومالي حاجة إلا أن أسلم على الناس ويسلمون علي. ([٧٣]) . وعن أبي عمر الندبي قال : خرجت مع ابن عمر فما لقي صغيرا ولا كبيرا إلا سلم عليه .([٧٤])..

ثانيا : النصيحة له: واعلم زادك الله علما : أن من حقوق المسلم على المسلم أن يسدي له النصيحة وأن يبين له الخير ويحذره من الوقوع في الشر

---

[٦٩] – رواه البخاري رقم ١٦،و وأخرجه أيضًا : أحمد (٢٣٠/٣ ، رقم ١٣٤٣١) ، ومسلم (٦٧/١ ، رقم ٤٣).

[٧٠] –أخرجه مسلم ح ٥٤ وأبو داود ٥٧١ وابن ماجة ٦٨ . وأحمد (١٦٤/١ ، رقم

[٧١] – أخرجه أبو داود (٣٥١/٤ ، رقم ٥١٩٧) ، والرويانى (٣١٣/٢ ، رقم ١٢٧٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٤٣٢٨ .

[٧٢] – رواه أبو داود (٥٢٠٠) بإسنادين أحدهما مرفوع والآخر موقوف. قال عنه الألباني: صحيح موقوفاً ومرفوعاً

[٧٣] – سير الأعلام ٣ / ٢٢١ تاريخ الإسلام (٦١ – ٨٠) ص ٤٦٢ وطبقات ابن سعد ٤ / ١٥٥

[٧٤] – أخرجه الذهبي في السير ٢٢١/٣ صحيح الأدب المفرد ٨٠٣

يقول الحسن البصري – رحمه الله – إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما يعجز عنه ، وقد قال فرقد السنجي قرأت في بعض الكتب ، المحب لله عز وجل مؤمر على الأمراء ، زمرته أول الزمر يوم القيامة ومجلسه أقرب المجالس ، فيما هناك ، والمحبة فيما هناك منتهى القربة والاجتهاد ، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل ويحبونه ويحبون ذكره ويحبون خلقه ، ويمشون بين خلقه بالنصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله وأحباؤه وصفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دونه ،

وقال ابن عليه: في قول أبي بكر المزني: ما فاق أبو بكر (رضي عنه) أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال: الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه . ([٧٥])

وعن جرير قال : بايعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على السمع والطاعة و أن أنصح لكل مسلم ، قال وكان إذا باع الشيء أو اشتراه قال ، أما إن الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر . ([٧٦]).

وتأمل جزاء نصح العبد لسيده أن الله تعالى يعطه الأجر مرتين،

فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أمره مرتين . ([٧٧])

✍ ثالثا: حق المال :-

ومن حقوق الإخوة التي تثمر الحب المجتمعي حق المال قال الله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩]

فعن عبادة بن الصامت (رضي اله عنه) قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى : حقت محبتي للمتباذلين في . ([٧٨])

---

[٧٥] – جامع العلوم الحكم ٩٩١١

[٧٦] – مسند أحمد ط الرسالة – (٣١ / ٥٥٧)وأخرجه النسائي في المجتبى ١٤٠/٧، وفي الكبرى (٧٧٧٨) ، وأبو يعلى (٧٥٠٣) والبيهقي ٢٧١/٥ وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٤٩٤٥

[٧٧] – أخرجه مالك (٩٨١/٢ ، رقم ١٧٧٢) ، وأحمد (١٨/٢ ، رقم ٤٦٧٣) ، والبخاري (٩٠٠/٢ ، رقم ٢٤١٢) ، ومسلم (١٢٨٤/٣ ، رقم ١٦٦٤) ، وأبو داود (٣٤٣/٤ ، رقم ٥١٦٩)

[٧٨] – سبق تخرجه

أن تؤثره على نفسك ، وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين قال الله تعالى {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩] وقال الله عز وجل ({وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الشورى: ٣٨].

قال سفيان بن عيينة : سمعت مساور الوراق يحلف بالله عز وجل ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله عز وجل فأمنعه شيئا من الدنيا . ([٧٩])،

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: رأينا وما أحد بأحق بدينار ودرهم من أخيه المسلم.

وتأمل البذل والسخاء، عن عبد الله بن الوليد قال لنا أبو جعفر محمد بن علي فيدخل أحدكم يده في كم صاحبه ويأخذ ما يريد؛ قلنا: لا، قال فلستم بإخوان كما تزعمون. ([٨٠])

✍ عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – قال : ما أعطيت أحدا مالا وأنا أستقله وإني أستحي من الله عز وجل إن سألت الله عز وجل لأخ من أخواني الجنة وأبخل عنه بالدنيا وإذا كان يوم القيامة ، قيل لي لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخل .)(٨١)

✍ الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجة الخاصة .

والأصل في ذلك الحديث المشهور عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول اله (صلى الله عليه وسلم) : أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب العمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربه أو تقضي عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعا ، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشي مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم القيامة يوم تزوال الأقدام . ([٨٢])

. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : لابن أخيه ، لأن يرى ثوبك على صاحبك أحسن من أن يرى عليك ، ولأن ترى دابتك تحت صاحبك أحسن من أن ترى تحتك . ([٨٣])

---

[٧٩] – كتاب الإخوان لبن أبي الدنيا ،و اعتلال القلوب للخرائطي – (٢ / ١٥٢)رقم ٦٠٥ ،و مكارم الأخلاق – (ص ٩٣)رقم ٢٨٤

[٨٠] – كتاب الإخوان . ،و حلية الأولياء – (٣ / ١٨٧)

[٨١] – الإخوان – (رقم ١٦٠)

[٨٢] – أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٩/٦ ، رقم ٦٠٢٦) . وأخرجه أيضًا : الطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢ ، رقم ١٣٦٤٦) ، وفى الصغير (١٠٦/٢ ، رقم ٨٦١) ، قال الهيثمي (١٩١/٨) ٣٦ حسنه الألباني في الصحيحة رقم ٩٠٦

[٨٣] – كتاب قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا رقم ٢١

وقال الحسن البصري – رحمه الله لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة([٨٤]) .

وقال أيضا: لأن أقضي لأخ حاجة أحب إلي من أعتكف شهرين

إطعام الطعام أثر من آثار الحب في الله

إخوة الإيمان و من ثمرات الحب في الله أنها تدفع السلم إلى إطعام الطعام

قال علي (رضي الله عنه) : لأن أجمع نفرا من أصحابي على صاع أو صاعين من طعام أحب إلي من أخرج إلي سوقكم فأعتق نسمة)([٨٥])،

وقال أبو سليمان الداراني : لو أن الدنيا كلها لي في لقمة ثم جاءني أخ لا حببت أن ضعها في فيه .)([٨٦])

حرص جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فانكفأت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بهلكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو. ([٨٧])

حرص أبي سليمان الداراني – رحمه الله –:

قال أبو سليمان الدارني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له

---

[٨٤] – كتاب قضاء الحوائج رقم ٣٧

[٨٥] – الإخوان رقم ١٩٩

[٨٦] – المتحابين في الله – (رقم ١٠٣) و الإخوان رقم ٢١٧، و مختصر صفة الصفوة – (١ / ٤٧٧)

[٨٧] – أخرجه البخاري رقم ، ٤١٠٢. و مسلم ح ٢٠٣٩ ، و الحاكم ح ٤٣٢٤ ، و أبو عوانة ح ٦٩٤٢

و قال أيضا إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي)([88])

محمد بن واسع والحسن البصري – رحمهما الله –:

دخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل ، فقال له مالك : كف يدك حتى يجئ صاحب البيت ، فلم يلتف محمد إلى قوله ، وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال : يا ويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال تعالى (أو صديقكم) وقال (أو ما ملكتم مفاتحة) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد ([89])

سعيد بن عياض – رحمه الله –:

عن إسحاق بن سعيد الأموي عن أبيه قال : كان سعيد بن عياض يدعو جيرانه وجلسائه في كل جمعة فيصنع لهم الطعام ويكسوهم الثياب فإذا أرادوا أن يتفرقوا أمر لهم بالجوائز وبعث إليهم .([90])

شعار أخوّة الدين .. رحماء بينهم:

ولو انطلقنا إلى دائرة الأخوان في الدين، فإنّ توصيفهم القرآني بأنّهم {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩]، كافٍ للتدليل على نوعيّة العلاقة التي لا بدّ أن تحكم المجتمع الإيماني، وهي علاقة التحابّ والتراحم، ومحبّة الأخ لإخوانه هي حقّ من حقوقهم عليه، كما جاء في الحديث الشريف المتضمّن لبيان حقّ

المؤمن على أخيه المؤمن: (أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها)، وهذا الحديث يقدّم لنا قاعدة هامة على صعيد ضبط حركة المشاعر تجاه الآخرين، ومفاد هذه القاعدة أنّ على الإنسان أن يجعل من نفسه ميزاناً يحكم العلاقة بينه وبين غيره من الناس ولا سيما الإخوان، ويحدّد على ضوء ذلك كيفيّة تعاطيه معهم، فما يحبّ أن تتعامل به الناس معه، فليتعامل به معهم، وما يكره أن يعاملوه به فليحرص أن لا يتعامل به مع الآخرين.

وإنّه لخلل كبير في إيمان الإنسان الذي يحمل في قلبه الكراهية والحسد والضّغينة لإخوانه المؤمنين، فإنّ الإيمان لا بدّ أن يدفع نحو التآخي والتآلف والتّراحم، وأن يساهم في تطهير القلب من الضغائن

---

[88] – إحياء علوم الدين – (٢ / ١٧٤) الكشكول ـ (٢ / ١٦٢)و

[89] – إحياء علوم الدين جـ٢ ص١٩٠.

[90] – الإخوان رقم ١١٢

والأحقاد، قال تعالى في الحديث عن المؤمنين: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال ٦٣].

التعاون في حياة الأنبياء والصالحين من القيم المجتمعية الراقية

الخطبة الأولى

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بأن الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع فيّ خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيما مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أما بعد : ..... حديثنا في ذلك اليوم الطيب الميمون التعاون في حياة الأنبياء والصالحين من القيم المجتمعية الراقية تلك القيمة التي غابت عن سماء المجتمع إسلامي وفقل العطاء و كثر الجفاء و ظهرت الفرقة و الاختلاف و اصبح حال كثير منا اليوم نفسي نفسي و ما درى المسكين أن نفسه وحدها لا تبني ولا ترقى إلا بالتعاون مع المجتمع فيد واحده لا تصفق فما هو التعاون ؟ كيف حث الإسلام اتباعه عليه؟ و ما هو الواقع التطبيقي لتلك القيمة المجتمعية في حياة الأنبياء و الصالحين ..... أعيروني القلوب و الأسماع

أولا: تعريف التعاون

التَّعاون عباد الله في أدق عبارة وارق إشارة هو: (المساعدة على الحقِّ ابتغاء الأجر مِن الله سبحانه)[٩١].

ثانيا: التعاون أصل النجاح وسبيل الفلاح

اعلم علمني الله و إياك و زادني الله و إياك علما: أن التعاون هو أصل النجاح و سبيل الفلاح و لقد قرر الله تعالى ذلك في كتابه في سورة من أعظم سور القرآن فقال الرحيم الرحمن – { وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[العصر: ١-٣].

(أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثُّه عليه، ويرغِّبه فيه) .

(فهذه السُّورة العظيمة القصيرة، اشتملت على معان عظيمة، مِن جملتها: التَّواصي بالحقِّ، وهو التَّعاون على البرِّ والتَّقوى) .

قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله: (اعلم أنه لَمَّا صَعُبَ على كلِّ أحدٍ أنْ يُحَصِّلَ لِنَفْسِه أدنى ما تحتاج إليه إلَّا بمُعاونةِ غيرِه له – فإنَّ لُقمة الطعام لو عَدَدْنا تَعَبَ تحصيلِها، من حِينِ الزَّرع إلى حِينِ الطَّحْنِ، والخَبْزِ، وصُنَّاع آلاتِها؛ لَصَعُبَ حَصْرُه – احتاج الناس أنْ يجتمعوا مُتَظاهِرين مُتَعاونين، ولهذا قيل: الإنسانُ مَدَنِيٌّ بالطَّبع، أي: لا يُمْكِنُه التَّفرُّد عن الجماعة بِعَيشه، بل يفتَقِر بعضُهم إلى بعض في مصالح الدِّين والدُّنيا... وقد قيل: الناسُ كَجَسدٍ واحد، متى عاوَنَ بعضُه بعضًا استقَل، ومتى خَذَلَ بعضُه بعضًا اخْتَل).

يقول الأستاذ غانم الروحاني

---

[٩١] – ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص ٤٤١).

بِـفـضلِ الـتّـعاوُن أرسـت أُمـم صُروحًا مِن المجدِ فوْق القِمم

فـلـم يُـبـن مـجـدٌ عـلـى فُـرقةٍ وَلــن يـرتـفِـع بِـاخـتِلافٍ عـلـم

مـعًـا لِـلـمـعـالي يــدًا بِـاليَـدِ نـشـيـدُ الـبـنـاء بِـكُـلِّ الـهِـمـم

فـمـبـدأُ الـتّـعـاوُنِ مِــن ديـنِـنـا بِـهِ الـلّـهُ فـي مُـحكماتٍ حـكم

فــمُــدّو أيــاديــكُـم إخــوَتــي نُـعـيـدُ بِـنـا مـجدِنا فـي شـمم

فـهـذا الـمُـعـلِّمُ جـيـلًا يُـربّـي وَهــذا طـبـيـبٌ يُــزيـلُ الألــم

وهـذا الْمُهندِسُ يُنشِأ صُروحًا وَجُــهـدُ الـمُـزارِعِ بِـالـخيْرِ عـم

وكُــلُّ الأيــادي إذا اجـتـمـعت دنـا الـمجدُ حـتمًا لـنـا وابتسم

بِـغـيْـرِ الـتّـعـاوُنِ لــن نـرتـقـي وَلـيْـس لـنـا ذِكــرٌ بـيْـن الأُمـم

ثالثا: التعاون وصية رب العالَمين:

معاشر الموحدين المحبين اعلموا أن الله تعالى أمرنا وأوصانا بالتعاون في كتابه العزيز دستور هذه الأمة و مصدر عزها فقال سبحانه: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البرُّ، وترك المنكرات وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم) .-[٩٢]

وقال القرطبيُّ: (هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، أي ليُعن بعضكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا موافقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((الدَّالُّ على الخير كفاعله)) ..[٩٣]

رابعا: التعاون وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأمته:

---

[٩٢] -((تفسير القرآن العظيم)) (١٢/٢).

[٩٣] -((الجامع لأحكام القرآن)) (٤٦/٦-٤٧).

وقد حثَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على التَّعاون ودعا إليه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ.[٩٤]

وشبَّه المؤمنين في اتِّحادهم وتعاونهم بالجسد الواحد، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى .[٩٥]

والأمة الإسلامية كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضها بعضا يتعاونون و يتناصحون و يتناصرون فيم بينهم عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[٩٦].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ. .[٩٧]

خامسا: التعاون في حياة الأنبياء:

أحبيتي في الله :إن الإسلام دين الواقعية و دين العمل لذا نرى أن القيم و المثل التي جاء بها الأنبياء قد قاموا بتطبيقها و إنزالها على أرض الوقع فها هو خليل الرحمن عليه الصلاة و السلام و ابنه إسماعيل يتعاونون فيما بينهما في تنفيذ أمر الله تعالى ببناء بيته الحرام – أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السَّلام ببناء الكعبة، فقام إبراهيم عليه السَّلام استجابة لأمر الله، وطلب مِن ابنه إسماعيل أن يساعده على تنفيذ هذا الأمر الإلهي، ويعينه في بناء الكعبة، فقال له: ((يا إسماعيل، إنَّ الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد مِن البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر

---

[٩٤] –رواه مسلم (١٧٢٨).

[٩٥] –رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللَّفظ له.

[٩٦] رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

[٩٧] –رواه التِّرمذي (٢١٦٦) مِن حديث ابن عبَّاس رضي الله عنه. قال التِّرمذي: حسن غريب. وقال ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٥/٢٨): وإن لم يكن لفظه صحيحًا فإنَّ معناه صحيح. وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن التِّرمذي))، والوادعي في ((الصَّحيح المسند)). والحديث رُوِي مِن طرقٍ عن ابن عمر وعرفجة الأشجعي –رضي الله عنهم–.

فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٢٧]، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) .

– عندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السَّلام إلى فرعون وكلَّفه بأن يدعو فرعون إلى عبادة الله وحده، طلب موسى عليه السَّلام مِن ربِّه سبحانه وتعالى المعينَ والمساعدَ على هذا الأمر العظيم، فطلب منه أن يجعل له أخاه هارون معاونًا ومساعدًا في دعوته فرعون، فقال: وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [طه: ٢٩–٣٢] فقال الله له: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى [طه: ٣٦] ، وجعل هارون معاونًا ومساعدًا لموسى عليه السَّلام في دعوته إلى الله، وآتاه النُّبوَّة استجابة لدعوة موسى .

✍ سادسا: التعاون في حياة معلم البشرية وقائدها صلى الله عليه وسلم:

إخوة الإسلام : لقد ضرب لنا نعلمنا و هدينا الى الصراط المستقيم أروع أسمى صور التعاون فقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يسعى لقضاء حوائج المسلمين، ويحبُّ إعانتهم، والوقوف معهم فيما يلمُّ بهم مِن نوازل، وكان مجبولًا على ذلك مِن صغره وقبل بعثته، وقد بيَّنت ذلك أمُّنا خديجة رضي الله عنها عندما كانت تخفِّف مِن روع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم عند عودته مِن غار حراء بعد نزول الوحي عليه، وكان فزعًا، فقالت له: (كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضَّيف، وتعين على نوائب الحقِّ) .[٩٨]

– وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ينقل التُّراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه[٩٩] أو أغبر بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلن سكينة علينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته: أبينا أبينا)) .[١٠٠]

---

[٩٨] –رواه البخاري (٣) و مسلم (١٦٠)، واللَّفظ للبخاري.

[٩٩] –أغمر بطنه: أي وارى التراب جلده وستره. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٦٤/١٣)

[١٠٠] – رواه البخاري (٤١٠٤) ومسلم (١٨٠٣)، واللَّفظ للبخاري.

ولم يقتصر تعاونه فقط في الجانب الدعوي بل امتد إلى داخل أسرته الكريم فكان صلى الله عليه وسلم نعم السند و نعم المعين لأهله رضي الله عنهن أجمعين ..... فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يكون في مَهْنة أهله، فإذا حضرت الصَّلاة قام إلى الصَّلاة)) .[١٠١]

الخطبة الثانية

أما بعد : .....

سابعا: صور من تعاون الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

و من صور التعاون المشرقة تعاون الصحابة فيما بينهم عند الشدائد و موقفهم في قصَّة سلمان رضي الله عنه عندما كاتب سيِّده، وكان فقيرًا لا يملك ما كاتب عليه، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم للصَّحابة: ((أعينوا أخاكم)) فأعانوه، حتى تحرَّر مِن رقِّه، وأصبح حرًّا .[١٠٢]

تعاون الصحابة في إدارة شؤون الدولة :

أمة الإسلام و من تعاون الصحابة رضي الله عنهم تعاونهم في إدارة شؤون الدولة فقد دعا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سعيد بن عامر إلى مساعدته وقال : يا سعيد ، إنا مولوك على أهل حمص، فقال : يا عمر نشدتك الله ألا تفتني .

فغضب عمر وقال : ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم تخليتم عني ! ! والله لا أدعك، ثم ولاه على حمص وقال : ألا نفرض لك رزقا ؟ قال : وما أفعل به يا أمير المؤمنين ؟! فإن عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي، ثم مضى إلى حمص .

تعاونهم على طاعة الله تعالى:

و لقد كان سلفكم الصالح رضون الله عنهم أجمعين يتعاونون فيما بينهم على طاعة الله و عباده داخل بيوتهم لم يتركوهم للشاشات ولا الفضائيات و لا الإنترنت و إنما أخذوهم بطاعة ربهم جل جلاله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل

---

[١٠١] – رواه البخاري (٦٠٣٩).

[١٠٢] –رواه أحمد (٥/٤٤١) (٢٣٧٨٨)، والبزار (٦/٤٦٢) (٢٥٠٠)، والطَّحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (١٢/٢٢٨)، والطَّبراني (٦/٢٢٢) (٦٠٦٥). قال ابن العراقي في ((طرح التَّثريب)) (٤/٤٢): إسناده جيِّد، وحسَّن إسناده الألباني في ((السِّلسلة الصَّحيحة)) (٢/٥٥٦)، وحسَّن الحديث الوادعي في ((الصَّحيح المسند)) (٨٤).

فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))؛ رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح، وفي رواية ابن ماجه: ((رش)) و((رشت))[١٠٣].

قد كان سلفكم – رحمهم الله – يحرصون على ذلك، قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثًا؛ يصلي هذا ثم يوقظ هذا[١٠٤]

وقال عبدالرحمن بن زبيد بن الحارث اليامي: كان زبيدٌ قد قسم علينا الليل أثلاثًا؛ ثلثًا عليه، وثلثًا عليَّ، وثلثًا على أخي، فكان زبيد يقوم ثلثه ثم يضربني برجله، فإذا رأى مني كسلًا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله، فإذا رأى منه كسلًا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، قال: فيقوم حتى يصبح[١٠٥]

✍ ثامنا: تعاون الناس كان سببا في إسلامه:

إن التعاون من الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي تأخذ بالألباب و تبهر العقول و تستميل القلوب إلى شريعة علام الغيوب جل جلاله فهذا أستاذ الصحافة المسلم " مارك شيلفر " أستاذ علم الصحافة بجامعة نيويورك من أسرة مسيحية كاثوليكية، سافر إلى المغرب ، يقول :

" تعثرت قدمي في حفرة ذات يوم حينما خرجت لأول مرة إلى مكان شعبي بمدينة الرباط، وعلى الفور وجدت عددا من المغاربة يسارعون إليّ لمساعدتي على النهوض، ويسألونني في لهفة عما إذا كنت قد أصبت بسوء !! " .

ثم أردف هذا الموقف بما حدث أثناء فترة مرضه قائلا : " ومرضت ذات مرة فوجدت عشرات من جيراني ومعارفي يأتون لزيارتي، ويحاول كل منهم أن يصنع لي شيئا، فدهشت لهذا السلوك الإنساني الذي لم أجد له نظيرا في بلدي أمريكا، حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جميعا بالأنانية " .

وبينما أنا أقلب ترجمة معاني القرآن الكريم إذا بي أطالع تفسير الآيتين الكريمتين : " لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ " (الأنعام ١٠٣ – ١٠٤) .

---

[١٠٣] –رواه أحمد ٢/ ٢٥٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤)، وصحيح أبي داود (١١٦٠).

[١٠٤] –صحيح البخاري ٥/ ٢٠٧٣ (٥١٢٥)

[١٠٥] –صفة الصفوة ٣/ ٩٨.

عندئذ لم أتمالك نفسي، ووجدت الدموع تنهمر من عيني، ومن ثم أيقنت أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدني إلى الإسراع في اعتناق الدين الإسلامي، واللحاق بركب الموحدين، وعلى الفور، حزمت حقائي، وسافرت إلى أمريكا حيث أشهرت إسلامي أنا وزوجتي وولدي بالمسجد الكبير في نيويورك .

الدعاء.....

عشر صور للاعتداء على المال العام

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي زين قلوب أولياءه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفرقين يساق، فأن سامح فبفضله، وان عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الأفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق، الحبيب القرب الذي أسري به على البراق، إلي إن جاوز السبع الطباق.

يا سيدي يا رسول الله

يا أجمل ما رأت قط عين ... ويا أكمل ما ولدت النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك خلقت كما تشاء

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: اخوه الإيمان حديثنا عن المال العام وحرمة الاعتداء عليه وسنذكر لكم عشر صور من صور الاعتداء على المال العام وهي من الأمور التي يستهين بها كثير من الناس فأعيروني القلوب والأسماع

✍تعريف المال العام:

أيها الإخوة الأحباب: المال العام: هو ما كان مُخَصَّصًا لمصلحة عموم الناس ومنافعهم، أو لمصلحة عامة، كالمساجد والرُّبُط، وأملاك بيت المال؛ حيث لا قطْعَ فيه عند الجمهور، ويذكره الفقهاءُ: في باب البيع، والرَّهْن، والإجارة، وفي جميع أبواب المعاملات، وفي باب السَّرقة

✍حرمة المال العام:

اعلموا عباد الله: أن الله – عزَّ وجلَّ – توعَّد بالوعيد الشديد لِمَن أخَذَ من المال العام شيئًا، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: خرجْنا مع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يوم خَيْبَر، فلم نَغْنمْ ذهبًا ولا فِضَّة، إلاَّ الأموال والثياب والمتاع، فأهْدَى رجلٌ من بني الضُّبَيْب يُقال له: رِفَاعة بن زيد لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – غلامًا يُقال له: مِدْعَم فوجَّه رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى وادي القُرى، حتى إذا كان بوادي القُرى، بينما مِدْعَم يحطُّ رحْلاً لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إذا سَهْمٌ عائِر فقَتَله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((كلاَّ والذي نفسي بيده، إنَّ الشَّمْلَة التي أخَذَها يومَ خَيْبَر من المغانم لَم تُصِبْها المقاسِمُ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا))، فلمَّا سَمِع ذلك الناسُ، جاء رجلٌ بشِرَاكٍ أو شِرَاكين إلى النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: ((شِرَاكٌ من نارٍ أو شِرَاكان من نار الشَّمْلَة التي غَلَّها لتَشتعِلُ عليها نارًا)). (١٠٦)

حتى منَ قاتَلَ وأبْلَى بلاءً حسنًا في المعركة، ولكنَّه غلَّ من الغنيمة، فله عقوبة شديدة، حتى ولو ظنَّ الناسُ أنَّه في عِدَاد الشهداء، فالأمرُ ليس كذلك.

في الصحيحين عن عمر – رضي الله عنه –: "لَمَّا كان يوم "خَيْبر" أقْبَلَ نفرٌ من صحابة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مرُّوا على رجلٍ، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((كلاَّ؛ إني رأيْتُه في النار في بُرْدَة غَلَّها أو عَبَاءَة))، ثم قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((يا ابن الخطاب، اذْهَبْ فنادِ في الناس، أنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون))، قال: فخرجتُ، فناديتُ: ألاَ إنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. (١٠٧)

عشر صور للاعتداء على المال العام

إخوة الإسلام اعلموا أن هناك صور متعددة للتعدي على المال العام و لكنني اسلط الضوء على عشر صور في عجالة السريعة و إليكم بيانها

أولا المجاملة في ترسِيَة العَطَاءات والمناقصات – عمْدًا – على شخصٍ بعينه، ويوجَد مِن بين المتقدِّمين مَن هو أفضلُ منه.

---

١٠٦ – وأخرجه مسلم (١١٥)

١٠٧ –

اخوه الإيمان إن من صور الاعتداء على المال العام المجاملة في ترسية العطاءات و المناقصات و إن كان في المتقدمين من هو افضل منه و ذلك من خيانة الأمانة

فكم و كم من مناقصات و عطاءات هدرت و ذهبت أدراج الرياح لأناس لا يستحقونها و لا يؤدون حقها فيكون ذلك إضاعة للمال العام

الموظف المعين أيها الأحباب مؤْتمنٌ على هذا المال، فإن أخَذَ منه شيئًا، فلا شكَّ أنَّه يُعَرِّض نفسَه لسَخَطِ الله وهو من صور الخيانة المذكورة في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنفال٢٧.

وورد عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (إنَّ رجالاً يتخوَّضون في مالِ الله بغير حقٍّ، فلهم النارُ يومَ القيامة) ([١٠٨])

ومعنى يتخوضون: يَتَصرَّفون في مال المسلمين بالباطل.

عن الأَصمعي أن ابناً لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه ولم يسمّه سأَله أن يعطيه من مالِه، أو مال المسلمين، فقالَ عمر: أرَدْتَ أن ألقى الله ملكاً خائناً؟ هلا سألتني من مالي؟ ثم أعطاه كذا وكذا، شيئاً صالحا قد سمّاه من ماله ([١٠٩])

الحسن: أتى عمر رضي الله عنه مال كثير، فأتته حفصة فقالت: يا أمير المؤمنين، حق أقربيك، فقد أوصى الله بالأقربين، فقال يا حفصة، إنما حق أقربائي في مالي، فأما مال المسلمين فلا، يا حفصة نصحت قومك وغششت أباك. فقامت تجر ذيلها ([١١٠])

عنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّ صِهْرًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فَعَرَّضَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ وقَالَ لَهُ: «أَجِئْتَنِي لِأُعْطِيَكَ مَالَ اللَّهِ؟ مَا مَعْذِرَتِي إِلَى اللَّهِ – تَعَالَى– أَأَرَدْتَ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ مَلِكًا خَائِنًا. وَمَنَعَهُ وَأَخْرَجَهُ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، ثُمَّ لَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: هَلَّا كُنْتَ سَأَلْتَنِي مِنْ مَالِي» وأَعْطَاهُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ.] ([١١١])

ثانيا • الاختلاس: وهو: استيلاء الموظَّفين والعاملين في مكانٍ ما على ما في أيديهم من أموال نقديَّة دون سندٍ شرعي.

---

[١٠٨] – رواه البخاري، حديث ٢٩٥٠.

[١٠٩] –[تعليق من أمالي ابن دريد ص: ٨٨]

[١١٠] – [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣/ ٣٩٨]

[١١١] –[الطبقات الكبرى ط العلمية ٣/ ٢٣٠] [جامع معمر بن راشد ١١/ ١٠٥] [الأموال لابن زنجويه ٢/ ٥١٧]

واختلاس المال العام جناية في جميع صوره، وهو أشد حرمة من أخذ المال الخاص؛ لأن الاختلاس اعتداء على حقوق المجتمع – كله – وأخذ المال الخاص اعتداء على حق فرد واحد، والمال الخاص له من يحميه، أما المال العام فحمايته مسؤولية المجتمع كله،

عَنْ عَدِيِّ بْن عَمِيرَةَ الكِنْدِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَن اسْتَعْمَلْنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ غُلٌّ يَأتي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فَقَامَ رَجُلٌ – صلى الله عليه وسلم – مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْوَدَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ الآنَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ قَالَ: (وَمَا ذَاكَ؟) قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ الَّذِي قُلْتَ آنِفًا، قَالَ: (وَأَنَا أَقُولُهُ: مَن اسْتَعْمَلْنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنهُ انْتَهَى (١١٢)

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَجُلًا، تُوُفِّيَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْجَعَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» فَتَغَيَّرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ لِذَلِكَ فَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَفَتَّشْنَا مَتَاعَهُ فَوَجَدْنَا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ يَهُودَ وَاللَّهِ مَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ (١١٣)

ثالثا: الاعتداء على الطرقات والمنشئات العامة والترع وأملاك الدولة :

ومن الأمور التي انتشرت و شاعة و اصبحنا لا نبالي بها الاعتداء على الطرقات و المنشئات و أملاك الدولة و كأنها مال سائب لا صاحب له و يظن إنسان أن ذلك من شطارته (كما يقولون) فنرى التعدي الواضح على الطريق دون خجل أو وجل و يظن المسكين أنه لن يحاسب على فعلته و ما علم أن عقوبتها عظيمة

فالطريق مرفق عام لا يختص به أحد، ولا يستأثر به شخص، وإنّما هو لتحقيق الضروريات وقضاء الحوائج وتحصيل المنافع، ولما كان الأمر كذلك فقد وضع الشرع القواعد والأسس التي نظم بها أحكام الطريق، ومن ذلك؛ اعتبار المحافظة على الطريق شعبة من شعب الإيمان، وأن التعدي عليها منكر محرم مرفوض عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١١٤).

---

١١٢ – «مسند أحمد» (٢٩/ ٢٦١ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط مسلم»

١١٣ – «مسند أحمد» (٢٨/ ٢٥٨ ط الرسالة): «أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/٤٩١-٤٩٢»

١١٤ – وأخرجه مسلم (٣٥) (٥٨)، وابن ماجه بإثر الحديث (٥٧)

والمراد بإماطة الأذى؛ تنحيته وإبعاده، والأذى كل ما يؤذي من حجر أو شوك أو غيره.

ويُستدلّ أيضاً على حرمة الاعتداء على حق الطريق عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ ([١١٥]).

أي حقت عليه لعنتهم، فلهم أن يلعنوه، وفيه وعيد شديد يدل على عظيم جرم من وضع الأحجار والخشب والردم والإطارات المشتعلة في طريق الناس منعهم من مصالحهم أيا كانت.

قال الإمام الغزالي: فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار وإخراج الرواشن -أي: الشرفات- والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً([١١٦])

رابعا: عدم إتقان العمل، وإضاعة الوقت:

ومن صور التعدي على المال العام عدم إتقان العامل لعمله وإضاعة الوقت وذلك من ضعف الإيمان بالله تعالى وعدم مراقبته

واعلموا أن الإتقان ثمرة من ثمرات المراقبة لله تعالى، وأن ما نقوم به من عمل، فإن الله تعالى مطلع عليه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فالمسلم الحق هو الذي لا يراقب مديرة ولا رئيسه في العمل، بل يراقب الله تعالى، وتلك هي المراقبة الذاتية: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

خامسا: التربُّح من الوظيفة:

ومن صور التعدي عل المال العام أن يتربح الموظف من الوظيفة واستغلالها لأغراضه الأساسية وهذا أيضا من خيانة الأمانة وإضاعة للمال العام

ونقل أبو عبيد في كتاب الأموال عن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – كيف كان يضيء شمعة من مال المسلمين لينظر في ضوئها في شئونهم، فإذا سئل عن أحواله الخاصة يطفئ الشمعة ويضيء غيرها، ويقول: كنت أضيء شمعة من مال المسلمين و أنا في مصالحهم، أما وأنتَ تريد أن تسأل عن أحوالي، فقد أضأت شمعة من مالي الخاص.

---

[١١٥] – أخرجه الطبراني (١٧٩/٣، رقم ٣٠٥٠) قال الهيثمي (٢٠٤/١) : إسناده حسن

[١١٦] – (إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٣٩).

لا فليفقه هذا الكلام من يعتبر سيارة الدولة –التي خُوِّلها ليقضي بها مصالح المسلمين – كأنها سيارته الخاصة، يقضي بها مآربه ومآرب زوجته وأبنائه، ومن يعتبر الخط الهاتفي في مكتبه – الذي وضع رهن إشارته لتسهيل قضاء مصالح الناس – كأنه خطه هو، يتصل منه في حاجاته الخاصة ولا يبالي، ومن يسخر الموظفين الذي جُعلوا تحت يده، ويتقاضون أجرا من الدولة كأنهم موظفون عنده، ينقلون الأولاد إلى المدرسة، ويشترون أغراضه الخاصة من السوق،([117])

سادسا إهمال المال العام وإضاعته :

ومن صور التعدي على المال العام أن يهمله ولا يحافظ عليه مما يتسبب بإتلافه أو إضاعته فكم من أموال تعرضت للنهب والسرقة والتلف بسبب إهمال الموظف المسؤول عنها

تعالى أخي المسلم لترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يحافظ على المال العام

عَنْ مَوْلًى، لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ عُثْمَانَ فِي مَالٍ لَهُ بِالْعَالِيَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ إِذْ رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَكْرَيْنِ، وَعَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْفِرَاشِ مِنَ الْحَرِّ فَقَالَ: «مَا عَلَى هَذَا لَوْ قَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى يُبْرِدَ ثُمَّ يَرُوحُ»، ثُمَّ دَنَا الرَّجُلُ فَقَالَ: «انْظُرْ مَنْ هَذَا»، فَنَظَرْتُ فَقُلْتُ: «أَرَى رَجُلًا مُعَمَّمًا بِرِدَائِهِ يَسُوقُ بِكْرَيْنِ»، ثُمَّ دَنَا الرَّجُلُ فَقَالَ: «انْظُرْ»، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَامَ عُثْمَانُ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنَ الْبَابِ فَأَذَاهُ نَفْحُ السَّمُومِ فَعَادَ رَأْسَهُ حَتَّى حَاذَاهُ فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟» فَقَالَ: «بِكْرَانِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ تَخَلَّفَا وَقَدْ مُضِيَ بِإِبِلِ الصَّدَقَةِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُلْحِقَهُمَا بِالْحِمَى وَخَشِيتُ أَنْ يَضِيعَا فَيَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُمَا»، فَقَالَ عُثْمَانُ: «هَلُمَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَاءِ وَالظِّلِّ وَنَكْفِيكَ»، فَقَالَ: «عُدْ إِلَى ظِلِّكَ»، فَقُلْتُ: «عِنْدَنَا مَنْ يَكْفِيكَ»، فَقَالَ: «عُدْ إِلَى ظِلِّكَ»، وَمَضَى، فَقَالَ عُثْمَانُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَوِيِّ الْأَمِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»، فَعَادَ إِلَيْنَا فَأَلْقَى نَفْسَهُ ([118])

وعن علي رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه فقلت: لقد أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أخذت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة([119])

---

[117] – رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/30661/#ixzz71W9Va674

[118] – «مسند الفاروق لابن كثير ت إمام» (١/ ٣٧٢)

[119] – ابن الجوزي: مناقب ص ١٦١

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

أما بعد:

سابعا: الرشوة: و من الصور التي تؤدي إلى إهدار المال العام و إضاعة الحقوق انتشار الرشوة و جعلها سلما للغنى و الرشوة و من كبائر الذنوب قال الله تعالى﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

و اسمعوا عباد الله إلى ذلك الحديث عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلا مِنَ الأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِنَا، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، فَهَلا جَلَسَ، فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئًا إِلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَإِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»([١٢٠])

ثامنا: الهروب والتخفِّي من مُحَصِّل سيارات هيئة النقْل العام والقطارات، بل رُبَّما تعدَّى بعضُ الناس عليهما بالسباب والضرْب.

ومن صور التعدي على المال العام المحرمة جريمة ربما يراها البعض هينة وهي عند الله عظيمة ألا وهي التهرب من محصل تذاكر المواصلات سواء في الحافلات القطارات

تاسعا السرقة: وللسرقة صورا عديدة منها سرقة الكهرباء من الدولة بحجَّة أنَّها لا تُعطي المواطن حقَّه كاملاً.

ومن صور التعدي على المال العام أيها الأحباب سرقة الكهرباء والمياه بحجة أن الدولة لا تمنح المواطن حقه من موارد الدولة فيزين له الشيطان سوء عمله ويحلل له السرقة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده) ([١٢١]).

---

[١٢٠] – «مسند أحمد» (٣٩/ ٧ ط الرسالة): «والبخاري (٢٥٩٧) و (٧١٧٤) ، ومسلم (١٨٣٢) (٢٦)»

[١٢١] – أخرجه البخاري (٦٧٨٣) و (٦٧٩٩) ، ومسلم (١٦٨٧)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) ([١٢٢]).

عاشرا سرقة الأدوية والتلاعُب بها، و من صور التعدي على المال العام ما يحدث في بعض المؤسسات مثل: أنْ يقومَ الطبيب بوصْف أدوية لا يحتاج إليها المريضُ من حيث النوعيَّة والكميَّة، وإعطاء هذه الأدوية للصيدلية المتعاملة بالمسروقات، فتُباع بسعرٍ أقلَّ من سعر التكلفة لدواءٍ مُشْتَرى بشكلٍ رَسْمي، ومدوَّن عليه التسعيرة (لاصق النقابة)، ويقوم الصيدلاني بتغيير كميَّة الأدوية المكتوبة في الوصفة بطُرق غير مكشوفة، كأنْ يكون مكتوب في الوصفة علبة واحدة، فيغيِّر الصيدلي الرقْم إلى علبتين، ويأخذ العلبة الأخرى له.

وهذا من النصب والاحتيال على سرقة حقوق الأخرين والتعدي على المال العام بدون وجه حق الدعاء .....

[١٢٢] – أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) (١٠٠ – ١٠١)

محو الأمية قضية إسلامية وضرورة حياتية

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الرَّحْمَنِ، خَلَقَ الإنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ، وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ العِلْمَ أَسَاسَ الفَوْزِ والنَّجَاحِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالصَّلاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَمِينُهُ علَى وَحْيِهِ، وَرَحْمَتُهُ لِعِبَادِهِ، عَلَّمَهُ رَبُّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا، (صلى الله عليه وسلم) وَعلَى آلِهِ الأَطْهَارِ الأَبْرَارِ، وَأَصْحَابِهِ الأَتْقِيَاءِ الأَخْيَارِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهَمْ وَعَمَّنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

القراءة والكتابة هي مفتاح سر هذا الكون وهذه العوالم التي خلق الله، فمن اهتدى إلى هذا المفتاح ملك زمام الأمر، وملك روح المبادرة، فكان الإسلام بهذا الأمر الإلهي لرسول الله " مقرا بالأسرار الكونية، ومشجعا على العلم بها، وحاثا على المضي في الطريق الصحيح نحو السعادة الدنيوية والأخروية، بالاستعانة بالقراءة والعلم الضروريين في يهذا الحياة.

خطورة الأمية

اعلموا عباد الله أن الأمية تجعل من ضحاياها غرضا سهل المنال للتوظيف والاستعمال في منزلقات من شانها أن تخل بأسس ووحدة البلاد

– الأمية تعرقل الجهود المبذولة في سبيل ترقية دور المرأة في تربية أجيال المستقبل و مساهمتها الاقتصادية و تأثيرها الاجتماعي

– الأمية تحول دون ممارسة الشاب لحقه في التكوين المهني و حصوله على منصب عمل .وما يترتب عن ذلك من انحراف وأفاق اجتماعية

– الأمية لا تمكن الفرد من الولوج إلى مصادر المعلومات الصحية و الطبية الصحيحة و بالتالي فهي خطر على الحياة نفسها

– الأمية لها انعكاسات سلبية على حماية البيئة..

هل تعلم انه يوجد ١٦٠ مليون مسلم لا يقرأون ولا يكتبون في ٥ دول إسلامية

بلغ عدد الأميين في مصر ١٨,٤ مليون نسمة بمعدل ٢٥,٨٪ في تعداد ٢٠١٧.

الإسلام هو أول من حارب الأمية ودعا إلى التعليم والتعلم :

لقد كان الإسلام أولَ دينٍ حارب الأمية والجهل، ودعا إلى التعليم، ورفع مكانة العلم وأهلِه، فكانت أولُ الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم فيها إشادةٌ بالقراءة والقلم؛ قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

وفي هذه الآيات الشريفة دلالة عميقة وإشارة كبيرة إلى أهمية القراءة في الارتقاء بالإنسان والمجتمع، وصناعة التقدم العلمي والحضاري للأمة.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طَلَبُ العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ))([١٢٣]) .

فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس – وحسَّنه شعيبٌ الأرناؤوط – أنه: (كان ناسٌ مِن الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداءٌ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يُعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة)([١٢٤]) .

بل دلَّت الشواهد والآثار كذلك على أن زيدَ بنَ ثابتٍ رضي الله عنه كان ممن تعلَّموا القراءة والكتابة على يد أُسارى بدر.

---

[١٢٣] – رواه الترمذي (جزء من حديث طويل) وقال عنه: حديث حسن

[١٢٤] – أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٧)، والحاكم (٢/ ١٤٠) بإسناد يرقى للحسن.

وهكذا رأينا أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يطرُدَ الأُمِّية من حياة المسلمين؛ لأن المسلم تنتظرُه أشياء كبيرة، وهذه الأميَّة تُقيِّده وتمنعه أن ينهض بواجباته، والمشروعُ الحقيقيُّ للتغيير هو الذي يبدأ من الإنسان، وإن المشروع الإسلامي ركز منذ فجره على بِناءِ الإنسان علمًا وفقهًا.

الكتابة مأمور بها في عدة مواطن :

منها كتابة الدَين (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) (البقرة: ٢٨٢).

ومنها كتابة الوصية كما في الحديث (حق على كل امرئ مسلم ألا يبيت إلا ووصيته مكتوبة عنده)

و منها كما جاء في حديث البخاري وغيره. عن أبي رافع، قال: قلت: يا رسول الله، أللولد علينا حق كحقنا عليهم؟ قال: (نعم، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي، وأن يؤدبه طيبا)([١٢٥]).

التعليم وتعلم مسؤولية جماعية:

روى الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه عن جده، قال: خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً، قال: (ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله فيعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، ويتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة). ثم نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قال: الأشعريون هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاء من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا يا رسول الله، ذكرت أقواماً بخير، وذكرتنا بشر، فما بالنا؟ فقال: ليعلمن قوم جيرانهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا، فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله

---

[١٢٥] – أخرجه البيهقي [١٠/ ١٥] ، كتاب السبق والرمي: باب التحريض على الرمي. قال البيهقي عقب روايته له: هذا حديث ضعيف، عيسى بن إبراهيم الهاشمي هذا من شيوخ بقية منكر الحديث، وضعفه يحيى بن معين، والبخاري وغيرهما.

عليهم، وأعادوا قولهم، أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً، فقالوا: أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة يفقهونهم ويعلمونهم ويفطنونهم، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة: ٧٨، ٧٩)([١٢٦]) . ويعلق الدكتور الشيخ مصطفى السباعي – رحمه الله – على هذا الحديث فيقول: وإنك لترى في هذا الحديث من الحقائق ما يجدر التنبيه إليها:

١– فالرسول – عليه الصلاة والسلام – لم يقر قوماً على الجهالة بجانب قوم متعلمين.

٢– واعتبر بقاء الجاهلين على جهلهم وامتناع المتعلمين عن تعليمهم عصياناً لأوامر الله وشريعته.

٣– واعتبر ذلك أيضاً (عدواناً) و (منكراً) يوجبان اللعنة والعذاب.

٤–أعلن الحرب والعقوبة على الفريقين حتى يبادروا إلى التعلم والتعليم.

٥–وأعطاهم لذلك مهلة عام واحد للقضاء على آثار الجهالة فيما بينهم.

٦– ولئن كانت الحادثة قد وردت بشأن الأشعريين العلماء وجيرانهم الجهلاء، فإن الرسول أعلن ذلك المبدأ بصفة عامة، لا بخصوص الأشعريين وحدهم بدليل أن الأشعريين لما جاءوا يسألونه عن سر تخصيصهم بهذا الإنكار كما فهم الناس، لم يقل لهم أنتم المرادون بذلك بل أعاد القول العام الذي سلف ثلاث مرات دون أن يخصصه بالأشعريين، إشعاراً بأن القضية قضية مبدأ عام غير مخصوص بفئة ولا عصر معين. وبذلك يكون الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أعلن مكافحة الأمية قبل أن تعلنه الدول المتحضرة في عصرنا هذا بأربعة عشر قرناً، وإن هذا لعجيب أن يصدر من نبي أمي في بيئة أمية لولا أنه رسول الله.

إن القضاء علي الجهل وإن محو الأمية ومضاعفة الجهود لخدمة العلم والثقافة الإسلامية لمن أهم ما ينبغي علي المسلمين أن يوجهوا إليه عنايتهم وأن يبذلوا أقصي ما في الفكر الإسلامي والعمل علي

---

[١٢٦] – أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٦٤/١) قال الهيثمي: فيه بكير بن معروف قال البخاري: إرم به، ووثقه أحمد فى رواية وضعفه فى أخرى، وقال ابن عدى: أرجو أنه لا باس به.

قيام أكبر نهضة علمية علي أيدي المسلمين، وقد أولي الإسلام عنايته الكبري واهتمامه البالغ بالعلم والثقافة، ومحاربة الجهل والأمية، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله، ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صل الله عليه وسلم كلا المجلسين خير.. وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلما ثم أقبل فجلس معهم([١٢٧]).. إن العلم نور، وإن العلم أقوي سلاح وهو سبيل الرقي والنهوض والسعادة.

فوائد القراءة في الأخرة

واعتبر رسول الله أن قراءة القرآن ترتقي بالإنسان في الدنيا والآخرة، فقد روي عنه أنه قال: «يقالُ لِصاحِبِ القرآنِ: اقرَأ وَارقَ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ في دارِ الدنيا، فإنّ مَنزِلَتَكَ عندَ آخِرِ آيَةٍ كُنتَ تَقرَؤها»([١٢٨])

وعنه قال: «يقالُ لصاحِبِ القرآنِ إذا دَخَلَ الجَنّةَ: اقرَأْ وَاصعَدْ، فَيَقرَأُ ويَصعَدُ بكُلِّ آيَةٍ دَرَجةً حتّى يَقرَأَ آخِرَ شيءٍ مَعهُ مِنهُ»([١٢٩])

وفي موقف آخر كان رسول الله يزوج الرجل على أن يكون مهر المرأة تعليمها سورة أو آية من القرآن الكريم، وفي هذا أيضاً دلالة أخرى على عنايته بالتعليم والقراءة.

ولهذا استطاع الرسول الأكرم أن ينتقل بأمة العرب من الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الحضيض بين الأمم إلى الارتقاء العلمي والحضاري، وأن تكون الأمة الإسلامية في طليعة وصدارة تلك الأمم في فترة زمنية قصيرة.

---

[١٢٧] – أخرجه الدارمي: ١ / ٩٩ – ١٠٠، وأبو داود الطيالسي: صفحة (٢٩٨) ، والمصنف في شرح السنة: ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥.

[١٢٨] – رواه أحمد في "المسند" ٢/ ١٩٢ (٦٧٩٩) ومن طريقه المصنف، والترمذي كتاب فضائل القرآن (٢٩١٤) عن بندار، وابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" ٤٣/ ٣ م

[١٢٩] – «مسند أحمد» (١٧/ ٤٥٥ ط الرسالة): «أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٠) ، وأبو يعلى (١٠٩٤)»

وقد غرس رسول الله حب القراءة واكتساب العلوم والمعارف في قلوب وعقول المسلمين، وكان من ثمار ذلك تأسيس المكتبات الإسلامية التي أنشئت في التاريخ الإسلامي، وكانت من أعظم المكتبات وأكبرها ولقرون طويلة مثل: مكتبات بغداد، القاهرة، المدينة المنورة، دمشق، ، القدس، غرناطة، قرطبة، وغيرها من المكتبات الكبيرة والغنية بمختلف أنواع الكتب والمصنفات والموسوعات العلمية.

الخطبة الثانية

هل للتعليم سن معين ؟

اعلم بارك الله فيك أنه ليس لطلب العلم سن محدد، وليس لطلب العلم نهاية، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله يعلم ويتعلم حتى بعد أن أصبح إمام الدنيا، فقالوا له: إلى متى تحمل المحبرة؟ فقال لهم: (المحبرة إلى المقبرة)، وسمع الإمام الطبري كلمات مفيدة في آخر لحظات حياته، فقال: أجلسوني، ثم طلب الدواة والقلم، وكتب ما سمع، فتعجب الناس، وقالوا له: وأنت في هذه الحالة؟ فقال لهم: (ما ينبغي للإنسان أن يضيع لحظة من حياته)، فكتب ما سمع ثم مات، وهكذا ظل طلب العقلاء للعلم لا يتوقف.

الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام الفضيل بن عياض : قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. اهـ.

ومن أشهر من ذكر عنهم الطلب بعد كبر السن: ابن حزم الأندلسي، قال الذهبي: قال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ـ يعني: والد أبي بكر بن

العربي: أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد، وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة، قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة ـ وكان بعد العصر ـ قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون، قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على موطأ مالك، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوا من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة. اهـ.

ونقل الحموي في معجم الأدباء عن أبي محمد بن العربي أيضا: أن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونبه، ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة ابنه أحمد ثم ابنه عليّ الإمام، وأقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستا وعشرين سنة، وقال: إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات. اهـ.

ومن هؤلاء أيضا سلطان العلماء العز بن عبد السلام، قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: كان الشيخ عز الدين في أول أمره فقيرا جدا ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة من جامع دمشق فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعا ونزل في بركة الكلاسة فحصل له ألم شديد من البرد وعاد فنام فاحتلم ثانيا، فعاد إلى البركة، لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج فطلع فأغمي عليه من شدة البرد ـ أنا أشك هل كان الشيخ الإمام يحكي أن هذا اتفق له ثلاث مرات تلك الليلة أو مرتين فقط ـ ثم سمع النداء في المرة الأخيرة: يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟ فقال الشيخ عز الدين: العلم لأنه يهدي إلى العمل، فأصبح وأخذ التنبيه فحفظه في مدة يسيرة، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله تعالى. اهـ.

ومنهم أيضا الإمام القفال–رحمه الله قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: الإمام العلامة الكبير، شيخ الشافعية، أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله، المروزي الخراساني، حذق في صنعة الأقفال حتى عمل قفلا بآلاته ومفتاحه زنة أربع حبات، فلما صار ابن ثلاثين سنة، آنس من نفسه ذكاء مفرطا، وأحب الفقه، فأقبل على قراءته حتى برع فيه، وصار يضرب به المثل، وهو صاحب طريقة

الخراسانيين في الفقه... قال أبو بكر السمعاني في أماليه: كان وحيد زمانه فقها وحفظا وورعا وزهدا، وله في المذهب من الآثار ما ليس لغيره من أهل عصره، وطريقته المهذبة في مذهب الشافعي التي حملها عنه أصحابه أمتن طريقة، وأكثرها تحقيقا، رحل إليه الفقهاء من البلاد، وتخرج به أئمة، ابتدأ بطلب العلم وقد صار ابن ثلاثين سنة، فترك صنعته، وأقبل على العلم. اهـ.

وقال عنه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: الإمام الزاهد الجليل البحر أحد أئمة الدنيا ... كان قد ابتدأ التعلم على كبر السن بعدما أفنى شبيبته في صناعة الأقفال. اهـ.

ومنهم الإمام الكسائي المقرئ المعروف وشيخ العربية الذي قال عنه الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي.

كما نقل الذهبي في السير وقال: الإمام شيخ القراءة والعربية ... اختار قراءة اشتهرت، وصارت إحدى السبع. اهـ.

قال أبو البركات الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء: قال أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيا، فجلس إلى قومٍ فيهم فضل، وكان يجالسهم كثيراً، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن! فقال: كيف لحنت؟ فقالوا: إن كنت أردت من التعب، فقل: أعييت؟ وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت مخففة، فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته، فقال رجل من الأعراب: تركت أسداً وتميماً وعندهما الفصاحة، وجئت إلى البصرة ؟! وقال للخليل بن أحمد: من أين علمُك؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ولم يكن له هم غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس بن حبيب البصري النحوي، فجرت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها، وصدره موضعه. اهـ.

وقد استطاع أحد العمال في جامعة أم درمان الإسلامية أن يتعلم بعد كبر سنه، فدرس مراحل التعليم كاملة، ثم تخرج من الجامعة، ونال شهادة الدكتوراه، واحتفت به الجامعة والزملاء، وقد بدأ العز بن عبد السلام في طلب العلم متأخر جداً، ولكنه لم يمت إلا بعد أن أصبح إماما وسلطانا للعلماء، وأنت لا زلت في المراحل الأولى في سنوات الحياة.

الاهتمام بالشأن العام للأمة

(عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُنْمُوذجًا)

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الجواد... خلق الإنسان من نطفة وجعل له السمع والبصر والفؤاد...

أنزل الغيث مباركا فأحيا به البلاد... وأخرج به نبات كل شيء رزقا للعباد...

نحمده تبارك وتعالى حمد الطائعين العباد... ونتوكل عليه توكل المخبتين الزهاد... ونعوذ بنور وجهه الكريم من الوعيد بسوء المهاد...ونرجوه تحقيق الأمل فى الوعد والمعاد... ونسأله النصر فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد...

وأشهد أن لا إله إلا الله المضل الهاد... المنزه الذات عن الأشباه والأنداد... الفعال لما يريد ولا يقع فى ملكه إلا ما أراد...خلق سبع سموات طباقا بغير عماد...ومن الأرض مثلهن وأرسى الجبال كالأوتاد...سبقت كلمته أن من أطاعه عز في الأرض وساد...ومن كفر أمهله وهو له بالمرصاد...

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد الأسياد... سيد الأولين والآخرين من حاضر وباد...خير من دعا وهدى وبالخير العظيم جاد...

... اللهم صل وسلم وبارك عليه حيث الصلاة عليه لنا خير زاد...ما نادى للصلاة مناد...وكلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم التناد...

أما بعد:.....

✍ أولا: من هو عمر بن الخطاب وما هي منزلته ؟

أمة الحبيب الأعظم محمد صلى الله عليه و سلم– حديثنا اليوم عن الاهتمام بالشأن العام و حمايته و ذلك من خلال سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب و ما أدراك ما عمر ؟

فاروق الأمة من فرق الله به بين الحق و الباطل

اللهم المحدث الذي أجرى الله الحكمة و الحق على لسانه

إنَّه مرقع القميص، وبين يديه الغالي والنفيس، إنَّه من يسلك الشيطان فجًا غير فجه، إنَّه الوقَّاف عند كتاب الله، المجاهد في سبيل الله، إنَّه القِيَم والمُثُل بعينها، وما أروع المثل يوم تكون رجالاً فتكون الأخلاق فِعالاً!

إنَّه العادل إنْ ذكر العادلون، هو من سهر لينام الناس، وجاع ليشبع الناس، هو من جعل كبير المسلمين أبًا، وأوسطهم أخًا وأصغرهم ولدًا

عمر الذي لا يجهله أحد، وفي نفس اللحظة قلَّ أن يعرفه أحد في هذا العصر.

قال ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن عمر رضي الله عنه : مُهاجري أوليّ بدريّ .

يعني أن عمر رضي الله عنه من أوائل المهاجِرين .

وهو بَدري أي أنه شهِد بَدر .

قال عمر : وافقت ربي في ثلاث : فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت : (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) ، وآية الحجاب قلت : يا رسول الله لو أمَرْتَ نساءك أن يحتجبن ، فإنه يُكلّمهن البر والفاجر ، فَنَزَلَتْ آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) ، فَنَزَلَتْ هذه الآية .

رواه البخاري

وهذا من الإلهام الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثُون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم . رواه البخاري ومسلم .

قال ابن وهب : تفسير مُحَدَّثُون مُلْهَمُون .

وشهِد له النبي صلى الله عليه وسلم بالعِلم .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْعِلْمُ».([١٣٠]).

وشهد له بصواب الرأي .

عَنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الْعَصْرَ فَقَامَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَرَآهُ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِصَلَاتِهِمْ فَصْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَحْسَنَ ابْنُ الْخَطَّابِ " ([١٣١])

إنه مبشر بالجنة :

عَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لِبِلَالٍ: «أَمْسِكْ عَلَيَّ الْبَابَ» قَالَ: فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَأَدْلَى رِجْلَيْهِ، فَجَاءَ بِلَالٌ فَقَالَ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَجَاءَ فَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ ضُرِبَ الْبَابُ، فَجَاءَ بِلَالٌ فَقَالَ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» قَالَ: فَجَاءَ فَجَلَسَ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ عَلَى الْقُفِّ مَعَهُ، ثُمَّ ضُرِبَ الْبَابُ فَجَاءَ بِلَالٌ فَقَالَ: هَذَا عُثْمَانُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ وَمَعَهَا بَلَاءٌ».([١٣٢])

ورأى له النبي صلى الله عليه وسلم قصراً في الجنة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ،

---

[١٣٠] – أخرجه البخاري (٧٠٣٢) ، ومسلم (٢٣٩١) ، والترمذي (٢٢٨٤) و (٣٦٨٧)

[١٣١] – أخرجه أبو داود (١٠٠٧) ، والطبراني في "الكبير" ٢٢/ (٧٢٨) ، وفي "الأوسط" (٢١٠٩) ،

[١٣٢] – البخاري (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣) (٢٨) ، سيرد ٣٩٣/٤.

فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَبَكَى عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟ ([١٣٣])

✍ ثانيا اهتمام عمر بالشأن العام للرعية:

ذكر ابن الجوزي عن الشعبي قال: "سمع الناس قول عمر رضي الله عنه ورأوا عمله، وكان يمشي في الأسواق ويطوف في الطرقات، ويقضي بين الناس في قبائلهم، ويعلمهم في أماكنهم، ويخلف الغزاة في أهليهم، ذكروا أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بأبي بكر رضي الله عنه، وأبو بكر أعلم بعمر، فكان أبو بكر مع لينه أقواهم فيما لانوا عنه، وألينهم فيما ينبغي، وكان عمر أليهم فيما ينبغي، وأقواهم على أمرهم"([١٣٤])

✍ اهتمام عمر بن الخطاب بالرعية ضرب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أروع الأمثلة في مراقبة الله تعالى، والخشية منه، وهذا ما جعله يقوم بحقّ الرعية، ويهتم بأمر المسلمين على أكمل وجه، حتى روي عنه أنّه كان يقول: (إنّي والله لأكون كالسراج، يحرق نفسه ويضيء للناس)([١٣٥])

أول ما وُلِّيَ عمر بن الخطاب أمر المسلمين، قال في خطبته: (أيّها الناس قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدّكم استطلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم)، وقال أيضاً: (إنّ الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحدٌ دوني، ولا يتغيّب عني فآلوا عن الجزء والأمانة، ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكّلنّ بهم).([١٣٦])

قدم معاوية بن حديج رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية، وأناخ راحلته، فخرجت جارية لعمر رضي الله عنه فرأته وعليه أثر السفر، فأدخلته، فقربت إليه خبزاً وزيتاً وتمراً، فأكل، فقال عمر لمعاوية رضي الله عنهما: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال:

---

[١٣٣] – أخرجه البخاري "٥٢٢٥"

[١٣٤] – ابن الجوزي: مناقب ص ٦٦، ٦٧،

[١٣٥] – رواه ابن شبة / تاريخ المدنية ٣٤٩/٢،

[١٣٦] – رواه عبد الرزاق / المصنف ٣٢٦/١١. ابن سعد / الطبقات ٢٧٤/٣، ابن شبة / تاريخ المدينة ٢٤١/٢، ٢٤٠،

قلت: إن أمير المؤمنين قائل، قال عمر: بئس ما قلت أو بئس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟! (١٣٧)

وقبل وفاته بأيام قلائل يقول : "لئن أبقاني الله لأعملن رأيًا للمسلمين لا تحتاج فيه بعدي أَيِّمٌ – وهي المرأة التي لا زوج لها– إلى رجل". لكنه مات قبل أن يتم ما عزم عليه.

كان رضي الله عنه– يرعى الكبير و الصغير الذكر و الأنثى المسلم و غير المسلم عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: "خرجت مع عمر رضي الله عنه إلى السوق، فلحقته امرأة شابة، فقالت: "يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً، ما يُنضِجون كراعاً(١٣٨)، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت عليهم الضيع، وأنا ابن خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف معها ولم يمضِ، وقال: "مرحباً بنسب قريب"، ثم انصرف إلى بعير ظهيرٍ كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها خطاماً، قال: "اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير". فقال رجل: (يا أمير المؤمنين أكثرت لها؟ " فقال عمر: "ثكلتك أمّك، والله إني رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحناه ثم أصبحنا نستقي سُهْمَانَهُما فيه".

ومن الآثار المروية عن عمر رضي الله عنه في اهتمامه بأمر و شان الرعية ، ما روي من أن عمر رضي الله عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر، فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل ببابك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟ (١٣٩)

عمر رضي الله عنه و اهتمامه حتى بالدواب:

---

١٣٧ – رواه أحمد / الزهد ص ١٥٢، ابن عبد الحكيم / فتوح مصر ص ٨١،

١٣٨ – والكراع: ما دون الكعب من الدواب. أو لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه

١٣٩ – رواه ابن قدامة / الرقة ص ٨٤،

إخوة الاسلام حتى الدواب كان لها نصيبا من اهتمام عمر رضي الله عنه – لانه يعلم ان الله تعالى سائله كما في الحديث عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» ([١٤٠]) كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– شديد الخشية من الله تعالى، حتى إنّه كان يقوم على علاج البعير بنفسه؛ فيدخل يده في قرحتها، ويقول: (إنّي أخاف أن أسأل عمّا بك).([١٤١])

قال عمر رضي الله عنه: لو مات جمل من عملي ضياعاً، خشيت أن يسألني الله عنه([١٤٢])

وروي أن عمر رضي الله عنه كان في سفر، فسمع صوت راع في جبل، فعدل إليه، فلما دنا منه صاح: يا راعي الغنم، فأجاب، فقال له عمر: إني مررت بمكان هو أخصب من مكانك، وإن كل راع مسؤول عن رعيته، ثم عدل صدور الركاب([١٤٣])

تحذيره رضي الله عنه للولاة من ظلم الرعية :

و لقد كان رضي الله عنه شديد الحرص على رعيته و على سلامتهم من الظلم و الجور الذي يصدر كثيرا من الولاة فكان – رضي الله عنه – إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول: "إني لم أستعملكم على أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أشعارهم ولا على أبشارهم، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة، وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل،.... " ([١٤٤]).

روي أنّ رجلاً من أهل مصر تسابق مع ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فلمّا سبق المصري، ضربه ابن عمرو بن العاص بالسوط، وقال أنا ابنُ الأكرمِينَ، فذهب ذلك المصري إلى عمر بن الخطاب، واشتكى له الأمر، فأرسل عمر كتاباً إلى عمراً يأمره بالقدوم إليه، وإحضار ابنه معه، فلمّا وصلوا إليه قال أمر المصري بأخذ السوط، وضرب ابن الأكرمين، فأخذ المصري السوط، وضربه ضرباً

---

[١٤٠] – أخرجه أحمد ٢٥/٥، والبخاري (٧١٥١) ، ومسلم (١٤٢) .

[١٤١] – رواه ابن سعد / الطبقات ٢٨٦/٣، البلاذري / أنساب الأشراف ص ٢١٧،

[١٤٢] – المطالب العالية لابن حجر ق ٥٠٤/أ. ابن سعد / الطبقات ٣٠٥/٣، ابن أبي شيبة / المصنف ٩٩/٧،

[١٤٣] – رواه ابن سعد / الطبقات ٢٩١/٣، ٢٩٢، البلاذري / أنساب الأشراف ص ٢٢٨

[١٤٤] – تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري (٥٦٧/٢).

موجعاً، ثمّ قال له ضع السوط على صلعة عمرو، فقال المصريّ يا أمير المؤمنين إنّما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: (منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، فقال عمرو: (يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني ([١٤٥])

كيف حارب الفاروق الفساد؟

كان الفاروق العظيم عمر بن الخطاب إذا سن قانونا أو حظر أمرا أو أراد أن يلزم الناس بشيء من الخير جمع أهله وأقاربه أولا فعن ابن عمر، قال: "كان عمر رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء دخل على أهله، وقال: "إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتهم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أُوتَى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلاّ أضعفت له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم فليتأخر" ([١٤٦]).»

لقد اشتد عمر – رضي الله عنه – على أهل الريب والتهم وهو أول من عس في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدب بها، ولقد قيل بعده لدرة عمر أهيب من سيفكم ([١٤٧]). وكان عمر – رضي الله عنه – يعس ذات ليلة بغية الاطمئنان على أحوال رعيته، فسمع امرأة تقول: هل من سبيل إلى خمر فأشربها، أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج؟ فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سليم فأرسل إليه فأتاه فإذا هو من أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً، فأمره عمر أن يحلق شعره ففعل، فخرجت جبهته فازداد حسناً، فأمره عمر أن يعتم ففعل، فازداد حسناً، فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها! فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة([١٤٨])

عمر بن الخطاب سيضاعف العذاب لمن يقع فى الفساد أو يستلب أموال الدولة أو حتى يقترب منها حتى لو كان من أهله وأسرته أو أقاربه.

---

[١٤٥] – ابن الجوزي: مناقب ص ٩٨، ٩٩، المتقي الهندي: كنْز العمال ٦٦٠/١٢،

[١٤٦] – ابن شبه: تاريخ المدينة ٧٥١/٣، وإسناده حسن. وابن الجوزي: مناقب ص ٢٤٠، والطبري: التاريخ ٢٠٧/٤،

[١٤٧] – لطبقات الكبرى لابن سعد (٢٨٢/٣)

[١٤٨] – الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٨٥/٣).

ذكر ابن الجوزي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: "اشتريت إبلاً وارتجعتُها إلى الحمِى، فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر رضي الله عنه السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: "لمن هذه الإبل؟ "، فقيل: "لعبد الله بن عمر"، فجعل يقول: "يا عبدَ الله بن عمر! بخٍ بخٍ، ابنُ أمير المؤمنين"، قال: "فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ "، قال: "ما هذه الإبل؟ "، قال: قلت : "إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون"، قال: "يقال: ارْعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغد ابن عمر اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين"([149]).

وعن جُميع بن عُمير التيم، قال: "سمعت عبد الله بن عمر يقول: "شهدت جلولاء فاتبعت من الغنائم بأربعين ألفاً، فقال: "يا عبد الله ابن عمر لو انطلق بيَ إلى النار، كنت مفتدي؟ "، قلت: "نعم. بكل شيء أملك". قال: "فإني مخاصمٌ، وكأني بك تبايع بجلواء ويقولون: [هذا] عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهماً أحبَّ إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش".

ثم أتى باب صفية بنت أبي عبيد، فقال: يا صفية بنت أبي عبيد أقسمت عليك أن تُخرجي من بيتك شيئاً، أو تخرجين منه وإن كان عنق طَبِيَّةٌ ([150])، قالت: "يا لأمير المؤمنين ذلك لك"، ثم تركني سبعة أيام، ثم استدعى التجار، ثم قال: "يا عبد الله بن عمر إني مسؤولٌ"، فباع من التجار متاعاً بأربع مئة ألف، فأعطاني ثمانين ألفاً وأرسل بثلاث مئة وعشرين ألفاً إلى سعد، فقال: "أقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة، فإن كان أحد منهم مات فابعث بنصيبه إلى ورثته"([151])

الخطبة الثانية

عمر رضي الله عنه يجوع كما تجوع رعيته:

أيها الأحباب لم عمر رضي الله عنه بمعزل عن رعيته فلم يسكن القصور الشاهقة و لم يتلقب في الحرير و لم يكن يأكل أطايب الطعام و الرعية تقاسي الجوع و الفقر بل كان يجوع كما يجوعون و

---

[149] – ابن الجوزي: مناقب ص ١٥٩، البيهقي: السنن: ١٤٧/٦،

[150] – الطّبيُ: حلمات الضّرع التي من خفٍ وظلفٍ وحافرٍ وسبع. (لسان العرب ٦٤/١٥، القاموس ص ١٦٨٤) .

[151] – أبو عبيد: الأموال ص ٢٧٣، ابن زنجويه: الأموال: ٥٩٢/٢، البلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ١٧١، ١٧٢،

يتألم لألمهم "كان عمر رضي الله عنه يصوم الدهر، فكان عام الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها، فَأُتِي به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: "أنى هذا؟ "، قالوا: "يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم"، قال: "بَخْ بَخْ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها(١٥٢)، ارفع هذه الصحفة، هات لنا غير هذا الطعام"، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسره بيده ويثرد ذلك الزيت، ثم قال: "ويحك يا يرفأ! احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثمغ(١٥٣)، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحْسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم"

قال ابن سعد: "ونظر عمر عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال: "بَخْ بَخْ يا [ابن] أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمة محمّد هزلى؟ "، فخرج الصبي هارباً وبكى، فقالوا: "اشتراها بكفنوى"(١٥٤).

قال ابن سعد: "قال عياض بن خليفة: "رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرّمها فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر"

وعن أسلم قال: "كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين".(١٥٥)

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال عام الرمادة وكانت سنة شديدة ملحة، وبعدما اجتهد في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها حتى محلت الأرياف كلها جهدها ذلك [فقام] عمر يدعو فقال: "اللهم ارزقهم على رؤوس الجبال"، فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزلت الغيث: "الحمد لله، فوالله لو أن الله تعالى لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت عليهم معهم عدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحداً" (١٥٦).

---

١٥٢ – عظِام مَحال البعير

١٥٣ – موضع مال لعمر وقفه بالمدينة. (معجم معالم الحجاز ٨٨/٢) .

١٥٤ – ابن سعد: الطبقات ٣١٥/٣، وفيه الواقدي، ابن الجوزي: مناقب ص ٧٠.

١٥٥ – ابن سعد: الطبقات ٣١٥/٣، وفيه الواقدي، ابن الجوزي: مناقب ص ٧١.

١٥٦ – ابن سعد: الطبقات ٣١٦/٣، وإسناده صحيح

وعن ابن طاووس عن أبيه، قال: "أجدب الناس على عهد عمر فما أكل سميناً ولا سمناً حتى أكل الناس". (١٥٧).

وعن يحيى بن سعيد، قال: "اشترت امرأة عمر بن الخطاب لعمر فرْقاً من سمن بستين درهماً، فقال عمر: "ما هذا؟ "، فقالت امرأة: "هو من مالي ليس من نفقتك"، فقال عمر: "ما أنا بذائقه حتى يحيى الناس". .(١٥٨)

قال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة، لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين، وعكة زيت في يده وإنه ليعتقب –أي يتناوب– هو وأسلم فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريبًا. قال: فأخذت أعقبه –أعاونه– فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صرم –جماعة– نحو من عشرين بيتًا من محارب فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد. قال: وأخرجوا لنا جلد ميتة مشوية كانوا يأكلونها، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها قال: فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة، فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك. وكان يصلي بالناس العشاء ثم يخرج إلى بيته فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل، ثم يخرج فيأتي الأنقاب، فيطوف عليها وقد ذكر عبد الله بن عمر بأنه قال: وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي. ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء. يردد هذه الكلمات.

[١٥٧] –٦ ابن سعد: الطبقات ٣١٣/٣، البلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ٢٩٦، ابن الجوزي: مناقب ص ٧١،

[١٥٨] – ابن الجوزي: مناقب ص ٧٢، محب الدين: الرياض النضرة ٣٨٦/١،

علو الهمة وصلابة الإرادة في مواجهة الأزمات

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدو سعيهم مشكورا، وحقق آمال الآملين برحمة فمنحهم عطاء موفورا، وبسط بساط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم مغفورا، وأسبل من نعمه على الطالبين وابلا غزيرا، سبحانه فتح الباب للطلبين، وأظهر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين ((ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

الذي سبح نفسه بما أولاه من وده، فقال جل وعلى ((سبحان الذي أسرى بعبده))

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا فصلوا عليه بكرة وأصيلا

ملئت بنبوته الوجود فأظهرا بحسامه الدين الصحيح فأسفرا

ومن لم يصلي عليه كان بخيلا فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد:

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون عن علو الهمة وصلابة الإرادة في مواجهة الأزمات....

إن عالي الهمة فولاذي الإرادة، عصامي النفس تنصهر، أمام همته العالية الأزمات، وتنفل أمام إرادته المعضلات

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا طلع نجمُ الهمة في ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة –أشرقت أرض القلب بنور ربها"([159])

فهيا أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء لنحلق في سماء الهمم السامقة في مدرسة النبوة لنرى أنه مع الإيمان والهمة لا توجد أزمات ولا مشكلات لذا قال الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه: "لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته. ([160])

وقال ابن القيم: "لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه"([161]).

صاحب الهمة العالية تحلق به همته دائماً فتأمره بإنجاز كثير من الأعمال المتداخلة في وقت واحد فليطعها بقدر ولا يستبعد ما تأمره به وفي الوقت نفسه لا يَقُمْ به كلِّه بل يأخذ منه بقدر ما يعرف من إسعاف همته له بالقيام به .

أولا: همة النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة أزمة الأحزاب

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة، والقدوة الرائعة، في علو الهمة والشَّجَاعَة والإقدام، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حمي الوطيس في الحرب ، كان أكثر الناس شجاعة، وأعظمهم إقدامًا، وأعلاهم همة، وقد قاد صلوات الله عليه بنفسه خلال عشر سنين سبعًا وعشرين غزاة، وكان يتمنى أن يقوم بنفسه كل البعوث التي بعثها والسرايا التي سيرها، ولكن أقعده عن ذلك أنه كان لا يجد ما يزود به جميع أصحابه للخروج معه في كل بعث، وكان أكثرهم لا تطيب نفسه أن يقعد ورسول الله قد خرج إلى الجهاد.

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: لقد رمى العرب الرسول صلى الله عليه وسلم – عن قوس واحد فشنوا عليه حربا عالمية اجتمع فيها جحافل الكفار والمنافقين واليهود و لكن الحقيقة أننا لا ننتصر على عدونا بكثرتنا ولا بأسلحتنا و إنما ننتصر عليهم بإيماننا و هممنا التي تثبت كالجبال الراسيات أمام الفتن و المدلهمات

عقد النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا عسكريا لحل تلك الأزمة الراهنة واستشار أصحابه في كيفية صد ذلك العدوان الغاشم وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق و قد كان الخندق يمتد من أم

---

[159] – (الفوائد، ص: [٧٩]).

[160] – محاضرات الأدباء ١/٤٤٥ .

[161] – الدرر الكامنة ٤/٢١ .

الشيخين طرف بني حارثة شرقًا حتى المداد غربًا، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة، وكان على كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعًا ([١٦٢])

وقد تَمَّ الحفر في ظروف شديدة الصعوبة؛ فقد كان الجو شديد البرودة، عاصف الرياح، والمدينة قد أصابتها مجاعة ([١٦٣])، وكان الجيش يلبث ثلاثة أيام لا يذوقون طعامًا، ورغم كل الظروف الصعبة تَمكَّن المسلمون من إنجاز الخندق في ستة أيام فقط. ([١٦٤])

عن سهل بن سعد – رضي الله عنه – قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُونَ، وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرة فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ والأنصار"([١٦٥])

وعن أنس قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ : "اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ.. فَاغْفِرْ للأنصار وَالْمُهَاجِرَهْ"

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا.. عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا.

فكَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ ([١٦٦]) [

وعن الْبَرَاءَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا [إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا]

إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبَيْنَا أَبَيْنَا (١٦٧)

✍ ثانيا: علو الهمة وتجهيز جيش العسرة:

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: لما كانت هذه الغزوة في زمان عُسْرَةٍ من الناس، وجدْبٍ في البلاد، حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على البذل والإنفاق فيها حث رسول الله–صلى الله عليه وسلم –

---

[١٦٢] –السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٢١).

[١٦٣] –البخاري (٣٧٩٢)

[١٦٤] –وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبدالله السمهودي (٤ / ١٢٠٨)، دار الآداب والمؤيد – مصر.

[١٦٥] – [البخاري، برقم:(٣٧٨٩)].

[١٦٦] – البخاري: برقم (٣٧٩٥)]

[١٦٧] –. [البخاري :(٣٧٩٥)، ومسلم: (٣٣٦٥)]

الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله،

و هنا سارع أصحاب الهمم الأخروية إلى نداء خير البرية صلى الله عليه وسلم لمواجهة تلك الأزمة و لردع ذلك العدو المتربص بالأمة الإسلامية فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان رضي الله عنه صاحب القِدْح المُعَلَّى في الإنفاق في هذه الغزوة ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَفِي كُمِّهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَلَّى ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ : مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا. (١٦٨)

عَن زَيْدِ بن أَسْلَمَ، عَن أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، رَضِيَ الله عَنه يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ فَقُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: فَأَتَى أَبو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وَسَلمَ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.(١٦٩)

ثالثا: (علو همة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– في الأزمات وصلابته)

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهت الأمة الإسلامية أكبر محنة وأكبر أزمة مرت بها ألا وهي وفاة رسولها وقائدها صلى الله عليه وسلم وأظلمت المدينة وارتدت قبائل العرب ومنع من منع زكاة المال فهيئ الله تعالى لها الصديق –رضي الله عنه–صاحب الهمة الفولاذية والإرادة الحديدية حيث بدا بعد توليه الخلافة بعدة قرارات حاسمة وصرامة وهي:

أولا: إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه: أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: كان أول قرار يتخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الخلافة، هو قرار إنفاذ بعث أسامة بن زيد، وكان قد أنفذ هذا البعث ليحارب الرومان وقبائل قضاعة الموجودة في شمال الجزيرة العربية، وقد أشار بعض الصحابة على أبي بكر بأن لا ينفذ بعث أسامة ويظل هذا الجيش في المدينة ليحميها من المتربصين بها.

---

١٦٨ – الترمذي في سننه ج ٥/ ص ٦٢٦ حديث رقم: ٣٧٠١ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٥١٥)

١٦٩ – الدارمي في سننه ج١/ص٤٨٠ ح١٦٦٠

أصر أبوبكر بهمة عالية أن يُنفذ هـذا الجيش مع كل ما يحيط بالمسلمين من خطورة، واختلف معه بعض الصحابة أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأنَّ ما جهز بسببه، في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أنَّ الطير تخطَّفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أنَّ الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزنَّ جيش أسامة) ([١٧٠]) .

عاد جيش أسامة ظافراً غانماً بعدما أرهب الرُّوم حتى قال لهم هرقل وهو بحمص بعدما جمع بطارقته: هذا الذي حذرتكم، فأبيتم أن تقبلوا منِّي!! قد صارت العرب تأتي مسيرة شهرٍ، فتغير عليكم، ثمَّ تخرج من ساعتها، ولم تكْلَمْ. وقد أصاب القبائل العربيَّة في الشمال الرُّعب، والفزع من سطوة الدَّولة، وعندما بلغ جيش أسامة الظَّافر إلى المدينة تلقّاه أبو بكرٍ، وكان قد خرج في جماعةٍ من كبار المهاجرين، والأنصار للقائه، وكلُّهم خرج، وتهلَّل، وتلقَّاه أهل المدينة بالإعجاب، والسُّرور، والتَّقدير، ودخل أسامة المدينة، وقصد مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصلَّى لله شكراً على ما أنعم به عليه وعلى المسلمين .

✍ ثانيا: قتال مانعي الزكاة و من الأزمة التي كادت أن تعصف بالأمة الإسلامية فتصدي لها أبو بكر رضي الله عنه حتى قضى عليها..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ، وَنَفْسَهُ ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَوَاللَّهِ ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ([١٧١])

✍ ثالثا: تجهيز الجيوش لحرب المرتدين:

---

[١٧٠] – ((البداية والنهاية)) لابن كثير (٣٣٥/٦).

[١٧١] – أخرجه أحمد (١٩/١) (١١٧) والبخاري (١٣١٠/٢ ١٤٧٥ه مسلم (٣٨/١).

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: عاد –في هذه الأثناء– أسامة بن زيد وجيشه بعد سبعين يومًا من خروجهم فأبقاه الخليفة في المدينة حتى يستريح هو وجنده، وهاجم بالقوى التي توفَّرت له مضارب بني ذبيان، ودخلها بعد أن انسحب منها هؤلاء بفعل ضغط القتال، ثُمَّ عاد إلى المدينة ليستعدَّ لحرب المرتدِّين[١٧٢]، فعبَّأ المسلمين وجهَّز من الجيوش أحد عشر لواءً تتناسب في عديدها وفي إماراتها وفي وجهتها مع قوَّة القبائل التي وجَّهها إليها ومدى إلحاحها في ردَّتها، فخصَّص ثمانية ألوية للجنوب بفعل تركُّز غالبيَّة المرتدِّين والمتنبِّئين في الأماكن الجنوبية، في حين وجَّه ثلاثة ألوية إلى الشمال، واحتفظ بقوَّةٍ عسكريَّةٍ لحماية المدينة.

خرجت الألوية الإسلاميَّة في ضوء هذه التوجُّهات في اتجاهاتٍ متعدِّدة، ومعها أوامر مشدَّدة بقمع ثورات القبائل دون تمييزٍ بين دافعٍ وآخر، والقضاء على الأخطار التي واجهت الإسلام ودولته الناشئة. (١٧٣)

وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

أما بعد أيها الإخوة:

رابعا: مجاعة ولا ابن الخطاب لها:

في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعت بالمدينة وما حولها من القرى مجاعة شديدة، وكان ذلك في ١٨هـ بعد عودة الناس من الحج، فحبس المطر من السماء وأجدبت الأرض، وهلكت الماشية، واستمرت هذه المجاعة تسعة أشهر، حتى صارت الأرض سوداء فشبهت بالرماد(١٧٤)

وقد واسى عمر رضي الله عنه الناس بنفسه، فحرمها من الطعام الذي لا يجده الناس. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "تقرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن، فنقر بطنه بأصبعه. وقال: تقرقر تقرقرك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس"(١٧٥) .

---

١٧٢ – الطبري: ج٣ ص٢٤٦.

١٧٣ – أبو بكر الصديق وقتال المرتدين أ.د: محمد سهيل طقوش

١٧٤ – ابن سعد: الطبقات ٣/٣١٠ من رواية الواقدي

١٧٥ –رواه ابن سعد: الطبقات ٣/٣١٣–٣١٥، عبد الرّزّاق: المصنف ١١/٢٢٣. صحيح من طريق ابن سعد. قال: أخبرنا عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن ثابت البناني عن أنس بن مالك ...

وأكل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعير، فصوت بطنه، فضربه بيده، وقال: "والله ما هو إلا ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين" ([١٧٦])

وعمل عمر رضي الله عنه على جلب الطعام من الأرياف لأهل البوادي، وكان يدعو الله عز وجل أن يفرج عن المسلمين كربتهم. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو يصف عام الرمادة: "وكانت سنة شديدة ملمة ... اجتهد عمر فيها بإمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلّها، حتى بلحت الأرياف كلّها مما جهدها ذلك، فقام عمر يدعو فقال: "اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال". فاستجاب الله له وللمسلمين. فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدًا" . ([١٧٧])

كتب إلى عماله في الأمصار طالبا الإغاثة

أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء: وفي رسالته إلى عمرو بنِ العاص والي مصر بعث إليه: "يا غوثاه يا غوثاه، أنت ومن معك ومَن قِبَلك وما أنت فيه، ونحن ما نحن فيه"، فأرسل إليه عمرو بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدهن، وبعث إليه بخمسةِ آلاف كِساء، وأرسل إلى سعد بن أبي وقاص فأرسل له بثلاثةِ آلاف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه بثلاثةِ ألاف عباءة، وأرسل إلى والي الشام فبعث إليه بألفي بعير تحمل الزاد. ونحوُ ذلك مما حصل من مواساة المسلمين لبعضهم.

لقد أحسّ عمر رضي الله عنه بمعاناة الناس، حتى قال أسلم رضي الله عنه: "كنا نقول لو لم يرفع الله المَحْل عام الرمادةِ، لظننا أن عمر يموت همًّا لأمر المسلمين".

قِفْ أَيُّهَا التَّارِيخُ سَجِّلْ صَفْحَةً غَرَّاءَ تَنْطِقُ بِالخُلُودِ الكَامِلِ
حَرِّكْ بِسِيرَتِهِ الْقُلُوبَ فَقَدْ قَسَتْ وَعَدَتْ بِقَسْوَتِهَا كَصُمِّ جَنَادِلِ

على طلاب العلا أن يوطنوا أنفسهم على اجتياز ألف عقبة، وأن يحسبوا لأنفسهم ألف هزيمة قبل الوصول إلى الظفر الأخير

الدعاء .....

---

[١٧٦] –رواه ابن شبه: تاريخ المدينة ٢/ ٣٠٩. وسنده متصل، ورجاله ثقات.

[١٧٧] –رواه البخاري: الأدب المفرد، ص: ١٩٨. وسنده متصل ورجاله ثقات.

البناء الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك من وفق من شاء لخدمته فشتان ما بين رجال ورجال عبد الله: يا مسكين:

يا غافلا والجليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

أنت الذي لما رفعة إلي السما

أنت الذي ناداك ربك مرحبا ولقد دعاك لقربه وحباك

ماذا يقول المادحون وما عسى أن تجمع الكتاب من معناك

صلى عليك الله يا علم الهدى ما اشتاق مشتاق إلي رؤياك

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد:

فإن مِن أخطَر القضايا الّتي تُهدِّد الأمنَ والاقتصادي، البعد عن الأخلاق الإسلامية في الأسواق والمعاملات الاقتصادية، والّتي أخَذتْ صُوَرًا شتَّى منها: السَّرِقات والرِّشوة والغلول والغشّ وخيانة

الأمانة والاختلاس، وهو استيلاء الموظَّفين والعاملين في مكان عملهم على ما في أيديهم من أموال نقديَّة دون سندٍ شرعي والتهرُّب من سداد القروض ..... وعدم إتقان العمل وإضاعة الوقت والتربُّح من الوظيفة واستغلال المال العام لأغراضٍ سياسيَّة.

فنحن نمتلك الثروات المالية بأشكالها والثروات البشرية التي ترقى بها الأمم والشعوب وعلى الرغم من ذلك نعيش رقودا اقتصاديا ونعاني من الغلاء وارتفاع الأسعار ومن تراكم الديون الناظر بعين البصر والبصيرة ليرى أن سبب ذلك هو غياب الأخلاق التي هي ساس كل تقدم ورقي

وإذا أُصيب القوم في أخلاقهم فأقمْ عليهم مأتماً وعويلا

وفي هذا اللقاء نلقي الضوء على أهم الأخلاق التي تثمر البناء الاقتصادية وتؤدي إلى الرخاء الاقتصادي

✍ الأساس الأول: أن المال وسيلة للوصول إلى الرضا الله تعالى وليس غاية :

وهذا من أعظم الأسس التي غابت عن وعي كثير من أرباب الأموال فهو جعلوا المال هو الغاية التي يسعون خلفها لذا كان الحلال ما حل في أيديهم وإن كان حراما محضا والحرام ما ابتعد عن أيديهم وإن كان حلال صرفا

قال الله –تعالى –: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]،

و الله تعالى يخبرنا أن المال هو عارية في أيدي الأغنياء {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَأُمِرَ بِشَيْءٍ أَتَيْنَاهُ فَعَلَّمَنَاهُ فَجِئْنَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَنَا: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ وَلَا يَمْلَأُ فَمَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ ([١٧٨]).

قال أعرابي لأخيه:

يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك فكله قبل أن يأكلك

وقال لحاتم الطائي:

---

[١٧٨] –أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨، رقم ٢١٩٥٦)، قال الهيثمي (٧/ ١٤٠): رجاله رجال الصحيح، والطبراني (٣/ ٢٤٨، رقم ٣٣٠٣).

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ولما أصبح المال غاية رأينا:

من يقطع رحمه ويعق أباه وأمه من أجل المال

رأينا من يسرق ويختلس من أجل المال

رأينا من يظلم ويقتل من أجل المال

لماذا لأنهم أصبحوا عبيدا للمال

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»([179])

لما يصبح المال غاية يصبح الناس في غابة

بواب مصري يسرق كلية زوجته لبيعها لمافيا تجارة الأعضاء من أجل المال بلا رحمة أو شفقة قام بواب مصري في القاهرة بسرقة كلية زوجته لبيعها في مافيا تجارة الأعضاء، فالزوجة البالغة من العمر ٢٩ عامًا، والتي تعيش في مدينة نجع حمادي اتهمته بسرقة كليتها وبيعها بمبلغ ١٨ ألف جنيه مصري،

وأكدت مصادر أمنية أن الزوج استدرج زوجته إلى مستشفى حكومية في القاهرة بخداع شيطاني، حيث أقنعها أنه يجرى لها عدة فحوصات طبية وأعطاها أدوية مخدرة وقام بسرقة كليتها، ثم اكتشفت الزوجة هذا العمل الإجرامي من خلال ألم شديد فى البطن وعندما ذهبت إلى الطبيب أخبرها أنها فقدت كليتها اليسرى.

الأساس الثاني السماحة في البيع والشراء:

أمة الإسلام: ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم والمسلمة في الأسواق الاقتصادية عند البيع والشراء السماحة والسماحة في البيع: أن يتساهل البائع في الثمن والمشتري في المبيع، والتساهل في المعسر بالثمن فيؤجل إلى وقت يساره، ومما جاء في الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى». ([180])

---

[179] –أخرجه البخاري (٣/١٠٥٧ ، رقم ٢٧٣٠) ، وابن ماجه (٢/١٣٨٥ ، رقم ٤١٣٥)

[180] – أخرجه : البخاري ٣/٧٥ (٢٠٧٦) .

فمن يرجو رحمة الله سبحانه وتعالى، فإنه إذا تعامل مع الناس تعامل بحسن الخلق، لا ليقال: خلقه حسن –وإن كان من الحسن أن يمدح الإنسان وهو لا يطلب ذلك–وإنما يطلب ما عند الله سبحانه، فإن صاحب الخلق الحسن يكون يوم القيامة في درجة عظيمة جداً بجوار النبي صلوات الله وسلامه عليه بجوار باقي النبيين عليهم السلام.

فالعبادة التي نحن مخلوقون لها ليست هي الصلاة وحدها –وإن كانت الصلاة من أعظم العبادات– ولكن العبادة التي خُلقنا من أجلها هي العبادة بمعناها الأعم، فيدخل فيها العبادات والمعاملات وأحوال الإنسان مع أهله وغيرهم.

✍ الواقع التطبيقي لهذا الضابط:

خرَّج الشيخان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلاَمَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا ". ([١٨١])

لا يدري والله المطلع على هذا الحديث أن يعجب أكثر من البائع، أم من المشتري، أم الحكم؟ فكل واحد منهم أشد عجباً وأعظم ورعاً من الآخر.

ورحم الله التاجر القائل:

يا ليتني أبيع الشيء يكسب فيه ... المشتري الربح ديناراً بعشرينا

أحبُّ شيء إلى نفسي معاملـة ... كسب العميـلُ فنأتيه و يأتينـا

* وها هم أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم يسيرون على هدي الأنبياء فما فعله سليمان كان يفعله الصحابي جرير بن عبد الله رضي الله عنه

قال إبراهيم بن جرير البجلي، عن أبيه، قال: غدا أبو عبد الله إلى الكناسة ليبتاع منها دابة، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق، فجعلت الدواب تمر عليه، فمر به فرس فأعجبه، فقال: لمولاه انطلق فاشتر ذلك الفرس، فانطلق مولاه، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم، فأبى صاحبه أن يبيعه فماكسه، فأبى صاحبه أن يبيعه، فقال: هل لك أن تنطلق إلى صاحب لنا ناحية السوق؟ قال: لا

---

[١٨١] – أخرجه أحمد (٣١٦/٢ ، رقم ٨١٧٥) ، والبخاري (١٢٨١/٣، رقم ٣٢٨٥) ، ومسلم (١٣٤٥/٣، رقم ١٧٢١)

أبالي فانطلقا إليه، فقال له مولاه: أني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمائة درهم فأبى، وذكر أنه خير من ذلك، قال صاحب الفرس: صدق أصلحك الله فترى ذلك ثمنا، قال: لا فرسك خير من ذلك تبيعه بخمسمئة حتى بلغ سبعمائة درهم أو ثمانمئة، فلما أن ذهب الرجل أقبل على مولاه، فقال له: ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة، فأعجبتني دابة رجل، فأرسلتك تشتريها، فجئت برجل من المسلمين يقوده وهو يقول: ما ترى ما ترى، وقد «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم» ([١٨٢])

نحن لا نطمع من إخواننا التجار، والسماسرة، والوسطاء أن يكونوا بهذا الورع، ولكن نطلب منهم فقط تجنب الحرام البين، وتجنب ما نهى عنه صاحب الشريعة في البيع والشراء

الأساس الثالث: الصدق في المعاملة:

و من الأخلاق المفقودة في البيع و الشراء الصدق في المعاملة بأن لا يكذب في إخباره عن نوع البضاعة ونفاستها ونحوه ،والتاجر الصدوق لا يتاجر بإيمانه وإنما يتاجر مع الله تعالى بصدقة فيبارك الله تعالى له في رزقه

فمن آداب البيع والشراء ودلائل الصدق فيه عدم الإكثار من الحلف؛ بل عدم الحلف مطلقًا؛ لأن في ذلك امتهانًا لاسم الله –تعالى–، قال –تعالى–: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]،

قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ « الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ ». ([١٨٣])

أما ما نراه في الأسواق من حلف بالباطل وحلف بالزور فانه ليس من أخلاق أهل الإيمان ولا من شيم أهل الإسلام عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ الْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ ".([١٨٤])

الأساس الرابع عدم تطفيف الكيل والميزان:

---

[١٨٢] – المعجم الكبير (٢/ ٣٣٤)

[١٨٣] – – أخرجه : البخاري ٣/٧٨ (٢٠٨٧) ، ومسلم ٥/٥٦ (١٦٠٦) (١٣١) .

[١٨٤] – أحمد (٥/١٤٨، رقم ٢١٣٥٦)، ومسلم (١/١٠٢ ، رقم ١٠٦)

و من ومن الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي أن يتقي البائع و المشتري ربه و يحذر من تطفيف الكيل و الميزان يقول الله جل وعلا: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإذا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ*)، وقال عن شعيب أنه قال لقومه: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)، فمن المصيبة إخلال بالمكاييل والموازين وتخفيضها من بعض ما هي معروف وخداع الناس بذلك.

وقال ابن عباس لأصحاب المكيال والميزان في السوق: "إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السالفة قبلكم: الكيل، والميزان"([١٨٥])

وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: "اتق الله، وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم

. عن ابن عبّاس–رضي اللّه عنهما– قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: «خمس بخمس، قيل: يا رسول اللّه وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلّا سلّط اللّه عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل اللّه إلّا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزّكاة إلّا حبس عنهم القطر، ولا طفّفوا المكيال إلّا حبس عنهم النّبات، وأخذوا بالسّنين»([١٨٦])

وإليكم عباد الله أحوال المطففين عند الموت لعل يكون فيه العظة والعبرة:

قال بعضهم: " دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له: يا أخي، ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟!

قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها!

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصا؟

قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني! "

عن "مالك بن دينار " قال: " دخلت على جار لي، وقد نزل به الموت، وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار

قلت: ما تقول؟

قال: يا أبا يحيى، كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر.

---

[١٨٥] – الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١١/ ٤٢٩)

[١٨٦] – أخرجه الطبراني (١١/٤٥، رقم ١٠٩٩٢) قال المنذري (١/٣١٠) صححه الألباني في الصحيحة: ١٠٧ ، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢٤١٨

قال مالك: فقمت، فجعلت أضرب أحدهما بالآخر! .

فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة ، فمات في مرضه ! ! " .

الأساس الخامس: القناعة في الربح :

و من الأخلاق الإسلامية لبناء اقتصاد القناعة لدى البائع بما يسر الله له فأنت أيها البائع لا بد أن تربح وتسعى في الربح لكن ليكن هذا الربح ربحاً واقعياً لا ربحاً تجاوزيا، إن كثير من المبالغات في السلع التي يفرضها بعض الباعة مخالفة للواقع فتكون السلعة مثلاً بكذا وترى الأرباح فيها أحيانا قد تصل إلى ١٠٠٪ وأكثر من ذلك فلا بد من قناعة لك أيها المسلم وقناعة بالرزق الذي تحصل عليه وأن يكون ربحك ربحاً طيباً ربحا مباركا لا ضرر فيه على الأخرين وفي الحديث: عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

قصص: المجال التطبيقي لذلك الضابط :

عن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله: مع هذا الطعام في يوم تدخل البصرة فلا تؤخره إلى غد، قال: فوافق السعر فيه سعة، قال له التجار: إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافاً فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا قد كنا قنعنا أن نربح الثلث مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت أمرنا وقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابي فخذ المال كله فتصدّق به على فقراء أهل البصرة وليتني أنجو من الاحتكار كفافاً لا عليّ ولا لي.

* عن مظفر بن سهل قال: سمعت غيلان الخياط يقول: اشترى سري السقطي كرّ لوز بستين ديناراً وكتب في رونامجه ثلاثة دنانير ربحه، فصار اللوز بتسعين ديناراً، فأتاه الدلاّل فقال له: إنّ ذلك اللوز أريده، فقال: خذه، فقال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين ديناراً، قال له الدلاّل: إنّ اللوز قد صار الكرّ بسبعين ديناراً، قال له السري: قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله لست أبيعه إلاّ بثلاث وستين ديناراً، قال له الدلاّل: وأنا قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله، أن لا أغشّ مسلماً، لست آخذ منك إلاّ بسبعين ديناراً، قال: فلا الدلاّل اشترى منه ولا سري باعه،

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الواحدِ القهارِ، العزيزِ الجبارِ، مُقدرِ الأقدارِ، الحمدُ للهِ لا يخيُّبُ من أمَّلَه ورجاه، ولا يُفلحُ من قنطَ من رحمتِه وما دعاه، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ خلقِ اللهِ وعلى آلهِ وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

✍الأساس السادس: الالتزام بالعهود والعقود والوفاء بها :

الأساس السادس الالتزام بالعهود والعقود والوفاء بها، ومن الأمور والضوابط المرعية التي حثنا عليها رب البرية – جل جلاله–الوفاء بالعهود والمواثيق قال الله –جل وعلا–: (وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون:٨، المعارج: ٣٢]، وقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ أن الْعَهْدَ كان مَسْئُولاً) [الإسراء:٣٤]، والبيع والشراء عقد، والله يقول: (وَأَشْهِدُوا إذا تَبَايَعْتُمْ) [البقرة:٢٨٢]، كل ذلك من أجل رفع الحرج، والوفاء بالعقود، وعدم الخيانة والخداع في ذلك.{وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [النحل: ٩١، ٩٢].

الواقع التطبيقي لهذا الخلق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ " ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَقَالَ: ائْتِنِي بِكَفِيلٍ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِأَجَلِهِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا الدَّنَانِيرَ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهَا ثُمَّ سَدَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، ثُمَّ سَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، وَإِنِّي قَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ مَالُهُ فَإِذَا تِلْكَ الْخَشَبَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ وَالصَّحِيفَةُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، وَقَدِمَ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ، فَأَتَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ

مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بُعِثْتَ فِيهِ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ رَاشِدًا ". ([187])

الأساس السابع: أن يتحرى الحلال: واعلم بارك الله فيك: أن من أسس البناء الأخلاق للاقتصاد الإسلامي أن يتحرى المسلم الحلال ويبتعد عن الحرام فيحذر من البيوع والسلع المحرمة التي حرمها الله تعالى؛ لأن الله يقول لنا: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة)

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَأَهْوَى بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»([188])

ولقد عن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ. ([189])

فنهى عن ثمن الكلب، ونهى عن مهر البغي، وما تُعطَى البغي –والعياذ بالله–على استحلال فرجها، ونهى عن حلوان الكاهن، ما يأخذه الكهنة خداعا وكذبا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ ». فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ « لاَ هُوَ حَرَامٌ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–عِنْدَ ذَلِكَ « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ » "([190]).

الدعاء .....

---

[187] – أخرجه أحمد (٣٤٨/٢، رقم ٨٥٧١)، والبخاري (٨٠١/٢ رقم ٢١٦٩).

[188] – أخرجه أحمد (٢٧٠/٤، رقم ١٨٣٩٨) ، والبخاري (٢٨/١ ، رقم ٥٢) ، ومسلم (١٢١٩/٣ ، رقم ١٥٩٩) ،

[189]– أخرجه البخاري في: ٣٤ كتاب البيوع: ١١٣ باب ثمن الكلب

[190] – أخرجه أحمد (٣٢٤/٣ ، رقم ١٤٥١٢) ، والبخاري (٧٧٩/٢ ، رقم ٢١٢١) ، ومسلم (١٢٠٧/٣ ، رقم ١٥٨١)

بناء النبي صلى الله عليه وسلم لوعي الأمة وأثره في مواجهة التحديات

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك من وفق من شاء لخدمته فشتان ما بين رجال ورجال عبد الله: يا مسكين:

يا غافلا والجليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

أنت الذي لما رفعة إلي السما

أنت الذي ناداك ربك مرحبا ولقد دعاك لقربه وحباك

ماذا يقول المادحون وما عسى أن تجمع الكتاب من معناك

صلى عليك الله يا علم الهدى ما اشتاق مشتاق إلي رؤياك

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد:

إخوة الإسلام حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن بناء النبي صلى الله عليه و سلم لوعي الأمة وأثره في مواجهة التحديات} فنحن في زمن كثرة فيه الفتن و التحديات العالمية و المؤمن

بحاجة ماسة لبنا الوعي ضد تلك التحديات و النبي –صلى الله عليه وسلم حرص على ذلك البناء سواء أكان بناء عقديا أو فكريا أو سياسيا أو أخلاقيا و حذر أمته من الانزلاق و الجري وراء تلك التحديات و حثنا على الاعتصام بالكتاب و السنة و أنه لا نجاة للأمة إلا بالأخذ بالنورين كتاب الله و سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم–عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ،قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١٩١)

فأعيروني القلوب و الأسماع:

أولا: بناء الوعي العقدي ضد التحديات المستقبلية:

إخوة الإيمان لقد حرص النبي – صلى الله عليه وسلم–على بناء الوعي العقدي على للأمة الإسلامية في المستقبل وحذرهم أن يقعوا فيما وقعت فيه الأمم السابقة من أهل الكتاب في الانحراف العقدي عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً أَعْظَمُهَا فِتْنَةً عَلَى أُمَّتِي قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ يُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ، وَيُحِلُّونَ الْحَرَامَ» (١٩٢).

و حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم– من الوقوع في الشرك منها عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (١٩٣).

وحذرنا من اتخاذ القبور مساجد كما حدث للامة السابقة عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ قَالَتْ: وَلَوْلاَ ذلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مِسْجِدًا(١٩٤)

ثانيا: بناء الوعي الفكري ضد التحديات المستقبلية

---

١٩١ – أخرجه : أبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٣) ، والترمذي (٢٦٧٦) .

١٩٢ – أخرجه الطبراني (٥٠/١٨ ، رقم ٩٠) ، والحاكم (٦٣١/٣ ، رقم ٦٣٢٥) . وأخرجه أيضًا : البزار (١٨٦/٧ ، رقم ٢٧٥٥) . قال الهيثمي (١٧٩/١) : رجاله رجال الصحيح .

١٩٣ – أخرجه أبو داود في سننه (١١ / ٣٢٤) والترمذي في سننه (٦ / ٤٦٦) وقال هذا حديث صحيح .

١٩٤ – أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٦٢ باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بناء الوعي الفكري ضد الأفكار والجماعات الهدامة فبين للأمة ذلك وحذرهم مما سيكون في المستقبل وهاك أيها المسلم طرف من ذلك

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ { سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حِدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِّيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ : يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ . فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ([١٩٥]).

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ ». ([١٩٦])

النبوءة التي جاءت بصيغة (سين) الاستقبال ـ قال النبي: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة: قوم يحسنون الكلام ويسيئون العمل، يدعون الى كتاب الله عز وجل وليسوا منه في شيء، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد على فُوقِه، هم شر الخلق والخليقة».):

فانظروا –يا عباد الله –فمن صفاتهم الثابتة في السنة:

الصفة الأولى صغار السن: أن اغلبهم شباب صغار يندر فيهم الشيوخ والكبار فقال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ)، قال الحافظ ابن حجر "وَالْحَدَثُ: هُوَ الصَّغِيرُ السِّنِّ". ([١٩٧])

الصفة الثانية: الطَّيش والسَّفه: فعامة الخوارج ومن يتبنى فكرهم من الشباب الذين تغلب عليهم الخِفَّة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، كما جاء في الحديث المتفق عليه: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ)،

والأحلام: الألباب والعقول، والسَّفه: الخفة والطيش.

قال النووي: "يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ التَّثَبُّتَ وَقُوَّةَ الْبَصِيرَةِ تَكُونُ عِنْدَ كَمَالِ السِّنِّ وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَقُوَّةِ الْعَقْلِ"، نقله عنه الحافظ في الفتح.

الصفة الثالثة: الغرور والتَّعالي: فالخوارج يُعرفون بالكبر والتعالي على عباد الله، والإعجاب بأنفسهم وأعمالهم، ولذلك يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه! !

---

[١٩٥] – صحيح البخاري مع الفتح ، ج١٢ ٢٨٣ ، رقم الحديث : ٦٩٣٠ .

[١٩٦] – صحيح مسلم رقم ١٥٠ – (١٠٦٤).

[١٩٧] – الفتح (٢٨٧/١٢):

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ) رواه أحمد بسند صحيح.

ويدفعهم غرورهم لادعاء العلم، والتطاول على العلماء، ومواجهة الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رَوية، ولا رجوع لأهل الفقه والرأي.

الصفة الرابعة الاجتهاد في العبادة: فهم أهل عبادة من صلاة وصيام وقراءة وذكر وبذلٍ وتضحيةٍ، وهذا مما يدعو للاغترار بهم، ولذا جاء البيان النبوي واضحاً في التنبيه على هذه الصفة فيهم: (لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ) رواه مسلم.

وقال: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) متفق عليه.

وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحتقرون صلاتهم مع صلاتهم، فكيف بغير الصحابة؟!

ولما لقيهم عبد الله بن عباس قال: "فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثِفَنُ الْإِبِلِ [أي غليظة]، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ" رواه عبد الرزاق في المصنف.

الصفة الخامسة سوء الفهم للقرآن: فهم يكثرون من قراءة القرآن والاستدلال به، لكن دون فقه وعلم، بل يضعون آياته في غير موضعها، ولهذا جاء وصفهم في الأحاديث: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ)، (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ).

الصفة السادسة التَّكفير واستباحة الدماء: وهذه هي الصفة الفارقة لهم عن غيرهم؛ التكفير بغير حق واستباحة دماء المخالفين لهم، كما قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ) متفق عليه .

وهذا "مِنْ أَعْظَمِ مَا ذَمَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَوَارِجَ" مجموع الفتاوى.

وسبب قتلهم لأهل الإسلام: تكفيرهم لهم، قال القرطبي في المفهم: "وذلك أنهم لما حكموا بكفر مَن خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِّينَ " مجموع الفتاوى.

وقال: "وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا " مجموع الفتاوى.

الصفة السابعة اتخاذهم شعارًا يتميزون به عن سائر الناس: ولهم في كل عصر وزمان شعار يتميزون به ، وقد يكون هذا الشعار في الراية ، أو لون اللباس ، أو هيئته ، أو غير ذلك .

وقد كان شعارهم في زمن علي بن أبي طالب حلقَ شعر رؤوسهم ، كما أخبر عنهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: (سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ). رواه البخاري .

قال شيخ الإسلام : " وَهَذِهِ السِّيمَا سِيمَا أَوَّلِهِمْ كَمَا كَانَ ذُو الثُّدَيَّة ؛ لا أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لَازِمٌ لَهُمْ".(١٩٨)

ثالثا: بناء الوعي السياسي لدى الأمة بأخبارهم بما يحيك لهم الأعداء في المستقبل

إخوة الإسلام لقد حرص النبي –صلى الله عليه وسلم – على بناء الوعي السياسي لدى الأمة وإخبارهم بالأعداء الذين يتربصون بها الدوائر وجاء ذلك في عدة مواطن من السنة المطهرة وهاك بيانها :

من نوع هذه التنبؤات ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحوال الأمة من بعده ومن ذلك:

كما في حديث ثوبان – رضي الله عنه – مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يُوشكُ أنْ تَداعَى عليكم الأُمَمُ من كلِّ أُفُقٍ كما تَدَاعى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها ، قال قلنا يا رسولَ الله : أَمِنْ قِلَّةٍ بنا يومئذٍ ، قال – صلى الله عليه وسلم – : أنتم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكنْ تكونونَ غُثاءً كغثاء السَّيلِ ، تُنْتَزَعُ المهابةُ من قلوب عدوِّكم ، ويُجعلُ في قلوبكم الوَهْنُ ، قال : قلنا : وما الوهنُ ، قال – صلى الله عليه وسلم – : حبُّ الحياةِ ، وكراهيةُ الموتِ (١٩٩) ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ (٢٠٠)

يقول الإمام النووي – رحمه الله – وَقَدْ وُجِدُوا فِي زَمَاننَا هَكَذَا ، وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى (حُمْر الْوُجُوه) أَيْ بِيض الْوُجُوه مَشُوبَة بِحُمْرَةٍ . وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَة (صِغَار الْأَعْيُن) وَهَذِهِ كُلّهَا مُعْجِزَات لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ وُجِدَ قِتَال هَؤُلَاءِ التُّرْك بِجَمِيعِ صِفَاتهمْ الَّتِي ذَكَرَهَا صَلَّى اللَّه

---

١٩٨ – مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٧)

١٩٩ – رواه الإمام أحمد رقم ٢٢٣٩٧ ج٣٧/٨٢ وغيره ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨١٨٣ .

٢٠٠ – صحيح البخاري – (ج ١١ / ص ٤٢٣)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِغَار الْأَعْيُن ، حُمْر الْوُجُوه ، ذُلْف الأنف ، عِرَاض الْوُجُوه ، كَأَنَّ وُجُوههمْ الْمَجَانّ الْمُطْرَقَة ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعْر فَوُجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَات كُلّهَا فِي زَمَاننَا ، وَقَاتَلَهُمْ الْمُسْلِمُونَ مَرَّات ، وَقِتَالهمْ الْآن ، وَنَسْأَل اللَّه الْكَرِيم إِحْسَان الْعَاقِبَة لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرهمْ وَأَمْر غَيْرهمْ ، وَسَائِر أَحْوَالهمْ ، وَإِدَامَة اللُّطْف بِهِمْ ، وَالْحِمَايَة ، وَصَلَّى اللَّه عَلَى رَسُوله الَّذِي لَا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يُوحَى) ([٢٠١])

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حوراً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر " ، وأخرجه الجماعة سوى النسائي

يقول ابن كثير –رحمه الله – (والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذا الحديثَ يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريباً فقد يكون هذا أيضاً واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي

ذكر أمرهم، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريباً منها فإنها تكون مما يقع في الحملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ([٢٠٢])

وهذه شارة نبوية إلى ما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين استضعافاً لهم وطمعاً فيهم

مع كثرة المسلمين ووفرة عددهم حينئذ

و يخبر النبي صلى الله عليه وسلم – عن تلك الحرب التي ستكون بين المسلمين والروم وان الخيانة والغدر سيكون من الروم ،قال عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ الهُدْنَةِ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ، رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الهُدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ " "([٢٠٣]) .

---

[٢٠١] – شرح النووي على مسلم – (ج ٩ / ص ٢٩٥)

[٢٠٢] – النهاية في الفتن والملاحم – (ج ١ / ص ٤)

[٢٠٣] – إسناده صحيح : أخرجه أحمد (٩١/٤) وأبو داود (٤٢٩٣)

عوف بن مالك رضي الله عنه يقول: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك وهو في قبة أدم فقال: " أعدُدْ ستّاً بَيْنَ يَدَي الساعةِ موتي، ثم فَتْحُ بيتِ المقدس، ثم مُوتَانٌ يأخذكم كقُصاص الغنم، ثم استِفاضةُ المالِ حتى يُعطَى الرجلُ مائةَ دينار فَيَظَلُ ساخِطاً، ثم فِتنةٌ لا تُبْقِي بَيْتاً من العَربِ إلاَّ دَخَلَتْه، ثم هُدنةٌ تكون بَيْنكم وبين بني الأصفرِ فيَغْمُون فيأتونكم تحت ثمانين رايةً تحتَ كل رايةٍ اثنا عَشَر ألْفاً "([٢٠٤])

إشارة نبوية إلى ما سيكون من فتح المسلمين لبعض الجزر البحرية ولبلاد الروم وبلاد فارس

وهذه إشارة نبوية إلى أن المسلمين سيقاتلون اليهود وينتصرون عليهم حتى أن اليهودي لا يجد له مخبأ يحميه من سيف المسلم

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ ([٢٠٥])

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ([٢٠٦])

وينتج عن ذلك البيان النبوي اخذ العدة و يقظة الأمة قال الله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال: ٦٠، ٦١]

أقول قولي، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد:

رابعا: بناء الوعي الأخلاقي للأمة لما ستوجهه في المستقبل

ولقد حرص نبيكم صلى الله عليه وسلم على بناء الوعي الأخلاقي ضد التحديات المستقبلية وتحذيرهم من الانخراط والانسياق وراء تلك السفاهات التي تهدف إلى هدم القيم انسلاخ المسلم من قيمة

---

[٢٠٤] – أخرجه البخاري رقم (٣١٧٦) في الجهاد ، باب ما يحذر من الغدر .

[٢٠٥] – أخرجه البخاري (٣/١٠٧٠ ، رقم ٢٧٦٨) ، ومسلم (٤/٢٢٣٩ ، رقم ٢٩٢٢) .

[٢٠٦] – أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٣٧)، وعنه أحمد (٢/١٤٩)، والترمذي (٢٢٣٧) وقال: ((حديث حسن صحيح)

وأخلاقه عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ " لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ " . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ " فَمَنْ (٢٠٧)

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا) رواه البخاري ومسلم، والمقصود بشرب الخمر كما ذكر الشرّاح: كثرة ذلك واشتهاره، بدليل ما جاء في الرواية الأخرى للحديث، وفيه: (ويكثر شرب الخمر) وقد رواها البخاري كذلك.

وعن التحايل في الشرع وتسمية الخمر بغير اسمها، واستحلالها وإنكار تحريمها، ورد حديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ من أمتِي الْخمر باسم يسمونها إِيَّاه) (٢٠٨)

وأقوى منه الحديث الذي رواه البخاري، وفيه وعيدٌ شديد في حقّ أصحاب هذه المعصية، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الأَشْعَرِىُّ قَالَ حَدَّثَنِى أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الأَشْعَرِي وَاللَّهِ مَا كَذَبَنِى سَمِعَ النَّبِىَّ – صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِى الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا. فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".(٢٠٩)

يؤكد هذا الحديث على أن مستحلي الزنا وشرب الخمر والمعازف من أمة سيدنا صلى الله عليه وسلم في عصر يأتي فيه الفقير يسال الإحسان فيقال له "فوت علينا بكرة" يعاقبهم الله ويجعل منهم القردة والخنازير الى يوم القيامة وهذا يعنى استمرار عملية العقاب في كل حين وفى كل عصر

الدعاء .....

٢٠٧ – رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (١٣/٣٠٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث رقم (٧٣٢٠). ورواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٥٤) كتاب العلم ، حديث رقم (٢٦٦٩) .

٢٠٨ – انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ١٣٦).

٢٠٩ – أخرجه البخاري (٥/٢١٢٣ ، رقم ٥٢٦٨) ، وأبو داود (٤/٤٦ ، رقم ٤٠٣٩)

بريق الجُمان في بيان عقد الأمان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناه وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

هذا النبي محمد خير الورى ونبيهم وبه تشرف آدم

وله البها وله الحياء بوجهه كل الغنى من نوره يتقسم

يا فوز من صلى عليه فانه في جنة المأوى غدا يتنعم

صلى عليه الله جل جلاله ما راح حاد باسمه يترنم

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد: .....

أمة الإسلام حديثنا في هذا اللقاء عن قضية من القضايا التي إن دلت فإنما تدل على عظمة المرسل – جل جلاله وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة سنتكلم عن بريق الجمان في بيان عقد الأمان

فما هو عقد الأمان؟

وما مدى مشروعيته؟

وما هي المفاسد المترتبة على نقضه؟

أعيروني القلوب والأسماع

تعريف عقد الأمان: هُوَ عَقْدٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْمُشْرِكِ عَلَى الْحَصَانَةِ مِنْ لُحُوقِ الضَّرَرِ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ، وَلَا مِمَّنْ وَرَاءَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ.

وقيل عقد مؤبد يكتسب بموجبه غير المسلم حقَّ الإقامة الدائمة في بلاد الإسلام، والدخول في حمايتها، وذلك بمقابل دفع مبلغ مالي للقادر عليه، مع قبول أحكام الإسلام في المعاملات.

واعلموا عباد الله: أن تأشيرة الدخول التي يشترط توفرها لدخول أجنبي لبلد غيره تمثل في الحقيقة عقدا يشبه عقد الأمان بمعناه الشرعي لا سيما لو كانت هذه التأشيرة صادرة بناء على دعوة مقدمه من مسلم لأجنبي لزيارة بلاد الإسلام أو العمل بها

✍ما مدى مشروعية عقد الأمان: اسمعوا عباد الله الى ما يلي لتقفوا على الإسلام الصافي من الغلو والتشدد عن علي بن أبي طالب – رضي الله عته–الرسول –صلى الله عليه وسلم–: (ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا"[٢١٠]

قال ابن بطال–رحمه الله–

قال المهلب : معنى قوله : (ذمة المسلمين واحدة) أي : من انعقدت عليه ذمة من طائفة من المسلمين أن الواجب مراعاتها من جماعتهم إذا كان يجمعهم إمام واحد ، فإن اختلفت الأئمة والسلاطين فالذمة لكل سلطان لازمة لأهل عمله ، وغير لازمة للخارجين عن طاعته ؛ لأن النبي إنما قال ذلك في وقت إجماعهم في طاعته ، ويدل على ذلك حديث أبى بصير ، حين كان شارط النبي (صلى الله عليه وسلم) أهل مكة وقاضاهم على المهادنة بينهم وبين المسلمين ، فلما خرج أبو بصير من طاعة النبي وامتنع ، لم تلزم النبي ذمته ، ولا طولب برد جنايته ، ولا لزمه غرم ما انتهكه من المال .

وقال ابن المنذر في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (يسعى بها أدناهم) قال : الذمة : الأمان ، يقول : إن كل من أمن أحدًا من الحربيين جاز أمانه على جميع المسلمين دنيا كان أو شريفًا ، حرا كان أو عبدًا ، رجلا أو امرأة ، وليس لهم أن يخفروه .

وأجاز مالك أمان الصبى إذا عقل الإسلام ، ومنع ذلك أبو حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء ، واحتج الشافعي بأن الصبى لا يصح عقده ؛ فكذلك أمانه ، والحجة لمالك عموم قوه (صلى الله عليه وسلم) : (يجير على المسلمين أدناهم) فدخل في ذلك الصبى وغيره ، وأيضًا فإن أحكام الصبى تطوع ، وهو ممن يصح منه التطوع ، ويفرض له سهمه إذا قاتل ، وإنما الأمان مما اختص به من له

---

[٢١٠] – [رواه البخاري، (٧٣٠٠)]

حرمة الإسلام ، فجعل لأدناهم كما جعل لأعلاهم ، وعلى أن الصبى والعبد أحسن حالا من المرأة ، لأنها ليست من جيش من يقاتل.

قال المهلب : وقوله (فمن اخفر مسلمًا) يعنى : فيمن أجاره فعليه لعنة الله والملائكة . وهذا اللعن وسائر لعن المسلمين إنما هو متوجه إلى الإغلاظ والترهيب لهم عن المعاصى ، والإيعاد لهم من قبل مواقعتها ، فإذا وقعوا فيها دعى لهم بالتوبة ، يبين هذا حديث النعمان . وقوله: (لا يقبل منه صرف ولا عدل) يعنى : في هذه الجناية أي لا كفارة لها ؛ لأنه لم يشرع فيها كفارة فهي إلى أمر الله إن شاء عذب فيها وإن شاء غفرها على مذهب أهل السنة في الوعيد .([٢١١])

ومن ذلك استدل العلماء على حرمة قتل السائحين و من نحى نحوهم ممن يدخلون البلاد الإسلامية من الكفار لأنهم دخلوا ضمن ضوابط و شروط و هي عين الأمان

أمان أم هانئ – رضي الله عنها –

أم هانئ –رضي الله عنه –: أخت علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما، قالت : ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، فوجدته يغتسل ، وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فسلمت عليه ، فقال : «من هذه» ؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال : مرحبا بأم هانئ ، فلما فرغ من غسله ، قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ، زعم ابن أمي على : أنه قاتل رجلا قد أجرته – فلان بن هبيرة – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» ، قالت أم هانئ : وذلك ضحى. هذه رواية البخاري، ومسلم .([٢١٢])

قال ابن حجر –رحمه الله–قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة، إلا شيئا ذكره عبد الملك – يعني ابن الماجشون صاحب مالك – لا أحفظ ذلك عن غيره قال : إن أمر الأمان إلى الإمام، وتأول ما ورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة، قال ابن المنذر : وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم " يسعى بذمتهم أدناهم " دلالة على إغفال هذا القائل انتهى([٢١٣])

وكذلك أجاز الرسول عليه الصلاة والسلام أمان ابنته زينب لزوجها أبي العاص ابن الربيع، الذي كان قادمًا بتجارة إلى المدينة، فأصابتها إحدى سرايا المسلمين.

تبرئ النبي–صلى الله عليه وسلم–ممن ينقض الأمان

---

[٢١١] – شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال (٥/ ٣٥٠)

[٢١٢] – أخرجه البخاري (١١٥٧/٣، رقم ٣٠٠٠) ، ومسلم (٤٩٨/١ ، رقم ٣٣٦) .

[٢١٣] – فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١٣/ ٣٢)

واعلموا أيها الأحباب أن الحبيب النبي –صلى الله عليه وسلم قد تبرأ ممن غدر بمؤتمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)([٢١٤])

تحريم الجنة على من قتل مستأمن

وقد اصدر الحبيب النبي –صلى الله عليه وسلم–حكما صارما ضد من قتل معاهدا فعن أبى بكرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقول:« من قتل معاهدا في غير كُنْهِه حرم الله عليه الجنة ».(٢١٥)

قال عبد المحسن العباد: أنه إذا كان للإنسان عهد عند المسلمين فإنهم يوفون له بعهده ويعاملونه المعاملة التي يستحقها، فلا يقتلونه ولا يؤذونه. قوله: [(في غير كنهه)] أي: من غير استحقاق للقتل، أما إذا كان مستحقاً للقتل فلا يستحق القاتل هذه العقوبة.

قوله: [(حرم الله عليه الجنة)] هذا من أحاديث الوعيد التي فيها تحريم الجنة، ولكن لا يعني ذلك أنها تحرم عليه كما تحرم على الكفار، وإنما تحرم عليه وقتاً معيناً، وذلك إذا لم يشأ الله عز وجل أن يغفر له، فإنه لا يدخلها مع أول من يدخلها، ولكنه يدخل النار ويعذب فيها على جرمه وعلى كبيرته، ثم بعد ذلك يخرج منها ويدخل الجنة، وهكذا شأن جميع العصاة وجميع أصحاب الكبائر، فإنهم لا بد أن يصيروا إلى الجنة في آخر الأمر، ولا يبقى في النار إلا الكفار الذين هم أهلها ولا سبيل لهم إلى الخروج منها، وأما العصاة وأصحاب الكبائر فهؤلاء لا بد أن يأتي عليهم وقت من الأوقات يخرجون من النار ويدخلون الجنة، وعلى هذا فالتحريم تحريم مؤقت.(٢١٦)

قال محمد بن علي الوَلَّوِي : بيان عظمة الإسلام، ورفعة مكانته، حيث إنه يراعي حقوق كل الناس، ولو كانوا غير مسلمين، ما داموا مسالمين لأهل الإسلام، واعتباره الاعتداء عليهم جريمة كبرى، بحيث يستحق به المسلم، إذا ارتكبه حرمان الجنة التي ثبتت له بإسلامه، فلما اعتدى في الإسلام، ولم يحترم حدوده عاقبه الله تعالى بمنعه عن مقامه الرفيع، الذي نوه الله تعالى بأنه من مقام الفوز الأكبر، حيث قال عز وجل: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ

---

[٢١٤] – رواه مسلم (١٨٤٨) .

[٢١٥] – أخرجه ابن أبي شيبة ٤٢٥/٩–٤٢٦، وأبو داود (٢٧٦٠)

[٢١٦] – شرح سنن أبي داود ـ عبد المحسن العباد (١٥/ ٧٩)

الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥]. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.(٢١٧)

المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده" (٢١٨)

قال السعدي: وقوله صلى الله عليه وسلم: «ولا ذو عهد في عهده» أي: لا يحل قتل من له عهد من الكفار بذمة أو أمان أو هدنة، فإنه لما قال: «لا يقتل مسلم بكافر» لما احترز بذلك البيان عن تحريم قتل المعاهد، لئلا يظن الظان جوازه. والله أعلم.(٢١٩)

قال البغوي : " قوله « يسعى بذمتهم أدناهم » معناه أنّ واحداً من المسلمين إذا أمّن كافراً حَرُم على كافّة المسلمين دَمُهُ وإن كان المجير أدناهم ".(٢٢٠)

لا يقتل المستأمن وإن كان قاتلا للمسلمين:

إخوة الإسلام: طالما أعطي الأمان فلا سبيل للمسلم عليه فان فعل فقد أثم وغدر والغدر ليس من أخلاق المسلمين

فنقول للذين يستحلون قتل السائحين بحجة أن رعاياهم يقتلون المسلمين اسمعوا إلى هذا الحوار:

عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –قال:" والله لو أنّ أحدكم أشار بأصبعه إلى السماء إلى مشرك فنزل بأمانه فقتله لقتلته". رواه سعيد بن منصور كما في " تلخيص الحبير"،

وعن أنس –رضي الله عنه –:" قال لما حاصرنا "تستر" فنزل "الهرمزان" على حكم عمر فبعث به أبو موسى معي فلما قدمنا على عمر سكت "الهرمزان" فلم يتكلم فقال عمر: تكلم فقال: كلام حي أو كلام ميت؟

قال: تكلم فلا بأس

فقال: إنا وإياكم معشر العرب ما خلى الله بيننا وبينكم كنا نقتلكم ونقصيكم فإذا كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان

قال عمر: ما تقول يا أنس؟

---

٢١٧ – ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٣٦/ ٤٨)

٢١٨ – أخرجه أبو داود (٤/١٨٠ ، رقم ٤٥٣٠) ، والنسائي (٨/١٩ ، رقم ٤٧٣٤) ، والحاكم (٢/١٥٣ ، رقم ٢٦٢٣) ،

٢١٩ – بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الوزارة (ص: ١١٧)

٢٢٠ – شرح السنة ﴿٥/٣٨٩﴾

قلت يا أمير المؤمنين تركت خلفي شوكة شديدة وعدداً كثيراً إن قتلته أيس القوم من الحياة، وكان أشد لشوكتهم وإن استحييته طمع القوم

فقال يا أنس: أستحيي قاتل "البراء بن مالك" و "مجزأ بن ثور"، فلما خشيتُ أن يبسط عليه، قلت له: ليس لك إلى قتله سبيل، فقال عمر لم ؟

قلت: أعطاك الأمان أصبت منه، قال عمر: ما فعلت قلت: ولكنّك قلت له تكلم فلا بأس، فقال: لتجيئن بمن يشهد معك أو لأَبْدَأَنَّ بعقوبتك؟

قال: فخرجت من عنده فإذا "بالزبير بن العوام" قد حفظ ما حفظت فشهد عنده فتركه وأسلم "الهرمزان" وفرض له ".([٢٢١])

إذ قال رجل إلى رجل لا تخف فقد أمَّن

وتأمل رحمني الله وإياك رسالة عمر –رضي الله عنه–للمجاهدين وهو يبن لهم أن كلمة (لا تخف) تعد أمانا ينبغي على المسلم الوفاء به

فيكيف بمن يدخل إلى بلادنا بوثيقة سفر و إجراءات كلها تعطيه الأمان على نفسه وماله و أهله؟

فعن أبي وائل –رضي الله عنه–قال: " أتانا كتاب عمر ونحن "بخانقين"، إذ قال رجل إلى رجل لا تخف فقد أمَّنه، وإذا قال "مَتَرْس" فقد أمَّنه، فإن الله يعلم الألسنة ". ([٢٢٢])

أمان الأدنى يسري على الأعلى

وعن فيصل بن زياد قال: " كنّا مُصَافي العدو فكتب عبدٌ في سهم أماناً للمشركين فرماهم به فجاؤوا فقالوا: قد أَمَّنْتُمُونا، قالوا: لم نُؤَمّنكم إنَّما أمَّنكم عبد، فكتبوا إلى "عمر بن الخطاب" فكتب "عمر" إن العبد من المسلمين وذمته ذمتهم وأمنهم" — (٢٢٣)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

---

[٢٢١] – رواه بن أبي شيبة ﴿٦/٥١٥﴾

[٢٢٢] – رواه بن أبي شيبة ٦/٥١١

[٢٢٣] – رواه البيهقي ٩/٩٤

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

حقوقه

وإذا دخَل الحربيُّ دار الإسلام بأمان غيره أو ممن يدخلون بتأشيرات كسائحين أو رجال أعمال أو سفراء كان له حقُّ المحافظةِ على نفسه وماله وسائِر حقوقه ومصالحه؛ مادام مُستمسِّكا بعقد الأمان ولم ينحرف عنه.

ولا يحل تقييد حُريتِه، ولا القبض عليه مُطلَقاً، سواء قُصِدَ به الأسر، أو قُصِد به الاعتقال –لمجرَّد أنهم رعايا الأعداء، أو لمجرّد قيامِ حالِة الحرب بيننا وبينهم.

الواجب عليه

وعليه المحافظة على الأمن والنظام العامّ، وعدم الخروج عليهما، بأن يكون عيناً، أو جاسوساً، فإن تجسَّسَ على المسلمين لحساب الأعداء، حلَّ قَتْلُه إذ ذاك.([٢٢٤])

ومن صـور الوفاء مع العدو أيضـاً أن معاوية – رضـي الله عنه – كان بينه وبين الروم أمد ، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضـى الأمد غزاهم فإذا شـيخ على دابة يقول :" الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر ، إن رسـول الله(صـلى الله عليه وسلم)قال : " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم ، عهدهم على سواء "

فبلغ ذلك معاوية فإذا الشيخ عمرو بن عبسه " ([٢٢٥])

ومن عجـائـب ما يؤثر إبان فتح الأندلس أن امرءً أسـبانياً اعتدى على فتى من العرب وقتله ، ثم فر هاربا حتى رأى بستاناً فلجأ إليه فدخله فوجد فيه شيخاً جليلاً فاستجار به ليجيره من شر أعدائه فخبأه الرجل في مكان منفرد ، ثم ارتفع الصـياح بفناء البسـتان ودخل نفر من الناس يحملون القتيل فنظره الشـيخ فوجده ابنه ، واعتقد أن ذلك الشـاب الذي التجأ إليه هو الذي قتل ابنه ، فأخذ منه الحزن مأخذه ، ولكن الشيخ قد أخفى حزنه وانتظر حتى أقبل الليل وهدأت الأصـوات ثم قام ودخل على الفتى وأنبأه بنبأه الحادث المؤلم فهلع فؤاد الفتى لهول المصـاب ، وكاد يموت من الخوف ولكن

---

٢٢٤ – الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة (٧/ ٢٦٨)

٢٢٥ – أخرجه أبو داود ٢٧٥٩و الترمذي ح ١٥٨٠ وأحمد ح ١٧٠٥٦ وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٣٥٧

الرجل رأى من الوفاء أن يؤمن ويهدئ روعه حتى سرى عنه ، ثم قال : ما كنت لأخفر ذمتي وأنقض عهدي معك ، ولكن لا آمن عليك من قومي أن يقتلوك فخذ مؤونة سفرة وارحل عني والله ولي أمري "

ثمرات الوفاء

أحباب رسول الله –(صلى الله عليه وسلم) فإن قلتم ما هي الآثار المترتبة على الالتزام بالعهد والميثاق ؟

اعلموا زادكم الله علما : أن أثار الوفاء بالعهود متنوعة ومتعددة، فهناك الآثار التي تخص الفرد وأخرى تعم الجماعة، بعضها في الحياة الدنيا، وأخرى يوم القيامة، فمن هذه الآثار:

١–الإيمان: وردت آيات كثيرة تنفي الإيمان عن الناقضين لعهدهم، وتصفهم بالكفر... وفي المقابل وصف الله سبحانه وتعالى الموفين لعهدهم ومواثيقهم بالإيمان، قال تعالى: وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [الحديد: ٨].

٢–التقوى:

التقوى أثر من آثار الوفاء بعهد الله، وثمرة من ثمرات الالتزام بميثاقه، قال تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: ٦٣].

٣–محبة الله:

أثبت الله محبته للمتقين الموفين بعهدهم، المستقيمين على عهودهم ومواثيقهم حتى مع أعدائهم ما استقاموا هم على تلك العهود، قال تعالى: فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [التوبة: ٧].

٤–حصول الأمن في الدنيا، وصيانة الدماء:

لم تقتصر آثار الوفاء بالعهد والميثاق على المسلمين وحدهم، وإنما شمل عدل الله، الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، ولهم عهود مع المسلمين، فجاءت الآيات صريحة بوجوب الوفاء لهم وصيانة دمائهم.

٥– حصول الأجر العظيم:

فقد وعد الله الموفين بعهدهم بجزاء عظيم، قال تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ [الأحزاب: ٢٣–٢٤].

وقال: وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح: ١٠].

٦-دخول الجنات:

فقد ورد في أكثر من آية جزاء من وفَّى بعهده، والتزم بميثاقه، وهو الوعد بدخول الجنة، قال تعالى: { وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ [البقرة: ٤٠] قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة

تقديم المصلحة العامة على الخاصة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنعم فأجزل، وأعطى فأغنى، وكل شيء عنده بمقدار، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الغزار، وجوده المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، ومن سار على هديهم، وسلك سبيلهم إلى يوم المعاد.

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، فإن تقواه سبحانه شعار المؤمنين، ودثار المتقين، ووصية الله للناس أجمعين، فاتقوا الله تعالى في كل ما تأتون وتذرون، واتقوا الله لعلكم تفلحون

أحباب رسول الله – صلى الله عليه و سلم إن الشريعة الغراء التي جاء بها سيد الأصفياء –صلى الله عليه وسلم –جاءت لتقرر قاعدة عظيمة يعود نفعها على الأمة أفرادا و جماعات إن تلك القاعدة هي قاعدة :تقديم المصلحة العامة على الخاصة – و المشاهد المحسوس في واقع كثير من المسلمين اليوم يجدهم يغفلون عن تلك القاعدة و يقدمون المصلحة الخاصة على العامة ،المصلحة القاصرة على المصلحة المتعدية

فتجد من يضر بغيره من أجل تحقيق نفع ذاتي

- فهذا يرتكب الذنوب والمعاصي التي يعم ضررها على الجميع ويتنزل بسببها البلاء بحجة الحرية الشخصية
- وهذا يتاجر في المخدرات والمسكرات من أجل تحقيق نفع ذاتي وإن ضر ذلك بالمجتمع ودى إلى انهيار و ضياع شبابه
- وأخر يقدم مصلحة جماعته وحزبه على مصلحة الأمة فيوالي ويعادي من أجل حزبه وجماعته وإن أضر بالوطن والأمة
- وأخر يحتكر السلع الغذائية والدوائية من أجل تحقيق ربح قاصر على ذاته
- وأخر يحتكر الكرسي والمنصب وإن أفسد وأضر بالأمن العام من أجل تحقيق مكسب سيادي .....الخ

لـــــــذا

كان لزاما وأجل مسمى أن نتحدث بشفافية ووضوح في ذلك الموضوع حتى نرقى بالأمة و نحقق لها الرفعة و المكان فأعيروني القلوب والأسماع:

تعريف المصلحة: المصلحة هي جلب المنفعة ودفع المفسدة

وتشمل جميع مقومات الحياة المادية (الجسمية أو الشهوانية)، والمعنوية (العقلية أو الروحية)،

أما المصلحة العامة فهي المنافع التي يتحقق بها صلاحُ عموم الأمة أو الجمهور، ولا التفاتَ منه إلى أحوال الأفراد إلّا من حيث إنهم أجزاء من مجموع الأمة.

ويدخل في المصلحة العامة معظم ما جاء فيه التشريع القرآني، ومنه معظم فروض الكفايات، كطلب العلم الديني والجهاد وطلب العلم الذي يكون سبباً في حصول قوة للأمة

المصلحة الخاصة هي الأمور التي تحقق نفع آحاد المجتمع مثل أعمال العبادات من صلاة وصيام وتقوى

ثانيا تقديم المصلحة العامة على الخاصة في الدعوة إلى الله

إخوة الإسلام إن من الأمور المهمة إلى عامة الأمة إن نقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في الدعوة إلى الله تعالى فالداعية لابد أن يتجرد من المصلحة الذاتية إلى المصلحة العامة فهو لا يخدم فراد أو جماعة أو حزبا يريد له الاستحواذ أو يريد له النفوذ وإنما يخدم الدعوة التي يحملها والتي حمله الله تعالى إياه فهو يريد الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا

ولنأخذ صورة مشرقة لتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في الدعوة إلى الله

جاء في السيرة النبوية لابن هشام (ت ٣١٨هـ) هذه القصة :

((اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وغيرهم من رؤساء قريش وقالوا: ابعثوا إلى محمد، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا بك ليكلموك. فأتهم، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً، وهو يظن أن قد بدأ لهم فيها كلمهم فيه بداء. وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة ، فما يعنى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تكون تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً

وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ...)([٢٢٦])

فقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع مغريات مشركي قريش لترك الدعوة وذلك مقابل المال والجاه والملك ولكنه فضل المصلحة العامة على مصلحته الخاصة ورفض كل هذه المغريات

وتحتوي هذه القصة التي تتناول سلوك النبي عليه الصلاة والسلام على مبادئ تربوية جليلة يأتي في مقدمته:

١ـ الثبات على المبدأ في مواجهة المغريات الدنيوية مهما تعاضمت .

٢ـ تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عندما تتعارض الأولى مع الثانية.

فقد رفض النبي تلك المغريات التي عرضت عليه وكان بالإمكان أن يقول عندما أصل إلى السلطة سأتحكم في الناس وسأفرض عليه الدعوة بالإكراه كما نرى من بعض التيارات الإسلامية التي اختارت طريق السلطة على طريق الإصلاح والدعوة فباءت بالفشل

٣ـ رفض السلطة أو الثراء خشية معصية الله ومخافة الوقوع تحت تأثير سوء استغلال هاتين الوسيلتين الدنيويتين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إخوة الإسلام و من مجالات تقديم المصلحة العامة على الخاصة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قطب الدين الأكبر و سبيل السعادة و الراحة و الأمن و السلام الذي أهملته الأمة و ضيعته و الله تعالى يقول {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران: ١١٠]

فالمشاهد يرى البعض يقدم مصلحته فيما يزعم على المصلحة العامة

فالعصاة والمذنبون التي يجاهرون بالمعصية هؤلاء يقدمون نزواتهم وشهواتهم وإن كان في ذلك إضرارا بالمجتمع والأمن العام فإذا ذكرت أو أنكرت تسمعهم يقولون: حرية شخصية وحرية فكرية .... فانتشر التبرج والسفور ولا منكر لذلك فانتشر الاغتصاب و التحرش الذي عم و طم ،و نزلت و حلت بنا العقوبات الربانية كما اخبرنا خير البرية –صلى الله عليه وسلم–

---

[٢٢٦] – السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٩٥ ، ص ٢٩٦ .

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»([٢٢٧])

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَخْرُجُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ وَيَشُقُّونَ عَلَى الَّذِي فِي أَعْلاَهَا ، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا : لاَ نَدَعُكُمْ تَمُرُّونَ عَلَيْنَا فَتُؤْذُونَا ، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا : إِنْ مَنَعْتُمُونَا فَتَحْنَا بَابًا مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ ، نَجَوْا جَمِيعًا ، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا.

رابعا إقامة الحدود الشرعية:

ما ظُلمت الشريعة الإسلامية في فترة من الفترات مثلما ظلمت في الفترة الأخيرة التي تمر بها الأمة فهُوجمت الحدود التي حده الله تعالى وعدها البعض ظلما و تعسفا و عدها البعض رجعية و تخلف فانتشرت الجرائم دون رادع أو حاجز

فإذا قلنا بقطع يد السارق تجد البعض يتهكم من ذلك ويقول أليس هذا من الظلم ؟!!

و لو تدبروا الحكم العلية و الغايات السنية من ذلك الحد لعلموا أن الشرع راعى مصلحة العامة على مصلحة الخاصة فمصلحة العامة حفظ الأموال و الممتلكات من النهب و السرقة و حماية لمدخرات الوطن و الأمن من تلك الجريمة التي تضر بالأمن الاقتصادي و الاجتماعي فهناك مليارات تم سرقتها و نهبها دون عقاب رادع لهؤلاء و كما يقولون من أمن العقاب أساء الأدب

أظهرت تقارير أمنية مصرية ومؤشرات دولية، أن معدلات الجريمة في مصر تضاعفت منذ عام ٢٠١١ حتى الآن، حيث احتلت مصر المركز الثالث عربيًا في تقرير مؤشر الجريمة العالمي لعام ٢٠١٦.

وأكدت تقارير أعدتها وزارة الداخلية المصرية، أن جرائم القتل العمد ارتفعت بنسبة ١٣٠٪، والسرقة بالإكراه زادت بنسبة ٣٥٠٪ بينما ارتفعت سرقة السيارات إلى ٥٠٠٪.

وأشارت إلى أن عدد المجرمين "البلطجية" في مصر ارتفع إلى ٩٢ ألفًا وعدد المسجلين خطرًا ارتفع بنسبة ٥٥٪، وجرائم الخطف من أجل الفدية ارتفع من ١٠٧ حالات إلى ٤٠٠ حالة العام الماضي، كما ارتفعت معدلات السرقة ٤ أضعاف من ٥ آلاف سرقة إلى أكثر من ٢١ ألف حالة

---

[٢٢٧] – أخرجه : الترمذي (٢١٦٩)

إخوة الإيمان الله تعالى عزيز حكيم في تشريع ذلك الحكم و الحد قال الله تعالى {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: ٣٨، ٣٩]

يقول القرطبي –رحمه الله –فإن الله ما وضع الحدود إلا مصلحة عامة كافة قائمة لقوام الخلق، لا زيادة عليها، ولا نقصان معها، ولا يصلح سواها، ولكن الظلمة خاسوا بها، وقصروا عنها، وأتوا ما أتوا بغير نية، ولم يقصدوا وجه الله في القضاء بها، فلم يرتدع الخلق بها، ولو حكموا بالعدل، وأخلصوا النية، لاستقامت الأمور ، وصلح الجمهور. ([٢٢٨])

ومن ذلك قوله تعالى ({وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩] فتشريع القصاص مصلحة مؤكدة للناس ، لأن فيه زجرا وردعا لمن تسول نفسه الاعتداء على أرواح الناس ، فتحفظ حياتهم بذلك ، وقول الله تعالى في تعليل النهي عن الخمر والميسر {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } [المائدة: ٩١] فالنهي عن الخمر والميسر يحقق مصلحة مؤكدة هي دفع ما يريد الشيطان إيقاعه بين المسلمين من عداوة وبغضاء وصد عن ذكر الله وعن الصلاة .....

تقديم النبي – المصلحة العامة على الخاصة في تطبيق الحدود

ومن الأمثلة التطبيقية في حياة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في الحديث الشريف: عن عَائِشَةَ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا، إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا([٢٢٩])

ويقول الدهلوي رحمه الله تعالى في كتابه حجة الله البالغة: (اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد وذلك كل معصية جمعت وجوهًا من المفسدة ، بأن كانت فسادًا في الأرض واقتضابًا على طمأنينة المسلمين ، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها ، ولها ضراوة لا يستطيع الإقلاع منها بعد أن أشربت قلوبهم بها وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من

---

[٢٢٨] – الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٦٩)

[٢٢٩] – أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٥٤

الأحيان ، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس ، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة ، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها وإيلام ليكون بين أعينهم ذلك فيردعهم عمّا يريدونه . ثم مَثَّلَ ببعض المعاصي ، إلى أن قال: وكالسرقة ؛ فإن الإنسان كثيرًا ما لا يجد كسبًا صالحاً فينحدر إلى السرقة

ومن الأمثلة المشرقة في حياة سلف الأمة، ما قام به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المحافظة الشديدة على المصالح العامة، فمن مواقفه المعروفة: إن ابنه عبد الله بن عمر – رضي الله عنه –: اشترى إبلاً وأرسلها إلى الحمى حتى سمنت، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ... بخ... ابن أمير المؤمنين، ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى، أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

تقديم المصلحة العامة على الخاصة في الاقتصاد

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

تقديم المصلحة العامة على الخاصة في باب الحكم والولاية

إخوة الإسلام و من باب مراعاة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة تغليب المصلحة العامة على المصلحة الحزبية أو السياسية عند التنازع على الحكم و السلطة، و هذا من باب درء المفسدة و جلب المصلحة فما عانته الأمة في الماضي من تشرذم و تمزق و من محن قضت على الإسلام في بلاد الأندلس و اندثر رمسه إلا بتغليب المصلحة الخاصة على العامة من أجل كرسي زائل

وما تعانيه الأمة في العراق وسوريا وليبيا وغير هم من دول الأمة الإسلامية هذه الأيام إلا بسبب تغليب بعض الأشخاص المصلحة الفردية والحزبية على مصلحة العامة للوصول إلى سدة الحكم

وفي تاريخ الأمة الإسلامية صور رائعة لمن قدموا المصلحة العامة على المصلحة الخاصة نأخذ في ذلك مثالا رائعا

تنازل الحسن بن علي–رضي الله عنهما–عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه–تغليبا للمصلحة العامة على الخاصة وحقنا لدماء المسلمين

عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية ابن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها.

فقال له معاوية: فكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: إذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه.

فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به فصالحه.

فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ».([٢٣٠])

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ سواء، فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصري فمال الحسن بن علي إلى الصلح وخطب الناس، وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية وذلك سنة أربعين فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة فسمي ذلك العام عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد

---

[٢٣٠] –البخاري – الفتح [٥/٣٦١] رقم [٢٧٠٤] كتاب الصلح –

وهذا الإصلاح الذي حصل بين فريقي الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهما مما يحبه الرب –جل وعلا – ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو من أكبر مناقب الحسن رضي الله عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وهذا الحديث يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان ممدوحاً يحبه الله ورسوله، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي أثنى بها عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبي صلى الله عليه وسلم بترك واجب أو مستحب)

تضحية الخاصة من اجل بقاء العامة

إخوة الإسلام: و من أروع صور تقديم المصلحة العامة على الخاصة هو التضحية من أجل بقاء العامة و سلامة الأمة ففي تلك الفترة العصيبة نحن بحاجة ماسة الى ذلك النوع من التضحية من اجل رقي و بقاء الامة في وسط تلك الظروف الهوجاء التي تعانيها الامة فالتضحية سبيل البقاء و هيها لنتأمل تلك المشاهد :

تضحية نبي الله يونس عليه السلام – من اجل سلامة ركاب السفينة

يقول الله تعالى { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات: ١٣٩ – ١٤٤]

وفي قصَّة يونس – عليه السلام –: دليلٌ على القاعدة الأصولية المشهورة، وهي: ارتكاب أخف الضررين لدفْع أعلاهما، فإلقاء بعض أفراد السفينة، وإن كان فيه ضررٌ متحقِّق، إلا أنَّ فيه دفعًا لضرر أعلى، وهو هلاكهم جميعًا.

الدعاء .....

تحفة العمال بثمرات إتقان الأعمال

الخطبة الأولى

الحمد لله الغفور الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عم ببره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، الواحد الأحد القدوس الصمد الأول المنفرد بالعز والكمال فلا ينتقص عزه ولا يتحول، الحي العليم القدير السميع البصير المتكلم بكلام قديم لا يتغير ولا يتبدل، أحمده على ما أنعم وأكرم وتفضل

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

الذي أوحى إليه الكتاب ونزّل، ونهج للمتقين طريق الهداية وسهل

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:.....

أمة الإسلام: أيها الآباء أيها الإخوة الأعزاء حديثنا اليوم عن (تحفة العمال بثمرات إتقان الأعمال) فما هي الثمرات التي تعود على الفرد والمجتمع بإتقان أعمالهم؟

أعيروني القلوب والأسماع أيها الأحباب

العنصر الأول: تعريف الإتقان

أمة الإسلام، إتقان العمل هو: أداء العمل دون خلل فيه والالتزام بمتطلبات ذلك العمل من التقيد بضوابط وتقنيات معينة.

وأداؤه في الوقت المحدد دون تأخير.

العنصر الثاني ثمرات إتقان العمل في الدنيا

أولا أن الله يحب المتقنين

اعلموا أمة الإسلام أن الله تعالى حثكم على الإتقان فقال –عز وجل–: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥). هذا الإحسان، هو الإتقان والإحكام، وهذه القضية وهي تجويد شيء

وإحسانه وإتقانه من المطالب الشرعية العظيمة في ديننا، والمتأمل في التكاليف والفرائض ة الأوامر يجدها مبنية على أساس محمك ألا وهو الإتقان الذي هو سمة أهل الإيمان.

عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: شَهِدت مَعَ أَبي جَنَازَة شَهِدَهَا رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا غُلاَمٌ أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانتُهي بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يمكَّن لَهَا.

قَالَ: فَجَعَلَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((سَوّوا لَحْدَ هَذَا)).

حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّة، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِم فَقَالَ: ((أَمَا إِنَّ هَذَا لاَ يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلاَ يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِن)) وفي لفظٍ ((ولكن أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ».([٢٣١])

ولقد أحسن من قال:

إذا عمل المرءُ المكلف مرةً عمـلًا فإنّ العيبَ ألّا يحسنه

فقـــدْ ذكرَ المختارُ أنّ إلهنَا يحـــبُّ لعبدٍ خافَهُ أنْ يتقنَه

ثانيا: أن إتقان العمل اتصاف بصفة من صفات الله –جل جلاله وعظم سلطانه–

والإتقان أيها الآباء صفة من صفات رب الأرض والسماء فهو الذي أتقن كل شيء خلقة وأحسن كل شيء أبدعه قال الله تعالى﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[النمل: ٨٨] فأحسنه وجوده وأتقنه، والذي يتأمل إتقان الله تعالى لمخلوقاته وكيف انه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى لهتف لا إله إلا الله.

• قصة: يحكى أن رجلا وابنه كانا تحت نخلة في بستان فأراد الولد أن يجادل أباه فقال له: يا أبت انظر إلى هذه النبتة الصغيرة نبتة البطيخ تثمر ثمرة كبيرة جدا بينما هذه النخلة على طولها ثمرتها صغيرة...ولا نسبة بينها وبين البطيخة...وكان المفروض أو المعقول أن تكون ثمرة النخلة في عظم البطيخة لتتناسب مع حجم الشجرة بينما تكون ثمرة نبات البطيخ في حجم التمرة...فقال له: يا بني لعل لله حكمة لا نعرفها.

ثم استلقى الفتى على ظهره ليستريح واستلقى أبوه إلى جواره...وما إن غفت عين الفتى قليلا حتى سقطت من أعلى النخلة تمرة فأصابت وجهه وآلمته وصاح من أثر ذلك...فقال له أبوه: ماذا بك؟ فقال تمرة من فوق النخلة أصابتني فقال الوالد: يا بني احمد الله أنها لم تكن بطيخة.

---

[٢٣١] – أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٣٤/٤، رقم ٥٣١٢) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٣٤٩/٧، رقم ٤٣٨٦)

• انظر حولك ترى إتقان الرحيم الرحمن: يقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾ [النبأ : ٦- ١٦].

﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ [النبأ: ٦].

فحري بك أيها المسلم أن تتصف بصفة الإتقان وأن تكون داعيا لأخلاق الإسلام بأفعالك قبل أقوالك

ثالثا أن الإتقان ثمرة من ثمرات المراقبة لله تعالى:

و اعلموا أن الإتقان ثمرة من ثمرات المراقبة لله تعالى ، وأن ما نقوم به من عمل فإن الله تعالى مطلع عليه إن خيرا فخير و إن شرا فشر ، فالمسلم الحق هو الذي لا يراقب مديرة ولا رئيسه في العمل بل يراقب الله تعالى و تلك هي المراقبة الذاتية {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) } [يونس: ٦١]

رابعا أن إتقان العمل سبب من أسباب رقي الأمم والتمكين للأمة في الارض

أيها الإخوة الأعزاء إن إتقان العمل سبب من اعظم أسباب الرقي و التمكين في الأرض ..... ”

فالمنهج الصحيح مع الأخلاق الفاضلة.... والقوّة المادية والعلمية المكنة..... والتوكّل على الله عزّ وجلّ

ذو القرنين يصل إلى منطقةٍ بين السدّين، ويلتقي بقومٍ متخلّفين حضارياً، يعانون من عدوان يأجوج ومأجوج وطغيانهم وفسادهم.. هؤلاء القوم المتخلّفون الضعفاء يطلبون من الملك الصالح القويّ، أن يجدَ لهم الحل الأمثل لمنع عدوان المعتدين المفسدين في الأرض (يأجوج ومأجوج): (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً) (الكهف: ٩٤).

ويرفض الملك الصالح أي مالٍ أجراً على بناء السد الذي سيحمي القومَ من المفسدين الطغاة، لأنه صاحب رسالة، وسبق أن أعلن أنه يسير على منهج الله عزّ وجلّ في إحقاق الحق وإبطال الباطل، فهذا واجبه بل فرضٌ من الله عليه، ومهمة أوكلها سبحانه وتعالى إليه، هي تحقيق العدل بين الناس، وتحريرهم من الخوف والاستعباد والعبودية لغير الله، وانتزاع حقوقهم، ومعاقبة المعتدين المتجبّرين عليهم وصدّ أذاهم وطغيانهم!.. فهو لا يجاهد في سبيل أحدٍ من البشر، بل في سبيل الله

وحده لا شريك له، لذلك فالأجر لا يُستوفى إلا من الذي كلّفه بمهمة الجهاد والعمل الهادف، وهو الله سبحانه وتعالى: (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً) (الكهف: ٩٥).

فالتمكين هو من الله عز وجل أولاً وآخراً، وكذلك الأجر منه أيضاً وليس من أحدٍ سواه!..

نلاحظ هنا أن الملك الصالح ذا القرنين استخدم وسائل علميةً متقدمةً للتغلب على العدو المفسد، ومن ذلك أنه استخدم النحاس المذاب مع الحديد، وقد اكتشف الخبراء في عصرنا هذا، أنّ هذه الطريقة تُضاعف من صلابة الحديد ومقاومته إلى درجةٍ كبيرة، فهل نتعلّم ونتّخذ العبرة؟!..([٢٣٢])

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.[٨]

{وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠] من القُوَّةِ النفسيةِ الباطنةِ والقوةِ العسكريةِ الظاهرة.

نصرهم الله تعالى لأنهم قامُوا بنصر دينه {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَـاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} [الحج: ٤٠-٤١].

✍خامسا: أن إتقان الأعمال سبب من أسباب معية الكبير المتعال:

يقول سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩]

يقول ربنا عز وجل بسورة المائدة: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [المائدة: ١٢].

---

[٢٣٢] – التمكين في الرؤية الإسلامية د. محمد بسام يوسف

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

العنصر الثالث ثمرات إتقان العمل في الأخرة

أولا: أن إتقان الأعمال سبب من أسباب قبول الأعمال

أيها الآباء و الإخوة الأعزاء: إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا أحسنه و أتمه لذا حثنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم على إتقان العمل و توعد الذين لا يتقنون بالعذاب فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا ، فَأَدْرَكَنَا ، وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاةُ ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ من النَّارِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا . (٢٣٣)

أيها الأحباب من ذلك الحيث يعلم أن عملك مرهون بالإتقان فإن أتقنت تقبل الله تعالى عملك و إلا رد عليك ، وكذلك الأمر بالنسبة للصلاة، فنجد أنه يأمر ذلك الأعرابي أن يُعيد الصلاة ثلاث مرات؛ لأنه لم يتقن أداءها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه –: أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ))، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)) –ثَلَاثًا–، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي، قَالَ: ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِداً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدَاً، [ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً] ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا)))(٢٣٤)

---

٢٣٣ – أخرجه البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢ – ٢٩).

٢٣٤ – أخرجه: أحمد ٢/ ٤٣٧، والبخاري ١/ ١٩٢ (٧٥٧)، ومسلم ٢/ ١٠ (٣٩٧)

ثانيا: أن إتقان الأعمال سبيل إلى الرقي في الجنان

عباد الله: واعلموا أن عملكم معروض على الخالقِ سُبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن كثير وغيره: قال مجاهد: هذا وعيد – يعني من الله تعالى – للمخالفين أوامره، بأن أعمالهم ستعرض عليه، وعلى الرسول والمؤمنين، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، والرؤية هنا شاملة للعلمية والبصرية.

قال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء: ٤٧].

يقول الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ۞ كَانُوا قَلِيلاً مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ۞ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: ١٥-١٦- ١٧-١٨-١٩]

وقال الله تعالى: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧].

عن عائشة –رضي الله عنه –قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: (المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ – وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ – لَهُ أَجْرَانِ).([٢٣٥])

وهكذا في سائر العبادات، الإحسان أمر مرغوب، والإتقان جميل ومطلوب، فمن أتقن عمله رفع الله درجته يوم القيامة

الدعاء .....

[٢٣٥] – البخارى (١٨٨٢/٤، رقم ٤٦٥٣) ، ومسلم (٥٤٩/١، رقم ٧٩٨)

من أصول البر الإيمان بالملائكة وأثره على أمن وسلامة الأوطان

الخطبة الأولى

أما بعد: إخوة الإيمان أحباب النبي العدنان –صلى الله عليه وسلم– نعيش اليوم مع ركن من أركان الإيمان بالله تعالى لنتعرف على مكانتهم و منزلته ثم نتعرف على أثره على أمن وسلامة الأوطان

إنه الإيمان بالملائكة فالإيمان بهم اصل من صول البر قال الله تعالى {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧]

فمن هم الملائكة؟ وما حكم الإيمان بهم؟ وما هي صفاتهم؟ وما هي وظائفهم؟ وما هو أثر الإيمان بهم في سلامة وأمن الأوطان؟

أعيروني القلوب والأسماع

✍ أولا تعريفهم: الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأَلُوكِ) وهي: الرسالة.

وهم إخوة الإيمان: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خلقهم: والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي " النور ". فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقت الملائكة من نور. وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» ([٢٣٦]) . والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

✍ ثانيا الإيمان بالملائكة:

اعلموا علمني الله وإياكم أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان بالله تعالى وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته.

---

[٢٣٦] – صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦) .

قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥] (البقرة: ٢٨٥) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: ١٧٧] (البقرة: ١٧٧) . فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ- والبرُّ اسم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦] (النساء: ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان،

ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت.» ([٢٣٧]) .

ثالثا: صفات الملائكة

أخي المسلم -اعلم بارك الله فيك-أن الله تعالى وصف الملائكة في القران الكريم بصفات عديدة نذكر منها:

---

[٢٣٧] – صحيح مسلم برقم (٢٤٠١) .

لقد تضمن الكتاب العزيز والسنة المطهرة الكثير من النصوص المبينة لصفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

الصفة الأولى القوة والشدة : أنهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} [التحريم: ٦] (التحريم: ٦) . وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم: ٥] (النجم: ٥) . وقال في وصفه أيضا {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [التكوير: ٢٠] (التكوير: ٢٠) .

الصفة الثانية عظم الخلق: وهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣] (التكوير: ٢٣)

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: " رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ " » ([٢٣٨])

وروى أبو داود من حديث عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ». ([٢٣٩])

الصفة الثالثة: التفاوت في الخلق: فهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر: ١] (فاطر: ١) .

الصفة الرابعة الجمال: جمال الخلقة والمنظر فقد منح الله تعالى ملائكته الحسن والجمال ونحن عندما نريد أن نعبر على جمال شيء نقول جميل كالملائكة

يقول تعالى في حق جبريل عليه السلام {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى - ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم: ٥ - ٦] (النجم: ٥، ٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقال قتادة: (ذو خلق طويل حسن) .

---

[٢٣٨] – مسند الإمام أحمد: (١ / ٣٩٥) ، (٦ / ٢٩٤) .

[٢٣٩] – سنن أبي داود: (٥ / ٩٦) ، برقم (٤٧٢٧) .

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتهن ليوسف عليه السلام: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١] (يوسف: ٣١) وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

✍ الصفة الخامسة: أنهم كرام بررة

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قال تعالى {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ – كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس: ١٥ – ١٦] (عبس: ١٥، ١٦) . وقال عز وجل {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ – كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار: ١٠ – ١١] (الانفطار: ١٠، ١١) .

ومن صفاتهم الحياء ومن صفاتهم الحياء لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حق عثمان رضي الله عنه: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟». ([٢٤٠])

✍رابعا خصائص الملائكة

اعلموا عباد الله أن الله تعالى اختص ملائكته بخصائص ليست لأحد من الخلق وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات: نذكر منها

✍ الخاصية الأولى أن مساكنهم في السماء:

فقد دلت الآيات البينات و السنن الواضحات أن مسكن الملائكة في السماوات العلى و إنما يهبطون الى الأرض تنفيذا لأمر صاحب الأمر جل جلاله قال تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [النحل: ٢] (النحل: ٢) وقال تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الزمر: ٧٥] (الزمر: ٧٥) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ([٢٤١]) .

✍الخاصية الثانية أنهم لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة

قال تعالى منكرا على الكفار ذلك: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: ١٩] (الزخرف: ١٩) . وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى} [النجم: ٢٧] (النجم: ٢٧) .

---

[٢٤٠] – أخرجه مسلم (٤/١٨٦٦، رقم ٢٤٠١)، وأبو يعلى (٨/٢٤٠، رقم ٤٨١٥) .

[٢٤١] – صحيح البخاري برقم (٥٥٥) وصحيح مسلم برقم (٦٣٢) .

الخاصية الثالثة العصمة من الذنوب والمعاصي: فهم قد فطرهم الله تعالى على طاعته و امتثال امره كما قال تعالى في وصفهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦] (التحريم: ٦) . وقال أيضا {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٧] (الأنبياء: ٢٧) .

الخاصية الرابعة انهم لا يملون و لا يفترون ولا يسامون من العبادة قال تعالى: {وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ – يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩ – ٢٠] (الأنبياء: ١٩، ٢٠) . وقال في آية أخرى: {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} [فصلت: ٣٨] (فصلت: ٣٨) .

خامسا وظائف الملائكة:

اعلم–بارك الله فيك –أن للملائكة وظائف كثيرة يعجز المقام عن ذكرها ولكنني في عجالة أذكر أهم تلك الوظائف

الوظيفة الأولى تبليغ الوحي عن الله تعالى

فمن الملائكة من هو موكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ – عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ – بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥]

الوظيفة الثانية: ومنهم من هو الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٩٨] (البقرة: ٩٨) وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل أنه يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل» . .) ([٢٤٢]) . ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

الوظيفة الثالثة ومنهم الموكل بالصُّور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد

---

[٢٤٢] – رواه الإمام أحمد في المسند: ٦ / ١٥٦، والنسائي في السنن: ٣ / ٢١٣، برقم (١٦٢٥) ، ونحوهما مسلم في الصحيح برقم (٧٧٠) ، وابن ماجه برقم (١٣٥٧) .

الله بن عمرو بن العاص قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه» ([٢٤٣]) .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» ([٢٤٤])

وينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [النمل: ٨٧] (النمل: ٨٧) . وهذه هي نفخة الفزع وقد دل على النفختين الأخريين قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨] (الزمر: ٦٨) .

الوظيفة الرابعة :قبض الأرواح وهو ملك الموت قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة: ١١] (السجدة: ١١) .

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، وإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة.

قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١] (الأنعام: ٦١).

الوظيفة الخامسة: ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه» ([٢٤٥]) .

الوظيفة السادسة ومنهم حملة العرش قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٧] (غافر: ٧) .

وقال تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة: ١٧] (الحاقة: ١٧) .

---

[٢٤٣] – المسند: ٢ / ١٦٢، ١٩٢.

[٢٤٤] – صحيح البخاري، برقم (٣٢٣١) ، ومسلم برقم (١٧٩٥) .

[٢٤٥] – صحيح البخاري برقم (٣١٨) ، ومسلم برقم (٢٦٤٦) .

✍الوظيفة السابعة: ومنهم خزنة الجنة. قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: ٧٣] (الزمر: ٧٣) . وقال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد: ٢٣] (الرعد: ٢٣) .

✍الوظيفة الثامنة: ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ – كِرَامًا كَاتِبِينَ – يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ – ١٢] (الانفطار: ١٠– ١٢) وقال تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ – مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٧ – ١٨] (ق: ١٧، ١٨) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى الصَالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

✍أثر الإيمان بالملائكة وأثره في نشر روح البر في المجتمع

✍المراقبة: و هذه من أعظم ثمرات الإيمان بالملائكة أن المسلم يعي أن معه ملكان وكلهم الله تعالى بكتابة الحسنات و السيئات و عندها ينأى المسلم بنفسه عن الذنوب و المعاصي { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الانفطار: ١٠ – ١٢] وقال تعالى {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤] وقال تعالي {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦] ويقول أيضا جل في علاه: { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } [الزخرف: ٨٠] ورسلنا يقصد بهم الملائكة ،فالله يسمع السر والنجوى ، والملائكة تكتب ،وهذا من أثار الإيمان بالملائكة

وعندها يحيى المجتمع في بوتقة الطاعة فلا ترى سارقا أو غاشا أو خائنا لوطنه أو ظالما لأن الجميع يعي حقيقة الرقابة الملائكية

✍ثانيا: تنمية خلق الحياء لدى الفرد والمجتمع

عندما يرتقي المسلم في سلم الإيمان بالله وملائكته يعلم علم يقين ان معه ملائكة لا يفارقونه ينظرون إليه ويكتبون ما يقوم به فيدعوه ذلك إلى خلق الحياء

ثالثا أن يتجنب المسلم ما يوجب لعنة الملائكة نذكر منها

الإشارة إلى المسلم بالسلاح: اعلموا –رحمني الله و إياكم–أن من أشار إلى أخيه المسلم بحديدة حتى ولو كان على سبيل المزاح فإن الملائكة تلعنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَضَعَهَا وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأبيهِ وَأمه» (٢٤٦).

فيكيف بمن يقتلون الأبرياء ويسفكون الدماء ويروعون أمن البلاد و العباد؟

فمن روّع أخاه المسلم وخوّفه وعرّضه لما يؤذيه، فقد حلّت به اللعنة: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه".

وهذا مبالغة في إيضاح التحريم والنهي في كل مسلم، حتى من لا يُتهم فيه الإنسان كأخيه، وتأكيدًا للتحريم هزلاً ولعبًا.

وعليه، فكل حديدة أو سلاح، لا يجوز الإشارة بها لمسلم، ولو كان الإنسان مازحًا؛ لأن فيه ترويع للمسلم، ولأن الشيطان قد يوقعه مازحًا أو عامدًا أو مستهينًا في قتل نفس مؤمنة.

إننا –عباد الله–نعيش في زمن ووقت كثر فيه القتل بغير حق، وانتشر فيه إزهاق الأرواح البريئة، وقتل النفوس الضعيفة، لأسباب ولغير أسباب. فقلّ يوم لا تقرأ في جريدة، أو تسمع عن خبر قتل، وسطو واعتداء.

وقال جل من قائل: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)[النساء: ٩٣].

أربع عقوبات عظيمة كل واحدة منها توجل القلب، وتفزع النفس: جهنم خالدًا فيها، فيا ويله ما أصبره على نار جهنم التي فضلّت على نار الدنيا كلّها بتسعة وستين ضعفًا، وغضب الله عليه، وبئسما حصّل لنفسه مع غضب الرب العظيم الجليل عليه، ولعنه، فطرده وأبعده عن رحمته، وأعدّ له عذابًا عظيمًا.

فويلٌ ثم ويلٌ لقاتل النفس المؤمنة من النار، وغضب الجبار، واللعنة والعذاب العظيم.

البعد عن الغدر و الخيانة: أيها الإخوة: وممن تلعنه الملائكة: من نقض أمان مسلم، لما في الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم،

---

٢٤٦ – أخرجه : البخاري ٦٢/٩ (٧٠٧٢) ، ومسلم ٣٣/٨ (٢٦١٦) (١٢٥).

فمن أخفر مسلمًا –أي نقض عهده وأمانه للكافر– فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرفٌ ولا عدلٌ".([٢٤٧])

فإذا أعطى مسلم لكافر عهدًا ثم نقضه وغدر به حقت عليه اللعنة مهما كان هذا المسلم، عبدًا أو حُرًّا، رجلاً أو امرأة، فقد استجار كافر بامرأة من المسلمين على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "لقد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ". ([٢٤٨])

✍ لعن الملائكة لمن أحدث حدثاً، أو آوى محدُثاً:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: (من أحدث حَدَثاً، أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)([٢٤٩])، فاللعن هنا يترتّب على مسألتين:

✍ لعن الملائكة لمن يحولون دون تنفيذ شرع الله تعالى:

لا شكّ أن الله تعالى قد أنزل الكتاب ليكون حاكماً على الناس بالقسط: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: ١٠٥] ، ومما جاء في أحكام الحدود وجوب اللعنة على من تعدّى على مسلمٍ فسفك دمه دون وجه حق، وهذا الحكم مذكورٌ في قوله تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً} (النساء:٩٣).

الدعاء .....

القول السديد في بيان صفات الشهيد

الخطبة الأولى

---

[٢٤٧] – أخرجه أحمد (٨١/١ ، رقم ٦١٥) ، والبخاري (٦٦١/٢ ، رقم ١٧٧١) ، ومسلم (١١٤٧/٢ ، رقم ١٣٧٠)

[٢٤٨] – أخرجه أحمد (٢٤٢/٣ ، رقم ١٣٥٦٤) ، والبخاري (٦٦١/٢ ، رقم ١٧٦٨) ، ومسلم (٩٩٤/٢ ، رقم ١٣٦٦) .

[٢٤٩] – أخرجه أحمد (١٥٢/١ ، رقم ١٣٠٦) ، ومسلم (١٥٦٧/٣ ، رقم ١٩٧٨)

الحمد لله منشئ الموجودات، وباعث الأموات، وسامع الأصوات، ومجيب الدعوات، وكاشف الكربات، عالم الأسرار، وغافر الأوزار، ومنجي الأبرار، ومهلك الفجار، ورافع الدرجات،

الذي علم وألهم، وأنعم وأكرم، وحكم وأحكم، وأوجب وألزم (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات).

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير.

يا من له علم الغيوب ووصفه ستر العيوب وكل ذاك سماح

أخفيت ذنب العبد عن كل الورى كرما فليس عليه ثمّ جناح

فلك التفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته مرة ثانية و ثالثة.

إن السلام وإن أهداه مرسله وزاده رونقاً منه وتحسيناً

لم يبلغ العشر من قول يبلغه أذن الأحبة أفواه المحبينا

إخوة الإسلام ما بين الفينة والأخرى نعود شهداء قد جادوا بأرواحهم فداء لدينهم ثم لأوطانهم قد نالت منهم يد الغدر والظلم والطغيان والإرهاب ..... رحلوا عن بأجسادهم ولكنهم بقوا بذكراهم وتضحياتهم

حديثنا عن صفات الشهداء الذين اختصهم الله تعالى بفضله و بكرمة كما في حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه – أو يرى مقعده من الجنة – ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ،

ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، يشفع في سبعين من أقاربه ([٢٥٠]) أخرجه أحمد

العنصر الأول صفات الشهيد

أمة الإسلام إن الشهادة منزلة عالية ومكانة سامية كما ذكرنا أنفا وللشهادة في سبيل الله مؤهلات وصفات فليس كل أحد ينال تلك المنزلة ولا يصل إلى هذه المكانة وإليكم عباد الله بعض هذه الصفات

الصفة الأولى: الإيمان والصدق العميق

الإيمان الذي هو المحرك للمشاعر والأعضاء الذي يدفع المرء إلى بذل مهجته في سبيل إعلاء كلمة الحق

إيمان بأنه على الحق

إيمان بأن واجبه نصرة ذلك الحق

إيمان بما وعد الحق جل جلاله

عن أبي موسى قال سئل النبي {صلى الله عليه وسلم} عن الرجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميةً ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في حديث ابن المثنى لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله([٢٥١])

الواقع التطبيقي لهذه الصفة

وتأملوا عباد الله إلى الإيمان العميق كيف يسمو بصاحبه إلى درجة الشهادة:

عن شداد بن الهاد – رضي الله عنه – قال: جاء رجل من الأعراب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فآمن به واتبعه ، ثم قال: أهاجر معك ، " فأوصى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة ، " غنم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سبيا ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له " ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه ، فقال: ما هذا؟ ، قالوا: قسم قسمه لك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخذه فجاء به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ما هذا؟ ، قال: " قسمته لك " ، فقال: ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى بسهم هاهنا – وأشار إلى حلقه – فأموت فأدخل الجنة فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن تصدق الله يصدقك " ، فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتي به رسول الله – صلى الله

---

[٢٥٠] –سبق تخريجه

[٢٥١] – أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير: ١٥

عليه وسلم – يحمل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أهو هو؟ " ، قالوا: نعم ، قال: " صدق الله فصدقه ، ثم كفنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في جبته ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرا في سبيلك ، فقتل شهيدا ، أنا شهيد على ذلك)(٢٥٢)

أنس بن النضر (ﷺ) .

عن أنس بن مالك قال : غاب عمي أنس بن النضر ، عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين : لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد أنكشف المسلمون ، قال :اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد ، قال : سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنه بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه (٢٥٣)

الصفة الثانية: الثبات والإقدام

ومن صفات الشهداء أنهم يثبتون في ميدان المعركة ولا يولون الأدبار لإيمانهم بقول العزيز الجبار {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) } [الأنفال: ٤٥]

يقول الشيخ محمد رشيد رضا– رحمه الله– والمعنى : يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار ، وكذا البغاة في القتال فاثبتوا لهم ، ولا تفروا من أمامهم – ولم يصف الفئة للعلم بوصفها من قرينة الحال ، وهي أن المؤمنين لا يقاتلون إلا الكفار أو البغاة – فإن الثبات قوة معنوية طالما كانت هي السبب الأخير للنصر والغلب بين الأفراد أو الجيوش : يتصارع الرجلان الجلدان فيعيا كل منهما ، وتضعف منته ، ويتوقع في كل لحظة أن يقع صريعا فيخطر له أن خصمه ربما وقع قبله فيثبت ، حتى يكون بثبات الدقيقة الأخيرة هو الصرعة الظافر (٢٥٤)

الواقع التطبيقي لهذه الصفة

وهيا لنرى الترجمة الحرفية الفورية لتلك الصفة من صفات الأبطال والكماة

---

٢٥٢ – أخرجه النسائي (٦٠/٤) وصحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣٦

٢٥٣ – أخرجه البخاري (٤٠٤٨)

٢٥٤ – تفسير المنار (١٠/ ٢٠)

✍- «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب

عن البراء بن عازب-رضي الله عنهما-أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به-يعني النبي صلى الله عليه وسلم) (٢٥٥)

✍ثبات الشهداء بمعركة اليمامة

وتقدم خالد – رضي الله عنه – بالمسلمين حتى نزل بهم على كثيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره، واصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وهموا بقتل أم تميم حتى أجارها مجاعة، وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرَّجَّال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: لبئس ما عودتم أقرانكم ونادوا من كل جانب: أخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتًا حتى قتل هناك.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن تؤتى من قبلك؟

فقال: بئس حامل القرآن أنا إذًا.

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدمًا. وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيدًا – رضي الله عنه –.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم، وأصيب – رضي الله عنه –، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه

---

[٢٥٥] – أخرجه أحمد (٢٨٠/٤ ، رقم ١٨٤٩١) ، والبخاري (١٠٥١/٣ ، رقم ٢٧٠٩) ، ومسلم (١٤٠١/٣ ، رقم ١٧٧٦)

فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه، وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ولا يدنو منه شيء إلا أكله، وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بنى أب على رايتهم يقاتلون تحتها حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبر الصحابة في هذه المواطن صبرًا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم وولى الكفار الأدبار واتبعوهم يقتلون في أقفائهم ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة –وهو محكم بن الطفيل لعنه الله– بدخولها فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة. (٢٥٦)

الصفة الثالثة: الشجاعة

ومن صفات الشهداء أنهم لا يهابون ولا يخفون يخوضون معمعة القتال ببسالة وشجاعة لا نظير لها حالهم كما قال قطري:

أَقولُ لَها وَقَد طارَت شَعاعاً مِنَ الأَبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي

فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَم تُطاعي

فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبراً فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطاعِ

وَلا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ فَيُطوى عَن أَخي الخَنَعِ اليَراعُ

سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ فَداعِيَهُ لِأَهلِ الأَرضِ داعي

وَمَن لا يُعتَبَط يَسأَم وَيَهرَم وَتُسلِمهُ المَنونُ إِلى اِنقِطاعِ

وَما لِلمَرءِ خَيرٌ في حَياةٍ إِذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المَتاعِ

عن البراء –رضي الله عنه –قال: "وكان إذا احمرَّ البأس، يُتَّقى به –يعني: النبي –صلى الله عليه وسلم – وإنَّه الشجاع الذي يُحاذَى به"([٢٥٧])

---

[٢٥٦] – البداية والنهاية ط الفكر (٦/ ٣٢٤)

[٢٥٧] – الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٩٨)

ويقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –وهو من أبطال الأمة وشُجعانها: "لقد رأيتُنا يوم بدر ونحن نلُوذ برسول الله –صلى الله عليه وسلم – وهو أقربُنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يَومئذ بأسًا"([٢٥٨])

وقد حثَّ النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم –أمَّته على الشجاعة، وجعَلها مَجلبة لحب الله ورضاه؛ يقول –صلى الله عليه وسلم –: ((ثلاثة يُحبُّهم الله –عز وجلَّ –وذَكَر منهم: ورجل كان في سريَّة، فَلقوا العدوَّ، فهُزِموا، فأقبَل بصدره؛ حتى يُقتلَ، أو يَفتحَ الله له)) ([٢٥٩])

ويَقول النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمَره ونهاه، فقتَله))؛ مُسند أبي حنيفة) (٢٦٠)

الواقع التطبيقي

الزبير يوم اليرموك.

يقول ابن كثير –رحمه الله–: (وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام وهو أفضل من هناك من الصحابة وكان من فرسان الناس وشجعانهم فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك، فقال: أنكم لا تثبتوا فقالوا: بلي فحمل وحملوا: فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الأخر وعاد إلى أصحابه ، ثم جاء وإليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية جرح ، وقد روي البخاري معني ما ذكرناه في صحيحة . (٢٦١)

الصفة الرابعة: أنهم رهبان ليل

ومن صفات الشهداء والمجاهدين أنهم رهبان ليل إذا جن عليهم الظلام يقومون بين يدي رب الأنام

عباد ليل إذا جنّ الظلام بهم ... كم عابد دمعه في الخد أجراه

وأُسْدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ... يشيدون لنا مجداً أضعناه

---

[٢٥٨] – أخرجه ابن أبى شيبة (٤٢٦/٦ ، رقم ٣٢٦١٤) ، وأحمد (٨٦/١ ، رقم ٦٥٤)

[٢٥٩] – خرجه الترمذي (٦٩٨/٤ ، رقم ٢٥٦٨) ، والنسائي (٨٤/٥ ، رقم ٢٥٧٠) وابن خزيمة (١٠٤/٤ ، رقم ٢٤٥٦)

[٢٦٠] – أخرجه الترمذي (٦٩٨/٤ ، رقم ٢٥٦٨) ، والنسائي (٨٤/٥ ، رقم ٢٥٧٠) صحيح الجامع: ٣٦٧٥ ، الصحيحة: ٣٧٤

[٢٦١] – – البداية والنهاية ط الفكر (٧/ ١١)

قال يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قال : لما نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ، فبينا نحن فيها إذا أرسل إلينا بطريقها فجئناه ، فقال : أنتما من العرب ؛ قلنا نعم ؛ قال : وعلى النصرانية ؛ قلنا : نعم فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورايهم ، وليثبت الأخر على متاع صاحبة ، ففعل ذلك أحدنا فلبث مليا ثم جاء فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان يرشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهن بالقرآن والذكر ، قال فالتفت إلى أصحابه وقال أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به (٢٦٢)

الواقع التطبيقي لهذه الصفة:

* عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال: عبد الله، قال: أبي وفي موضع آخر: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة من نجد، فأصاب امرأة رجل من المشركين – إلى نجد، فغشينا دارا من دور المشركين، قال: فأصبنا امرأة رجل منهم، قال: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا، وجاء صاحبها، وكان غائبا، فذكر له مصابها، فحلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دما، قال: فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق، نزل في شعب من الشعاب، وقال: «من رجلان يكلآنا في ليلتنا هذه من عدونا؟» قال: فقال رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله، قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل، وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره، وأكفيك أوله؟ قال: فقال المهاجري: بل اكفني أوله، وأكفيك آخره، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، قال: فافتتح سورة من القرآن، فبينا هو فيها يقرؤها إذ جاء زوج المرأة، قال: فلما رأى الرجل قائما عرف أنه ربيئة القوم، فينتزع له بسهم فيضعه فيه، قال: فينزعه، فيضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر، فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه وهو قائم يصلي، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، قال: ثم عاد له زوج المرأة الثالثة بسهم، فوضعه فيه، فانتزعه، فوضعه ثم ركع فسجد، ثم قال لصاحبه:

---

٢٦٢ – البداية والنهاية ط الفكر (٧/ ١٦)

اقعد فقد أتيت، قال: فجلس المهاجري، فلما رآهما صاحب المرأة هرب، وعرف أنه قد نذر به، قال: وإذا الأنصاري يموج دما من رميات صاحب المرأة، قال: فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني أول ما رماك؟ قال: فقال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها (٢٦٣)

وهذا عبد الله بن المبارك كان في غزوة من الغزوات فتلثم وغطى وجهه، ودعا داعي الروم: من يبارز؟ فخرج عبد الله بن المبارك في لثامه، فقتل فارس الروم، ثم قتل الثاني والثالث والرابع، فتعجب الناس من بطولته، فأتى إليه رجل ورفع لثامه فإذا هو عبد الله بن المبارك وما كانوا يظنون أنه عبد الله المبارك ، فقال لمن رفع لثامه: وأنت ممن يشنع علينا يا أبا عمرو!

وكان محمد بن أعين رفيقاً لـعبد الله بن المبارك في غزواته كلها، وكان كريماً عليه، قال محمد بن أعين : فذهب ليرني أنه ينام، قال: فوضعت رأسي على رمح، وذهبت أريه أني نائم، فلما ظن أني قد نمت قام فصلى إلى قبل طلوع الفجر، ثم أيقظني عند الفجر، فقلت له: إني لم أنم الليلة، فعرفت الغضب في وجهه، وما زال مجافياً لي إلى الممات.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

الصفة الخامسة: التضحية والبذل

و من صفات الشهداء التضحية و البذل اعني بذل النفس في سبيل الله فه قوم باعوا انفسهم لله تعالى و جعلوا ثمنها الجنة قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

---

٢٦٣ – زاد المعاد ٢/ ١١٢، وانظر لتفصيل مباحث هذه الغزوة ابن هشام ٢/ ٢٠٣، إلى ٢٠٩، زاد المعاد ٢/ ١١٠، ١١١، ١١٢، فتح الباري ٧/ ٤١٧ إلى ٤٢٨.

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ١١١]

يقول ابن القيم –رحمه الله–

فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنا فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك

فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل له مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضل (٢٦٤)

الواقع التطبيقي هذه الصفة

البراء وحديقة الموت:

يقول الذهبي–رحمه الله –: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة فاقتحم إليهم وشد عليهم وقاتلهم حتى فتح باب الحديقة فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرا يداوي جراحه (٢٦٥)

حاله

سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا.

من يبايع على الموت؟

وعن سيف بن عمر عن أبي عثمان عن أبيه (رضي الله عنه) قال : قال عكرمة بن أبي جهل (رضي الله عنه) يوم اليرموك ، قاتلت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في مواطن وأفر منكم اليوم ، ثم نادي : من يبايع علي الموت ؛ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور (رضي الله عنهما) في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم قدام فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أثبتوا جميعا جراحا وقتل منهم جراحه خلق منهم ضرار ابن الأزور – رضي الله عنه– قال الذهبي : قال أبو إسحاق

---

٢٦٤ – مدارج السالكين (٣/ ٩)

٢٦٥ – سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٦)

السبيعي : نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالا شديدا ، ثم استشهد فوجـــدوا به بضعــا وسبعين من طعنة ورمية وضربة(٢٦٦)

ذكروا أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون، وكان أشجع العرب والعجم في زمانه.

وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار. وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة، وتخشى لقاءه. فيحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له: ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء، فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان. فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه، ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا، ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى وقال: هل من مبارز؟ فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي، فصاح المشركون سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين وينادي: هل من اثنين لواحد؟ فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي. فصاح الكفار سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول: ثلاثة لواحد، فلم يجترئ

أحد من المسلمين أن يخرج إليه، وبقي الناس في حيرة، فقيل للسلطان: ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به، قال: الساعة أكفي المسلمين شره، فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا، وفي طرفه عقدة معقودة، ثم برز إليه فتعجب منه النصراني. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطأ طعنة النصراني سرج ابن فتحون. وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس، ونزل إلى الأرض لا شيء منه في السرج، ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج، وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه، وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين. فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه، وأكرمه، وأحسن إليه،

وبالغ في الإنعام عليه، ورده إلى أحسن أحواله، وكان من أعز الناس إليه»)*

الدعاء .....

العقد الفريد في بيان منزلة الشهيد وأحكام

الخطبة الأولى

---

٢٦٦ – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣/ ١٠٠)

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً،وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وسلم، حامل لواء العز في بني لؤي، وصَاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي، صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل، المعلم الجليل، صلى الله وسلم عليه كلما تضوَّع مسك وفاح، وما غرد حمام وصاح، وكلما سجى بلبلٌ وناح، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته مرة ثانية و ثالثة .

إن السلام وإن أهداه مرسله *** وزاده رونقاً منه وتحسيناً

لم يبلغ العشر من قول يبلغه*** أذن الأحبة أفواه المحبينا

أمة الحبيب الأعظم محمد –

شَهِـيدُ الْحَـقِّ لاَ يَخْـشَى ** مِنَ الصَّارُوخِ وَالْمِدْفَعْ

يَخُوضُ النَّارَ مُقْتَحِمًا ** وَلَيْسَ يَخَافُ أَوْ يَدْمَعْ

وَكَيْفَ يَنَامُ أَوْ يَغْفُو ** وَقَاتِلُ شَعْبِهِ يَرْتَعْ

فَقَامَ وَزَلْزَلَ الدُّنْيَا *** وَهَزَّ الكَوْنَ كَيْ يُسْمَعْ

فَكَانَتْ صَيْحَةً عَمَّتْ *** سُهُولَ الأَرْضَ وَالبَلْقَعْ

وَكَانَ حَصَادُ غَضْبَتِهِ *** عَلَى أَعْدَائِهِ أَوْجَعْ

فَكَالَ الثَّأْرَ لِلْبَاغِي *** وَقَوَّضَ حِصْنَهُ الأَمْنَعْ

وَأَعْلَنَ أَنَّهُ الأَعْلَى *** وَأَنَّ مَقَامَهُ الأَرْفَعْ

وَأَنَّ جِهَادَهُ فَرْضٌ *** بِغَيْرِ النَّصْرِ لاَ يَقْنَعْ

فَصَارَ فَخَارَ أُمَّتِهِ *** وَخَيْرَ رِجَالِهَا أَجْمَعْ

وَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ *** فَجَنَّةُ رَبِّهِ أَوْسَعْ.

أيها الأحباب لقد علم الرعيل الأول من صفوة المسلمين أن في الجهاد فضلاً لا يضاهي وخيراً لا يتناهى ، وأيقنوا أن الجنة تحت ظلال السيوف وأن الري الأعظم في شرب كؤوس الحتوف فشمروا

للجهاد عن ساق الاجتهاد ، ونفروا إلى ذوي الكفر والعناد من شتى أصناف العباد ، وجهزوا الجيوش والسرايا وبذلوا في سبيل الله العطايا وأقرضوا الأموال ولمن يضعفها ويزكيها ، ودفعوا سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها ، وضربوا الكافرين فوق الأعناق واستعذبوا من المنية مر المذاق ، وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق ، ونشروا أعلام الإسلام في الأفاق ... "

فهيا لنشنف الأسماع بألحان الخلود الباقية التي عزف عليها هؤلاء الشهداء الأبرار الذين صدقوا الله فصدقهم الله تعالى

المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ، ويحمي بهم حوزة الدين ، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها ، وإن باتوا في ديارهم ، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه ، والشارع قد نزل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر ولهذا كان الداعي إلى الهدى ، والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه ، وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند الله ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ، ويكفي في ذلك قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم } (الصف ١٠) فشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة التي دل عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال { تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم } (الصف ١١) فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال { ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } يعني أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة فكأنها قالت : فما لنا في الجهاد من الحظ ؟ فقال { يغفر لكم ذنوبكم } (الصف ١٢) مع المغفرة { ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } فكأنها قالت هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا ؟ فقال { وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين } (الصف ١٣) فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب ، وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشة حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم " ([٢٦٧]) أ.هـ

---

[٢٦٧] – طريق الهجرتين وباب السعادتين ٤٣٨ – ٤٣٩

ويقول العزيز الحميد وهو يقرر فضل المجاهدين في سبيله وما أعد لهم في دار كرامته { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } (التوبة١١١)

العنصر الأول: لماذا سمي الشهيد بذلك

والشَّهِيدُ الْمَقْتُول فِي سَبِيل اللَّهِ، وَالْجَمْعُ شُهَدَاءُ . قَال ابْنُ الأَنْبَارِيِّ سُمِّيَ الشَّهِيدُ شَهِيدًا لأَنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ شَهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ.

وَقِيل: لأَنَّهُ يَكُونُ شَهِيدًا عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالشَّهِيدُ فِي اصْطِلاَحِ الْفُقَهَاءِ: مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِتَال الْكُفَّارِ وَبِسَبَبِه.

وَيُلْحَقُ بِهِ فِي أُمُورِ الأُخْرَةِ أَنْوَاعٌ يَأْتِي بَيَانُهَا.

قال الإمام السهيلي–رحمه الله–«وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة: أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، ويكون معناه: مشهودًا له بالجنة، أو يشهد عليه النبي عليه السلام، كما قال: «هؤلاء أنا شهيد عليهم»، أي: قيّم عليهم بالشهادة لهم، وإذا حشروا تحت لوائه، فهو وال عليهم، وإن كان شاهدًا لهم، فمن ههنا اتصل الفعل بعلى، فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر،

فدل على أن الشهيد مشهود له، ومشهود عليه، وهذا استقراء من اللغة صحيح، واستنباط من الحديث بديع، فقف عليه" ([٢٦٨])

العنصر الثاني: أنواع الشهادة

اعلموا عباد الله أنه اصطلح العلماء على تقسيم الشهداء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: شهيد الدنيا والآخرة:

ومقصودهم بشهيد الدنيا: أنه يأخذ أحكامًا خاصة في الدنيا تميزه عن سائر الموتى، كعدم الغسل عند أكثر العلماء، والتكفين في ثيابه، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله –إن شاء الله تعالى–.

ومقصودهم بشهيد الآخرة: أن له ثوابًا موعودًا خصه الله به سبحانه وتعالى، وقد تقدم ذكر بعضها في مبحث فضائل الشهادة.

القسم الثاني: شهيد الدنيا:

---

[٢٦٨] –الروض الأنف: ٣/١٩٥.

أي دون الآخرة، وهو من قتل في حرب الكفار، وقام به مانع من موانع الشهادة، كالرياء، والسمعة، والغلول من الغنيمة فهذا له حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة، وهذا تجري عليه الأحكام الخاصة بالشهيد، وما يترتب عليه، وهؤلاء ليس لهم الثواب الكامل الموعود به الشهيد في الآخرة

وحيث أطلق الفقهاء مصطلح "الشهيد" انصرف لهذا القسم والذي قبله، وحكمهما واحد في أحكام الدنيا

القسم الثالث: شهيد الآخرة:

وهم جميع من عدهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–من الشهداء وورد تسميتهم بذلك كالمطعون، والغريق، والحريق، وغيرهم

عقبة بن عامر –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه و سلم– قال: (" خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ: الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ ") ([٢٦٩])

والمراد أنهم شهداء في ثواب الآخرة، وإلا فهم كغيرهم من الموتى، ليس لهم أحكام خاصة، فيغسلون ويصلى عليهم، فهم شهداء بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم–وإن لم يظهر لهم حكم شهادتهم في الدنيا.

الثالث: ثمرات الشهادة في سبيل الله

أحباب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–إن سألتم ما هي الثمرات التي يهبها الله تعالى للشهداء في سبيله

فاللهُ كرَّمَهُ وأعلى شأنَهُ ** وله الخلودُ بجنَّةِ الرضوانِ

إن الشهيدَ مقامُه في أوْجِها ** كالنجمِ يَسمو فوقَ كلَ مكانِ

حيٌّ وكلُّ الناسِ في أجداثِهم ** فالروحُ في الروضاتِ والأفنانِ

١–الشهيد يغفر له في أول دفعة من دمه

يقول جل في علاه –{ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم

---

[٢٦٩] –) أخرجه النسائى (٣٧/٦ ، رقم ٣١٦٣) ، والطبرانى (٣٢٦/١٧ ، رقم ٩٠٠) . وأخرجه أيضًا : ابن المبارك فى الجهاد (ص ١٥٤ ، رقم ١٩٨) ، وأبو عوانة (٤٩٩/٤ ، رقم ٧٤٧٦) .

ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم }

(فصلت ١٠ – ١٣)

عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه – أو يرى مقعده من الجنة – ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، يشفع في سبعين من أقاربه ([٢٧٠])

٢- شفاعة الشهيد في سبعين من أهله

إخوة الإيمان ومن فيض جوده سبحانه وتعالى – أن الشهيد تعم بركته على أهله وأحبابه في الأخرة حيث يغفر الله تعالى لسبعين من أهل بيته، فلك أن تتصور كيف حال الشهيد مع أهل بيته في عرصات القيامة، فيختار منهم سبعين يطلب لهم الشفاعة ويشفعه الله فيهم، فهل سيقدم على والديه أحداً؟ هل سيقدم على زوجه وأولاده أحداً؟ الجواب لا.

لكن سينتقل أيضاً إلى الآخرين، ولك أن تتأمل حالك –يا عبد الله–وأحد أقربائك من الشهداء وأنت في هول فظيع، وهو صاحب لك في الدنيا يعرفك، أراك ستقبل عليه تريه وجهك لعله يتذكرك فيعدك من السبعين الذين يطلب الشفاعة لهم،

يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (يشفع في سبعين من أقاربه)

عن نمران بن عتبة الذماري قال: دخلنا على أم الدرداء ـ ونحن أيتام صغار ـ فمسحت رؤوسنا وقالت: أبشروا يا بني فإني أرجو أن تكونوا في شفاعة أبيكم فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :(الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته) ([٢٧١])

٣-عرس الشهيد

ومن تكريم الله تعالى للشهداء الذين ضحوا بأنفسهم وتركوا زوجاتهن أن يزوجهم الله تعالى من الحور العين اللاتي ذكرهن الله تعالى في كتابه فقال في شانهن {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٦ –٥٨]

---

[٢٧٠] – أخرجه أحمد (١٣١/٤ ، رقم ١٧٢٢١) ، والترمذى (١٨٧/٤ ، رقم ١٦٦٣) ، وقال : حسن صحيح غريب . وابن ماجه (٩٣٥/٢ ، رقم ٢٧٩٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥/٤ ، رقم ٤٢٥٤) ، وعبد الرزاق(٢٦٥/٥ ، رقم ٩٥٥٩)

[٢٧١] – صحيح ابن حبان (١٠/ ٥١٧) "صحيح أبي داود" (٢٢٧٧)، "الصحيحة" (٣٢١٣).

اسمعوا إلى تلك البشارة قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم – (ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين)

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {الشهداء على بارق نهر باب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية} ([٢٧٢]) (٦) رواه أحمد.

عبد الله بن عبيد بن عمير قال " إذا التقى الصفان أهبط الله الحور العين إلى السماء الدنيا فإذا رأين الرجل يرضين قدمه قلن: اللهم ثبته، وإن فر احتجبن منه فإن هو قتل نزلنا إليه فمسحتا التراب عن وجهه وقالت: اللهم عفر من عفرة وترب من تربة] ([٢٧٣])

والجزاء من جنس العمل.

* قصة –وعن أنس –رضي الله عنه–: أن رجلاً أسود أتى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال له : يا رسول الله : إني رجل أسود منتن الريح منتن الريح ، قبيح الوجه ، لا مال لي فإنا أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال " في الجنة " فقاتل حتى قتل فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " قد بيض الله وجهك ، وطيب ريحك ، وأكثر مالك وقال : لهذا أو لغيره " لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته "([٢٧٤])

(٨)أخرجه الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

٤–الشهيد يأمن من فتنة القبر ويجار من عذابه

المقصود بفتنة القبر سؤاله، ويكون لكل ميت سواء قبر أو لم يقبر، وكذلك العذاب؛ لأن القبر اسم لما بعد الموت، سواء دفن الميت في الأرض، أو ألقي في البحر، أو أكلته السباع، أو احترق بنار، أو ترك على وجه الأرض أو غير ذلك، فلا بد من السؤال، وبعد السؤال لا بد من العذاب أو النعيم.

وهذا شيء عام، إلا أن الأحاديث جاءت باستثناء بعض عباد الله، مثل الذي يموت مرابطاً في سبيل الله، ومثل الشهيد الذي يموت شهيداً في المعركة، ونحوهما مما جاءت الأخبار به؛ فإنه قد صحت الأخبار بأنه يأمن من فتنة القبر.

---

[٢٧٢] –) أخرجه أحمد (٢٦٦/١ ، رقم ٢٣٩٠) قال الهيثمي (٢٩٤/٥) : رجاله ثقات ، وهناد في الزهد (١٢٧/١ ، رقم ١٦٦) ، وابن جرير في تفسيره (١٧٢/٤) ، والطبراني (٣٣٣/١٠ ، رقم ١٠٨٢٥) ، وابن حبان (٥١٥/١٠ ، رقم ٤٦٥٨) ، والحاكم (٨٤/٢ ، رقم ٢٤٠٣) وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم

[٢٧٣] – مصنف عبد الرزاق (٥/ ٢٥٨)

[٢٧٤] – أخرجه الحاكم (١٠٣/٢ ، رقم ٢٤٦٣) انظر صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٨١

وأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم، ومعنى الفتنة الاختبار، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ والمقصود بالرجل كل ميت من ذكر أو أنثى

فبين الرسول –صلى الله عليه وسلم – أن الشهيد يجار من عذاب وفتنة القبر فقال (. ويجار من عذاب القبر)

٥–الشهيد يأمن من الفزع الأكبر

لقوله صلى الله عليه وسلم (ويأمن من الفزع الأكبر.)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم –قَالَ: " رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَغُدِيَ عَلَيْهِ برِزْقِهِ وَرِيحَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – "([٢٧٥])

٦–الشهيد لا يجد ألم القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) ([٢٧٦])

٧–تمني الشهيد أن يرجع إلى الدنيا لقتل عشر مرات

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة." ([٢٧٧])

٨–الشهيد في الجنة في الفردوس الأعلى

تألّقي يا جِنَان الخُلْد كم بطلٍ ... ... إليك في زهْوةِ الأشواق قد نفرا

مُضمخّاً بزكيّ الطّيب ينشرهُ ... ... مجلّلاً بهُدى الإحسان مُؤْتزرا

يَحُفُّهُ في جلال من شهادته ... ... نُورٌ ويُلقي عليه سُندساً خَضِرا

خفّت إليه طيوف من منائرها ... ... عينٌ كواعِبُ تَجْلو الحُسْنَ والحَوَرا

ما كان يَخْطو خُطاً إلا يهزّ بها ... ... داراً من الظّلم أو يرمي بها جُدُرا

وما خَطا للهدى إلا أنَار به ... ... دَرْباً وشَقَّ سبيلاً أو جلا ظفرا

---

[٢٧٥] – أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٥/٢٩٠) قال الهيثمي : رجاله ثقات .

[٢٧٦] – أخرجه أحمد (٢/٢٩٧ ، رقم ٧٩٤٠) ، والترمذي (٤/١٩٠ ، رقم ١٦٦٨)

[٢٧٧] – متفق عليه من رواية أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٣٢، كتاب الجهاد (٥٦)، باب تمني المجاهد. . . (٢١)، الحديث (٢٨١٧) واللفظ له، وأخرجه مسلم في الصحيح ٣/ ١٤٩٨، كتاب الإمارة (٣٣)، باب فضل الشهادة. . . (٢٩)، الحديث (١٠٩/ ١٨٧٧)

قصة: وعن أنس (أن أم حارثة أتت النبي (فقالت : يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة ، وكان قتل يوم بدر ، أصابه سهم ، فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء ، فقال رسول الله : يا أم حارثة ، إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ([٢٧٨])

٩-الشهيد خير الناس منزلا

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بخير الناس منزلا قلنا بلى يا رسول الله قال رجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله عز وجل حتى يموت أو يقتل وأخبركم بالذي يليه قلنا نعم يا رسول الله قال رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس وأخبركم بشر الناس قلنا نعم يا رسول الله قال الذي يسأل بالله عز وجل ولا يعطي به" ([٢٧٩])

١٠-أين أرواح الشهداء

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) إلى آخر الآية([٢٨٠])

١١-الشهيد يجري عليه عمله حتى يبعث

عن فَضَالة بن عبيد . أن رسول الله (قال (كل ميت يُختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه يُنمَى له عمله إلى يوم القيامة ، ويُؤْمَّن فتنة القبر) ([٢٨١])

١٢-جراح الشهداء

---

[٢٧٨] – أخرجه البخاري (١٠٢٩/٣ ، رقم ٢٦٤٢) ، ومسلم (١٤٩٨/٣ ، رقم ١٨٧٧) ، والترمذى (١٧٧/٤ ، رقم ١٦٤٣)

[٢٧٩] –أخرجه أحمد (٢٦٤/٣) قال: حدثنا سليمان بن داود. والبخاري (١٤٥/٨) والنسائي في فضائل الصحابة (١٢٧

[٢٨٠] –أخرجه أحمد (٣٢٢/١ ، رقم ٢٩٦١) ، والترمذى (١٨٢/٤ ، رقم ١٦٥٢) ، وقال : حسن غريب . والنسائى (٨٣/٥ رقم ٢٥٦٩) ، وابن حبان (٣٦٧/٢ رقم ٦٠٤) ، والطبرانى (٣١٥/١٠ رقم ١٠٧٦٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٧٧/٣ ، رقم ٣٥٣٩) . وأخرجه أيضًا : الدارمى (٢٦٥/٢ ، رقم ٢٣٩٥) .

[٢٨١] –أخرجه أحمد (٢٦٥/١ ، رقم ٢٣٨٨) ، وأبو داود (١٥/٣ ، رقم ٢٥٢٠) ، والحاكم (٣٢٥/٢ ، رقم ٣١٦٥) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقى (١٦٣/٩ ، رقم ١٨٣٠١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ"([٢٨٢])

١٣-الشهداء أحياء

قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

١٤-الشهيد لا يفضله النبيون إلا بدرجة واحدة

صفوان بن عمرو أن أبا المثنى المليكي حدثه أنه سمع عتبة بن عبد السلمي ـ وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ـ يحدث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (القتلى ثلاثة : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه ولا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك مصمصة محت ذنوبه وخطاياه إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق) ([٢٨٣])

العنصر الرابع: موت الشهيد حياة للأمة

إنّ الشَّهيد حياةُ النَّاس كُلِّهم ... ... فيه وكلّ رُواء الأرض مِنْهُ جَرى

يُعلّم الناس قول الحق أين مضوا ... ... ويجتلي في ميادين التّقى الخبرا

لولاه لم يبق للإحسان منزلةٌ ... ... في النَّاس أو صادقٌ يقْفُو له أثرا

هي الشَّهادة أعْراسٌ يُزفُّ لها ... ... رجالها ومعالي المجد حيث ترى

وكما أن موت الشهيد حياةٌ له، كما نطق القرآن قال تعالى: { بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران: ١٦٩] فكذلك موت الشهيد حياةٌ للأمة من بعده، فأولئك الأبطال العظماء الذين استرخصوا الحياة واستهانوها في سبيل الله تعالى، هم الذين بنوا الأمجاد، وسطروا صفحات التاريخ، قال أبو بكر رضي الله عنه لجنود المؤمنين: اطلبوا الموت توهب لكم الحياة

---

[٢٨٢] – أخرجه أبو داود (٩/٣ ، رقم ٢٥٠٠) ، والترمذى (١٦٥/٤ ، رقم ١٦٢١) ، وابن حبان (٤٨٤/١٠ ، رقم ٤٦٢٤) ، والطبرانى (٣١١/١٨ ، رقم ٨٠٢) ، والحاكم (٨٨/٢ ، رقم ٢٤١٧) ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

[٢٨٣] – أخرجه الترمذى (١٨٤/٤ ، رقم ١٦٥٦) وقال : حسن صحيح . والنسائى (٢٨/٦ ، رقم ٣١٤٧) . وأخرجه أيضًا : البخارى (١٠٣٢/٣ ، رقم ٢٦٤٩) ، ومسلم (١٤٩٦/٣ ، رقم ١٨٧٦) ، وأبو يعلى (١٣٨/١١ ، رقم ٦٢٦٣) ،

وقال لـ مسيلمة ومن معه: لأحاربنكم بقومٍ يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة

وإذا انكفأ الدنيويون والماديون اليوم على اللذة والشهوة والجنس والكرسي، تسامى هؤلاء إلى العلا، واستنشقوا عبير الجنة، كما قال أنس بن النضر : الجنة ورب أنس بن النضر ، إني لأجد ريحها من دون أحد ([٢٨٤])

ثم صاح صائحهم:

فيا ربِّ إن حانت وفاتي فلا تكُن ... على شرجعٍ يُعلى بخُضرِ المطارفِ

ولكن أحن يومي سعيداً بعصبةٍ ... يصابون في فجٍ من الأرض خائفِ

عصائب من شيبان ألَّف بينهم ... تُقى الله نزالون عند التزاحفِ

إذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعودِ ما في المصاحفِ

العنصر الخامس: أحكام الشهيد

أيها الأحباب أحباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–بعد أن تعرفنا على منزلة الشهيد عند الغني الحميد هيا لنتعرف على بعض أحكام الشهيد التي ينبغي أن تراعى معهم بعد نيلهم الشهادة

١ –غسل الشهيد: ذهب جماهير العلماء إلى أن الشهيد الذي يقتل في المعترك لا يغسل، والأدلة على ذلك كثيرة منها عن ابن عباس قال : أمر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بقتلى أحد أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وأن يدفنوا بدمائهم وثيابهم([٢٨٥])

٢ –تكفين الشهيد: لا يجوز نزع ثياب الشهيد الذي قتل فيها بل يدفن وهي عليه عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: " زَمِّلُوهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ " قَالَ: وَجَعَلَ يَدْفِنُ فِي الْقَبْرِ الرَّهْطَ قَالَ: وَقَالَ: " قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا "([٢٨٦])

، ويستحب تكفين الشهيد بثوب واحد أو أكثر فوق ثيابه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب

٣ –الصلاة على الشهيد: ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على الشهداء، وثبت أيضاً أنه ترك الصلاة على شهداء آخرين، فكلا الأمرين حسن

---

[٢٨٤] – صحيح ابن حبان (١٠/ ٥١٩)

[٢٨٥] – الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢/ ٤٥٧)

[٢٨٦] –، أخرجه أبو داود ٣١٣٤ [قال الألباني]: ضعيف(٢٠) ٥٤٢)

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

العنصر السادس: حقوق أسر الشهداء

إخوة الإسلام: لم ينس الإسلام حقوق الأسرى بل أمر بالاعتناء بهم و كفالتهم

من حقوقهم العناية بهم و كفالتهم

حتى أنه ساوى من يخلفهم و يعتني بأبنائهم بالغزاة في سبيل الله، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا " ([٢٨٧]).

فسوى في الأجر بين الغازي في سبيل الله و من جهز غازيا و من وخلفهم في أهليهم مندرج في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، والجهاد من أبر البر، والمعونة عليه من أفضل المعونة.

* كما جاء التحذير من خيانتهم في أهليهم، وتعظيم حرمة ذلك عن بريدة – رضي الله عنه – : قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : «حُرْمةُ نساءِ المجاهدين على القاعدين كحُرْمة أُمَّهَاتهم ، و ما من رجل من القاعدين يَخْلُف رجلا من المجاهدين في أهل فيَخُونُهُ فيهم ، إلا وُقِفَ له يومَ القيامة ، فيأخذ مِن حسناتهِ ما شاء حتى يرضَى ، ثم التَفَتَ إلينا رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– فقال : فما ظَنُّكم ؟». ([٢٨٨]) أخرجه مسلم.

قال الحليمي–رحمه الله–: «وهذا –والله أعلم–لعظم حق المجاهد على –القاعد– فإنه ناب عنه، وأسقط بجهاده فرض الخروج عنه، ووقاه مع ذلك بنفسه، وجعل نفسه حصنًا له وجنة دونه،

---

[٢٨٧] – أخرجه أيضًا : أحمد (٤٣١/٥ ، رقم ٢٣٧٠٦) ، وابن قانع (٩٥/٢ ، ترجمة

[٢٨٨] –أخرجه الطيالسى (ص ١٢٩ ، رقم ٩٥٦) ، وأحمد (١١٦/٤ ، رقم ١٧٠٨٦) ، وعبد بن حميد (ص ١١٧ ، رقم ٢٧٧) ، والبخارى (١٠٤٥/٣ ، رقم ٢٦٨٨) ، ومسلم (١٥٠٦/٣ ، رقم ١٨٩٥)

فكانت خيانته له في أهله أعظم من خيانة الجار في أهله»

ومن حقوقهم زيارتهم وتفقد أحوالهم

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم–يزور أسر الشهداء، ويواسيهم، عن أنس –رضي الله عنه – أن النبي ؟ لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه فقيل له فقال إني أرحمها قتل أخوها معي"([٢٨٩])

وأخوها هو حرام بن ملحان، قتل في غزوة بئر معونة.

ن عبد الله بن جعفر أن النبى –صلى الله عليه وسلم– قال :« اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهن ما يشغلهن أو أتاهم ما يشغلهم ».)([٢٩٠])

و من حقوقهم :جبر خاطرهم وتبشيرهم

عن عليّ بن عبد الله بن جعفرٍ، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هَنِيئًا لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ! أَبُوكَ يَطِيرُ مَعَ المَلاَئِكَةِ فِي السَّمَاءِ»([٢٩١])

وكان صحابة رسول الله —صلى الله عليه وسلم – من بعده يسيرون بسيرته ويهتدون بهديه.

عن سعيد بن أبي هلال، عن رجل من بني مازن أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوم أحد فقال: «ألا رجل يأتيني بخبر سعد بن الربيع، فإن آخر عهدي به أني رأيته بملاذ الجبل، وقد شرعت إليه الرماح» فقام فتى من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده تحت شجرة، فأخبره الخبر، فقال اقرأ على رسول الله السلام، وأخبره أني قد طعنت ثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت مقاتلي كلها، واقرأ على قومك السلام، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يبقى منكم أحد، وأصيب سعد فأوصى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فدخل رجل على أبي بكر وبنت سعد على بطنه وهو يشمها فقال: يا خليفة رسول الله، ابنتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني، قال الرجل: من هذا الذي هو خير منك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد

---

[٢٨٩] – أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير: ٣٨ باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير

[٢٩٠] –) أخرجه الطيالسى (٢٨٤/٢ ، رقم ١٠٢٦) بلفظ : اجعلوا – ط دار هجر . وأحمد (٢٠٥/١ ، رقم ١٧٥١) ، وأبو داود (١٩٥/٣، رقم ٣١٣٢) والترمذى (٣٢٣/٣ ، رقم ٩٩٨) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٥١٤/١، رقم ١٦١٠) ، والطبرانى (١٠٨/٢، رقم ١٤٧٢) ،

[٢٩١] – نقله ابن كثير في "جامع المسانيد" (٥٣١٢/قلعجي) و (٦٦٧/٣/ابن دهيش) عن المصنف، به. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٧٣/٩) ، وقال: «رواه الطبراني، وإسناده حسن» ، وذكره ابن حجر في "فتح الباري" (٧٦/٧) .

بدرا، وقتل يوم أحد([٢٩٢])

ومن حقوقهم النفقة على أبناءهم وذويهم

وهذا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–يروى عنه أنه قال: أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبدًا، وذكر من إحداهن: المهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا يجمروا، وأن يوفر فيء الله عليهم، وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا "([٢٩٣])

تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهلهم

وقد كان –رضي الله عنه– يكرم أبناء الشهداء ويفضلهم على غيرهم، فقد روي أنه لما فرض للناس، فرض لعبد الله بن حنظلة الغسيل ألفي درهم، فأتاه طلحة بابن أخ له ففرض له دون ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين فضلت هذا الأنصاري على ابن أخي! قال: نعم لأني رأيت أباه يستن يوم أحد بسيفه كما يستن الجمل "([٢٩٤])

يستن: أي يمرح ويخطر به

كما روي عنه أنه أعطى رجلاً عطاءه، أربعة آلاف درهم وزاده ألفًا، فقيل له: ألا تزيد ابنك كما زدت هذا؟ قال: إن أبا هذا ثبت يوم أحد، ولم يثبت أبو هذا ". ([٢٩٥])

وقد كان عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين([٢٩٦])

ولذا فقد ذكر الفقهاء –رحمهم الله–أن من مات أو قتل من جنود المسلمين فإنه ينفق على امرأته حتى تتزوج، وعلى ابنته الصغيرة حتى تتزوج، وعلى ابنه الصغير حتى يبلغ، ثم يجعل من المقاتلة إن كان يصلح للقتال، لأن في هذا تطييبًا لقلوب المجاهدين، فإنهم متى علموا أن عيالهم يكفون المؤنة بعد موتهم تحمسوا للجهاد والقتال ([٢٩٧])

رسالة من الشهداء إلى جموع الأمة الإسلامية

الخطبة الأولى

---

[٢٩٢] –سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٥١)

[٢٩٣] – تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧)

[٢٩٤] – الجهاد لابن المبارك (ص: ٧٤)

[٢٩٥] – ابن الجوزي: مناقب ص ٧٩.

[٢٩٦] – البخاري: الصحيح، كتاب المغازي ٤/١٥٥٥، رقم: ٤٠١٦

[٢٩٧] – الكافي في فقه ابن حنبل (٤/ ١٥٥)

أما بعد:

إخوة الإيمان أحباب النبي العدنان حديثنا في هذا اليوم الطيب عن رسالة قوية من الشهداء إلى جموع الأمة الإسلامية

إنها رسالة ممن ذاقوا طعم الشهادة .....

إنها رسالة ممن عاينوا الأجر والثواب الذي اعده لهم الكريم الوهاب .....

إنها رسالة تدعو إلى البذل والتضحية .....

إنها رسالة تحذيرية تحذر من ترك الجهاد وتحذر من الركون إلى الدنيا .....

هيا لنشف الآذان مع رسالة شهداء دخلوا الجنان.....

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا، لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ " فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا} [آل عمران: ١٦٩] ، ([٢٩٨])»

أين من اتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قدوة ! !

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: تضمن اللَّه لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن علي أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم [الكلم : الجرح] يكلم في سبيل اللَّه إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم؛ لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل اللَّه أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل اللَّه فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل([٢٩٩])

تمني عبد الله بن حرام الشهادة بعد أن نالها

---

[٢٩٨] -«مسند أحمد» (٤/ ٢١٨ ط الرسالة):

[٢٩٩] — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ «لَوَدِدْتُ أَنْ أُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَى، فَأُقْتَلَ ثُمَّ أُحْيَى، فَأُقْتَلَ» ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ ثَلاثًا: أَشْهَدُ بِاللَّهِ ()

عن طلحة بن خراش ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام ، يوم أحد ، لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا جابر ، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ (وقال يحيى في حديثه : فقال : يا جابر ، ما لي أراك منكسرا ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، استشهد أبي وترك عيالا ودينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟) قال : بلى ، يا رسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا ، فقال : يا عبدي ، تمن علي أعطك ، قال : يا رب ، تحييني فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب سبحانه : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب ، فأبلغ من ورائي ، قال فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالى هذه الآية: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩](٣٠٠)

تمني عمير بن الحمام للشهادة ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: "إنه في غزوة بدرٍ لما دنا المشركون، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((قوموا إلى جَنَّة عرضها السموات والأرض))، فقال عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟! قال: ((نعم))، قال عمير: بخٍ.. بخٍ[١]، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ما يحملك على قولك: بخٍ.. بخٍ؟))، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: ((فإنك من أهلها))، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتِل".

عوف بن الحارث كذلك لما سأله عوف بن الحارث – ابن عفراء – فقال: "يا رسول الله، ما يُضحك الرَّبَّ من عبده؟ قال: ((غمسه يده في العدو حاسرًا))، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتِل"؛ (ابن الأثير في أُسد الغابة، وابن هشام في السيرة)،

هُمُ الْمُتَّقُونَ" (١٧٧ البقرة)

ترك الجهاد سبب الذل و الهوان :

جاء في رسالة الشهداء (لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ)

عن ابن عمر – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ قال : إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، تبايعوا بالعينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله تعالى عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يرجعوا دينهم ((٣٠١)

---

٣٠٠ – أخرجه الترمذى (٥/٢٣٠ رقم ٣٠١٠) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (١/٦٨ رقم ١٩٠) وابن أبى عاصم (١/٢٦٧ رقم ٦٠٢) .

٣٠١ – أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٨٨

وفي رواية : إذا إتباعهم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم . ([٣٠٢])

إلى الذين يظنون أن القتل والقتال ذل ، وأن العز كل العز في اكتناز الأموال والإقبال على الزرع والثمار نُهدي ما يقوله ابن النحاس : عن أبي بكر الصديق (ﷺ) قال : لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر)

✍أين المتقين غضب الواحد الجبّار ! !

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " (الأنفال : ١٥-١٦)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " ([٣٠٣])

✍أين الذين قال الله فيهم : "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (٢١٨ البقرة)

✍أين الذين دعوا الله : "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ" (١٩٥ آل عمران)

✍أين الموقنون المؤمنون المُقدِمون ! !

"وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (١٠٤ النساء)

✍أين المفلحون ! !

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٣٥ المائدة)

✍أين الذين يحبهم الله ويحبونه ! !

---

[٣٠٢] – رواه أبو داود وإسناده حسن كما قال ابن النحاس ورواه أحمد بنحوه وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح رقم ٤٨٢٥ .

[٣٠٣] ––(صحيح : صحيح سنن أبي داود ٢٤٩٨)

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (٥٤ المائدة)

✍أين الذين إذا استُنصِروا في الدين نَصروا ! !

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (٧٢ الأنفال)

"مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا(٧٥ النساء)

✍أين عقلاء الأمة ! !

"أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (١٩– ٢٠ التوبة)

✍أين أصحاب الذنوب ، العائدين إلى الله ! !

" ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (١١٠ النحل)

✍ أين الطالبون ما عند الله ! !

"وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (٥٨) الحج

✍ أين من يعلّم الكفّار دروساً في مناهج الأبرار ! !

" فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ... " (محمد : ٤)

" قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (التوبة : ١٤)

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"

(١٢٣ التوبة)

" ... فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ " (الأنفال : ١٢)

"وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ " (البقرة : ١٩١)

"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ..." (التوبة : ٥)

✍أين المؤمنون الصادقون ! !

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ " (١٥ الحجرات)

✍ أين أصحاب الصفقات المُربحات ! !

" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (١٠ – ١٣ الصف)

✍أين أصحاب الدرجات ! !

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[النساء: ٩٥-٩٦]

✍أين أهل الفضل من الناس ! !

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: أتى رجل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فقال: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه ..." (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)

✍أين المطلّقون الدنيا ! !

عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لروحة في سبيل الله، أو غدوة ، خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد – يعني سوطه – خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل النار لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها". (البخاري)

أين المبتغون مرضاة الله ! !

قال صلى الله عليه وسلم فيما يَروى عن ربِّه تبارك وتعالى: "أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمِنْتُ لهُ أَنْ أُرْجعه إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أصابَ مِنْ أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ له وَأَرْحَمَهُ وَأُدْخِلَهُ الجَنَّةَ" (٣٠٤)

أين حرّاس هذا الدين ! !

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يقول: عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه (٣٠٥)

أين المرابطون ! !

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: رباط يوم في سبيل اللَّه خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل اللَّه تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها(٣٠٦)

ملياردير الصحابة

عبد الرحمن بن عوف ودوره في الأزمات

الخطبة الأولى

إخوة الإسلام: في ظل ما يعانيه العالم من أزمات ومشكلات وارتفاع في الأسعار وشكوى كثير من الفقراء من الغلاء نذكر الأغنياء والأثرياء ورجال الأعمال بسيرة لا كالسير ورجل لا كالرجال بسيرة ملياردير الصحابة عبد الرحمن بن عوف ودوره في الأزمات وكيف سخر ماله في خدمة الله و رسوله صلى الله عليه وسلم – وتقديم المساعدات العاجلة عند كل نائبة..... رجل باع ماله لله

---

٣٠٤ ---(النسائي و الترمذي)

٣٠٥ ---(الترمذي وقال : حديث حسن)

٣٠٦ ---(مُتَّفَقٌ عَلَيه)

واشترى رضوانه دار كرامته ..... رجل لم يخش الفقر ولا الفاقة بل كلما ازداد إنفاقه زاده الله تعالى من فضله أضعافا مضاعفة ..... رجل كان ما ترك فقيرا إلا إعطاء ولا محتاجا إلا أغناه ولا أرملة إلا وأنفق عليها .....فأعيروني الأسماع والقلوب أحباب علام الغيوب

نسبه ونشأته رضي الله عنه :

هل تعرفون ذلك الصحابي هل شباب الأمة تعرفوا على سيرته أم أنهم لا يعرفون إلا لاعبي الكرة و الفانيين و الفنانات، هل تعرفت أيه الغني على ذلك الملياردير الذي سخر ماله ؟

إنه عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري ابن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو محمد.

أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشي، الزهري.

وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام»[٣٠٧] وهو من بني زهرة؛ أخوال النَّبي صلى الله عليه وسلم وأقاربه من جهة أمِّه السيدة آمنة.

ولقد نشأ عبد الرحمن بن عوف نشأةً صافية، وعُرِف بين قومه بسداد رأيه، ورجاحة عقله، وكان لا يَأْبه بأعمال الجاهلية وعاداتِها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض.

إسلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

أسلم عبد الرحمن بن عوف قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث إن أبا بكر عمل بالدعوة مُباشرة بعد إسلامه وكان رضي الله عنه رجلاً مألفًا لقومه محبًا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه: الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر رضي الله عنه فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء

---

[٣٠٧] – «سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» (١/ ٦٨): «طبقات ابن سعد: ٣ / ١ / ٨٧ – ٩٧، نسب قريش: ٢٦٥، ٤٤٨، طبقات خليفة: ١٥، تاريخ خليفة: ١٦٦»

النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله، وكان عمره عند إسلامه ثلاثين عامًا.

ولقد نال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما نال الصحابة الكرام من إيذاء المشركين، فاضطُرَّ إلى الهجرة خارج مكةَ مرتين؛ مرةً إلى الحبشة، وأخرى إلى المدينة؛ حيث استقرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فضائله ومناقبه رضي الله عنه

وها هي زهرات من مناقبه ومن–فضائله رضي الله عنه–تدلك أيها المسلم على المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها ما ناله محابة ولا مجاملة .....و ما نال تلك الأوسمة إلا لفضله و عمله و دوره في الدعوة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم —رو قر الإيمان في القلب و صدقته الجوارح

.....

هو أحد العشرة المبشرة بالجنة: يكفيه فخرا و شرفا انه مبشر بالجنة كان يمشي بين الناس و يعلم الكل ان الذي يسير بينه رجل من أهل الجنان عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ «أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرَ رَجُلٌ عَلِيًّا، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ.».[٣٠٨]

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانَ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((عبد الرحمن بن عوف أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض)).[٣٠٩]

روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال في عبد الرحمن: ((هذا العدل الرضي)).

وقال عمر في عبد الرحمن بن عوف أيضاً: ((أنه سيد من سادات المسلمين)).

---

[٣٠٨] – أخرجه أحمد (١٦٢٩)، وأبو داود (٤٦٥٠)، وابن ماجه (١٣٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٨٢١٩)، والشاشي (٢١٦)

[٣٠٩] – أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٣٤).وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦١٦رقم ١٤١٥)

ولقد صلى وراءه النبي صلى الله عليه وسلم : ومن مناقبه التي لا تبارى أنه صلى خلفه سيد البرايا صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، يقول المغيرة بن شعبة: عدلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وأنا معَهُ في غزوةِ تبوكَ قبلَ الفجرِ فعدَلتُ معَهُ فأناخَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فتبرَّزَ ثمَّ جاءَ فسَكَبتُ علَى يدِهِ منَ الإداوةِ فغسلَ كفَّيهِ ثمَّ غسلَ وجهَهُ ثمَّ حسرَ عن ذراعيهِ فضاقَ كُمَّا جبَّتِهِ فأدخلَ يدَيهِ فأخرجَهُما من تحتِ الجبَّةِ فغسلَهُما إلى المرفقِ ومسحَ برأسِهِ ثمَّ تَوضَّأَ علَى خفَّيهِ ثمَّ ركِبَ فأقبَلنا نسيرُ حتَّى نجدَ النَّاسَ في الصَّلاةِ قد قدَّموا عبدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ فصلَّى بِهِم حينَ كانَ وقتُ الصَّلاةِ ووجدنا عبدَ الرَّحمنِ وقد ركعَ بِهِم رَكعةً مِن صلاةِ الفجرِ فقامَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فصفَّ معَ المسلمينَ فصلَّى وراءَ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ الرَّكعةَ الثَّانيةَ ثمَّ سلَّمَ عبدُ الرَّحمنِ فقامَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في صلاتِهِ ففزِعَ المسلمونَ فأكثَروا التَّسبيحَ؛ لأنَّهم سبَقوا النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالصَّلاةِ فلمَّا سلَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لَهُم: «قد أصبتُمْ» أو «قد أحسنتُمْ».[٣١٠]

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لما رأى من عبد الرحمن بن عوف الجود في سبيل الله، قال: ((أذهب يا ابن عوف؛ فقد أدركت صفوها وسبقت كدرها)).[٣١١]

وها هي التزكية المحمدية لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه –عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ: اثْبُتْ حِرَاءُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ، وَذَكَرَ سَعِيدٌ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُمْ»[٣١٢].

شجاعة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه– :

و لقد كان رضي الله عنه – شجاعا لا يبارى و أسدا من أسود الله تعالى فقد شهد عبد الرحمن بدرًا والمشاهد كلها، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، حتى إنه حصلت له إصابات بالغة، فقيل إنه أصيب يوم أُحد بعشرين جراحة، وأن إحدى هذه الإصابات تركت عرجًا دائمًا في إحدى ساقيه، كما سقطت يوم أحد بعض أسنانه، فتركت خللًا واضحًا في نطقه وحديثه.

يغشون حوماتِ المنون وإنها في الله عند نفوسهم لصِغار

---

[٣١٠] –صحيح أبي داود: (١٤٩).

[٣١١] – «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٦/ ٢٠):

[٣١٢] – أخرجه أحمد ١ / ١٨٨، ١٨٩، وأبو داود (٤٦٤٨) في السنة: باب في الخلفاء، والترمذي (٣٧٥٨) في المناقب، باب: مناقب سعيد بن زيد وقال: هذا حديث حسن صحيح

انظروا شجاعته التي لا تعرف الخوف.. وجوده الذي لا يخاف الفقر..

انظروا طهره وعفته..

انظروا صدقه وأمانته ...

وكانت شجاعته وسخاؤه كفرسي رهان..!!

انظروا فيه كل رائعة من روائع الحسن، والفضيلة، والعظمة، ثم لا تعجبوا ..... ومن مواقف بطولته ما كان في يوم أحد، فقد كان من النفر القليل الذي ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفر كما فر غيره، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ: سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ فِي الشِّعْبِ: «هَلْ رَأَيْتَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُهُ إِلَى جَنْبِ الْجُبَيْلِ، وَعَلَيْهِ عَسْكَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَهَوَيْتُ إِلَيْهِ لِأَمْنَعَهُ، فَرَأَيْتُكَ، فَعَدَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ مَعَهُ» ، قَالَ الْحَارِثُ فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَجِدُهُ بَيْنَ نَفَرٍ سَبْعَةٍ صَرْعَى، فَقُلْتُ لَهُ: ظَفِرَتْ يَمِينُكَ، أَكُلَّ هَؤُلَاءِ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: أَمَّا هَذَا لِأَرْطَأَةَ بْنِ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ، وَهَذَانِ فَأَنَا قَتَلْتُهُمَا، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَتَلَهُمْ مَنْ لَمْ أَرَهُ، قُلْتُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ "[٣١٣].

تجارته: كان –رضي الله عنه – تاجرا بارك الله في صفقة يمينه :

إخوة الإسلام لقد جعل الله تعالى البركة في صفقة يمين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حتى عبر عن ذلك بقوله " فلقد رأيتني لو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً أو فضة".[٣١٤]

فهو التاجر الناجح، أكثر ما يكون النجاح وأوفاه..

وهو الثري، أكثر ما يكون الثراء وفرة وافراطا..

وهو المؤمن الأريب، الذي يأبى أن تذهب حظوظه من الدين، ويرفض أن يتخلف به ثراؤه عن قافلة الإيمان ومثوبة الجنة.. فهو رضي الله عنه يجود بثروته في سخاء وغبطة ضمير..!!

ولم تكن التجارة عند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شرها ولا احتكارا

بل لم تكن حرصا على جمع المال شغفا بالثراء.

كلا.

إنما كانت عملا، وواجبا يزيدهما النجاح قربا من النفس، ومزيدا من السعي..

وكان ابن عوف يحمل طبيعة جيّاشة، تجد راحتها في العمل الشريف حيث يكون.....

---

[٣١٣] – «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (٢/ ٧٧١):

[٣١٤] – رواه أحمد حديث رقم ١٣٨٩٠

ومع أن المؤرخين لم يذكروا نوع تجارته ولكن من النتف القليلة من أخباره يمكن القول إن مصادر دخله كانت متعددة. فقد كانت له تجارة بين الحجاز والشام وغيرها، وكان له في المدينة بيع وشراء في العقار، فقد باع أمواله بكيدمة وهو سهمه من بني النضير بأربعين ألف دينار[٣١٥]

وعمل في التجارة بالأنعام والخيول، فقد كان على مربطه ألف فرس وألف بعير وعشرة آلاف غنم.[٣١٦]

كما كان يزرع بالجُرُف وخصص لسقيه عشرين جملاً لنقل الماء إليه، وكان يدخل قوت أهله من ذلك لمدة سنة.[٣١٧]

كما أنه أوصى لمن بقي من مقاتلين غزوة بدر أن لكل رجل فيهم ٤٠٠ دينار، وكانوا مائة فأخذوها، وأوصى أيضا بالتصدق بألف فرس في سبيل الله من حر ماله.

«قال محمد بن عبد الرحمن بن عَوف: تُوفِّي عبدُ الرحمن، فكان فيما ترك ذَهَب قُطِع بالفؤوس؛ حتَّى مَجِلَتْ أيدي الرجال منه»[٣١٨]

دور عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه –في الأزمات:

معاشر الموحدين كان –رضي الله عنه – من المسارعين إلى الخيرات السابقين إلى المكرمات، يترك بابا من أبواب الخير إلا و اسهم فيه ،..... فقد تصدق ليوم العسرة بأربعة آلاف دينار وكان نصف ماله[٣١٩]

وكلما زاد ماله زاد مقدار إنفاقه، فبعد أن تصدق بأربعة آلاف صار يتصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة وكل ذلك في سبيل الله [٣٢٠]

وأعتق في يومٍ واحدٍ ثلاثين عبداً.[٣٢١]

و من أروع صور الإنفاق في الأزمات تلك القافلة التي أتت و أهل المدينة في عناء شديد فقد قدمت قافلته رافدةً وافدة، تجوب المدينة، سبعمائة جملٍ محمَّلةً بالزبيب والحبوب والطعام والثياب،

---

[٣١٥] – إتحاف الخيرة المهرة ٧: ٢٢٣

[٣١٦] – تاريخ ابن خلدون ١: ٢٥٦

[٣١٧] – Sahaba.rasoolona.com/sahaby/21609

[٣١٨] –«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٦/ ٢٠)

[٣١٩] – تاريخ دمشق ٣٥: ٢٦

[٣٢٠] – تاريخ دمشق ٣٥: ٢٦٣، سير أعلام النبلاء ١: ٨١، أسد الغابة ٣: ٤٧٥

[٣٢١] – أسد الغابة ٣: ٤٧٥ [٢٢]

فاجتمع عليها التجار، وأرادوا نهبها بالشراء، فقال: [[كم تعطوني في الدرهم الواحد؟ قالوا: نعطيك في الدرهم درهماً.

قال: وجدت من زادني، قالوا: نعطيك درهمين، قال: وجدت من زادني.

قالوا: نعطيك ثلاثة.

قال: وجدت من زادني.

فقالوا: نحن تجار المدينة ولا يزيدك على ما زدناك أحد.

قال: لا والذي نفسي بيده! قد زادني رب العالمين إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، فقال: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١] أشهدكم، وأشهد الله وملائكته؛ أنها في فقراء المدينة، وفي مساكين المدينة فقسمت في غداة واحدة، وتوزع الناس يقولون: سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة]].

واذا كانت الجارة والثروات، إنما تحصى بأعداد رصيدها وأرباحها فإن ثروة عبد الرحمن بن عوف إنما تعرف مقاديرها وأعدادها بما كان ينفق منها في سبيل الله رب العالمين..!!

آه أيها المسلمون أين نحن من عبد الرحمن بن عوف و أخلاقه ؟

آه أيها المسلمون من تجار يستغلون الأزمات ويحتكرون السلع ويرفعون أسعارها لقد أصاب كثير من التجار السعار و الشغف بحب الأموال فاحتكوا السلع و لم يرحموا فقيرا أو ضعيفا أو مسكينا أو أرملة أو يتيما لا هم لهم إلا المال انتفخت جيوبهم بالأموال و خوية لقلوبهم من الرحمة و الرفة و الخوف من الكبير المتعال

وتَبرّع بمائة راحِلة جاءَته من مصر على فقراء المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمّ وَرَدت له قافلة من تجارة الشّام ، فحَمَلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالجَنّة .

كان عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه –يقرض الله قرضا حسنا، فيضاعفه الله له أضعافا، فقد باع يوما أرضا بأربعين ألف دينار فرّقها جميعا على أهله من بني زُهرة وأمهات المسلمين وفقراء المسلمين، وقدّم خمسمائة فرس لجيوش الإسلام، ويوما آخر ألفا وخمسمائة راحلة، وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأربعمائة دينار لكل من بقي ممن شهدوا بدرا حتى وصل

للخليفة عثمان نصيبا من الوصية فأخذها وقال: {أن مال عبد الرحمن حلال صَفْو، وإن الطُعْمَة منه عافية وبركة}.

وبلغ من جود عبد الرحمن بن عوف أنه قيل: {أهل المدينة جميعا شركاء لابن عوف في ماله، ثُلث يقرضهم، وثُلث يقضي عنهم ديونهم، وثلث يصِلَهم ويُعطيهم}.[٣٢٢]

هذه حقيقة رجل ثري في الإسلام.

فهل رأيتم ما صنع الإسلام به حتى رفعه فوق الثرى بكل مغرياته ومضلاته، وكيف صاغه في أحسن تقويم..؟؟

أقول قولي هذا و استغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

أما بعد : .....

رسالة إلى الأغنياء ورجال الأعمال أين دوركم في الأزمات؟

إخوة الإسلام: بعد أن رأينا سيرة لا كالسير و رأينا الجود و الكرم و رأينا الإيثار الذين قال الله تعالى {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} [البقرة:٢٦٢ – ٢٦٣]

و سمعنا دعوة الله عز وجل و هو يدعونا إلى الإنفاق قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦٧ – ٢٦٨].

فهنيئاً لمن أعتق نفسه من النار بالدرهم والدينار، وهنيئاً لمن وسع قبره بالبذل والعطاء، فإن الله لا يستقل شيئاً، والبخل إنما هو من شيمة العبد يوم ينسى الله ولقاءه: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً} [الإسراء:١٠٠].

أين الذين يسارعون في الخيرات ؟ أين الذين يعملون ليوم تنفع فيه خلة ولا شفاعة؟

---

[٣٢٢] – «فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب» (١/ ٥٧٠)

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤].

أين الذين يتقون النار بالإنفاق على من أصابهم الإملاق ؟

ويستعرض صلى الله عليه وسلم في الصحيح فضل الصدقة، فيقول في حديث عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ عَمَّنْ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ عَمَّنْ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ "[٣٢٣]

فانظر لنفسك كيف تنزل نفسك تلك المنازل، فوالله! لا يبقى للإنسان إلا ما قدم في الدنيا لوجهه تبارك وتعالى.

نبي الله لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي

الخطبة الأولى

أما بعد : حديثنا اليوم عباد الله عن قصة نبي من الأنبياء الله تعالى أرسله ربه لمواجهة قضية من اخطر قضايا الفساد إنها قضية الفساد الأخلاقي

وإذا أُصيب القوم في أخلاقهم *** فأقمْ عليهم مأتماً

حديثنا اليوم مع حامل لواء الإصلاح الأخلاقي نبي الله لوط عليه السلام

فمن هو لوط ؟ و أين كان يعش ؟ و ما هي الجريمة الأخلاقية التي وجهها نبي الله لوط ؟ وما هو موقف قومه ؟ و كيف كانت عاقبتهم؟ وهل هناك أمثال لهم في عصر العولمة و الإنترنت؟

أعيروني القلوب والأسماع

العنصر الأول التعريف بني الله لوط :

---

[٣٢٣] –«مسند أحمد» (٣٠/ ١٨١ ط الرسالة): «وأخرجه الترمذي (٢٤١٥) ، وابن ماجه (١٨٥) و (١٨٤٣) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٠٦)»

من هو لوط؟،

سيدنا لوط هو بن هاران تاح، بن أخ الخليل إبراهيم، وقد تم ذكره في القرآن الكريم، ويعتبر اسم لوط اسم غير عربي، حيث ينتمي للأسماء الأعجمية، وقد أرسل الله لوط إلى قومه في عهد نبي الله إبراهيم عليه السلام.

أين ولد نبي الله لوط؟،

في أرض بابل.

لماذا سمي لوط بهذا الاسم؟، لم يكن لفظ لوط أسم مكروه، فلقد كرم الله الأنبياء والرسل ورفع قدرهم، ولكن سمي بذلك لشدة حبه لعمه.

ورد ذكر لوط – عليه السلام –في القرآن سبعاً وعشرين مرة.

إخوة الإيمان: لقد تحدث القران الكريم عن قصة نبي الله لوط عليه السلام عن دعوته وعن مواجهته للفساد الأخلاقي وعن انتكاس فطرة قومه وقد جاء ذكر قصته مع قومه في سور ثمان: الأعراف، هود، الحجر، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، القمر، أما السور الأخرى الباقية فقد أشارة إشارات سريعة له –عليه السلام–.

العنصر الثاني: لوط عليه السلام ودعوة قومه إلى عبادة الله وطاعته وتقواه:

معاشر الأحباب: دعا لوط عليه السلام أهل سدوم إلى الدين الحق وإلى طريق مستقيم، وصدَّر دعوته بالأمر بتقوى الله؛ إذ هي ملاك الأمر كله، {فاتقوا الله وأطيعون} (الشعراء:١٦٣)، ثم أخبرهم – شأن الرسل عليهم صلوات الله أجمعين–أنه رسول أمين، وأنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق المبين، {وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين} (الشعراء:١٦٤).

العنصر الثالث: لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي:

واجه لوط عليه السلام اغرب ظاهرة في تاريخ البشري ألا وهي ظاهرة الشذوذ الجنسي ...." هي ظاهرة غريبة في تاريخ الجماعات البشرية. فقد يشذ أفراد، لأسباب مرضية نفسية أو لملابسات وقتية فيميل الذكور لإتيان الذكور وأكثر ما يكون هذا في معسكرات الجنود حيث لا يوجد النساء، أو في السجون التي يقيم فيها المسجونون فترات طويلة معرضين لضغط الميل الجنسي، محرومين من الاتصال بالنساء. أما أن يشيع هذا الشذوذ فيصبح هو القاعدة في بلد بأسره، مع وجود النساء وتيسر الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقا في تاريخ الجماعات البشرية! لقد جعل الله من الفطرة ميل الجنس إلى الجنس الآخر، لأنه جعل الحياة كلها تقوم على قاعدة التزاوج.

فقال: «سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ». فجعل الأحياء كلها أزواجا سواء نبات الأرض والأنفس وما لا يعلمه الناس في شتى المخلوقات. والتزاوج يبدو أصيلا في بناء الكون كله- فضلا على الأحياء- فالذرة ذاتها مؤلفة من كهارب والكترونات. أي من كهربائية إيجابية وأخرى سلبية. وهي وحدة الكائنات المكرورة فيها جميعا كما يبدو حتى الآن.

يبدأ لوط –عليه السلام –دعوته لقومه: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ} {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ}.

إخوة الإسلام: " عجب في عبارته الأولى من إتيانهم هذه الفاحشة، وهم يبصرون الحياة في جميع أنواعها وأجناسها تجري على نسق الفطرة، وهم وحدهم الشواذ في وسط الحياة والأحياء..... وصرح في عبارته الثانية بطبيعة تلك الفاحشة.

ومجرد الكشف عنها يكفي لإبراز شذوذها وغرابتها لمألوف البشرية، ولمألوف الفطرة جميعا. ثم دمغهم بالجهل بمعنييه: الجهل بمعنى فقدان العلم. والجهل بمعنى السفه والحمق. وكلا المعنيين متحقق في هذا الانحراف البغيض. فالذي لا يعرف منطق الفطرة يجهل كل شيء، ولا يعلم شيئا أصلا. والذي يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتد على جميع الحقوق! فماذا كان جواب قوم لوط على هذا الاستنكار للانحراف، وهذا التوجيه إلى وحي الفطرة السليمة؟"

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده لوط –عليه السلام –: أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة؛ استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال: {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} أي: يرى بعضكم بعضا، وتأتون في ناديكم المنكر؟ {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} أي: لا تعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا. . . ([٣٢٤])

قال ابن سعدي: {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} أي: الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر، وتستقبحها الشرائع {وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} ذلك، وتعملون قبحه، فعاندتم، وارتكبتم ذلك، ظلما منكم، وجرأة على الله.

---

[٣٢٤] – تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٠٩.

ثم فسر تلك الفاحشة فقال: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ} أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، فصارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم، محل الغائط والنجو، والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس على الميل إليها. وأنتم انقلب عليكم الأمر، فاستحسنتم القبيح، واستقبحتم الحسن. {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} متجاوزون لحدود الله، متجرئون على محارمه. . . ([٣٢٥])

العنصر الرابع: اخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون

فما كان رد قوم لوط عليه السلام على لوط؟

يخبرا الله تعالى عن سفه وعن جهل و عن كبرياء هؤلاء الأقزام فيقول سبحانه و تعالى {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}

"أيٌّ انقلابٍ، في المعايير؟

وأي ردةٍ، في المقاييس يمكن أن يرتكسَ فيها الإنسان إذا جرَت به الأهواءُ فصار من الأشقياء؟!

قول الله – تعالى –: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: ١١]

"الذين يُفسِدون أشنعَ الفساد، ويقولون: إنهم مُصلِحون كثيرون جدّاً في كل زمانٍ..... يقولونها لأنَّ الموازينَ مُختَلَّةٌ في أيديهم!

ومتى اختلَّ ميزانُ الإخلاصِ والتجرُّدِ في النفسِ اختلَّت سائرُ الموازينِ والقيم..... والذين لا يُخلِصُون سَريرتَهم لله يَتعذَّرُ أن يَشعُروا بفسادِ أعمالِهم..... لأنَّ ميزانَ الخيرِ والشرِّ والصلاحِ والفسادِ في نفوسِهم يتأرجحُ مع الأهواء الذاتية ولا يثُوب إلى قاعدةٍ، ربّانية"

العنصر الخامس: الملائكة في بيت لوط عليه السلام:

إخوة الإسلام قبل أن يرسل الله تعالى عليهم العذاب أرسل الله عز وجل إلى لوط عليه السلام ملائكة بصفة حسنة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان، محنة من الله واختباراً لقوم لوط، فأضافهم لوط عليه السلام وهو خائف عليهم من قومه، ولكن زوجته السوء العجوز الشريرة بعثت إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، يريدون أولئك الشباب المرد الحسان، وأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية، ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [الحجر: ٧١]

---

[٣٢٥] –) تيسير الكريم الرحمن ج ٥ ص ٥٨٧.

أي: نساؤهم {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود: ٧٩] يريدون فاحشة اللواط، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام، فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم، يقال: أنها غارت من وجوههم، ويقال: أنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ} [القمر: ٣٧].

ولقد جاءت الملائكة لوطاً عليه السلام، تأمره بالخروج من بين أظهر أولئك؛ لأن العذاب قد حان نزوله بهم، قال الله تعالى: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر: ٦٥] صدر الأمر العظيم من إله الأولين والآخرين: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} [الحجر: ٦٦].

العنصر السادس: عقاب الله لقوم لوط عليه السلام

أمر الله تعالى نبيه لوطا عليه السلام أن يأخذ من معه من المؤمنين وأن يخرجوا آخر الليل {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ}

والسرى سير الليل، والقطع من الليل جزؤه. وقد كان الأمر للوط أن يسير بقومه في الليل قبل الصبح، وأن يكون هو في مؤخرتهم يتفقدهم ولا يدع أحدا منهم يتخلف أو يتلكأ أو يتلفت إلى الديار على عادة المهاجرين الذين يتنازعهم الشوق إلى ما خلفوا من ديارهم فيتلفتون إليها ويتلكأون. وكان الموعد هو الصبح والصبح قريب:

«وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ: أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» ..

وأطلعناه على ذلك الأمر الخطير: أن آخر هؤلاء القوم- وهو دابرهم- مقطوع في الصباح. وإذا انقطع آخرهم فقد انقطع أولهم والتعبير على هذا النحو يصور النهاية الشاملة التي لا تبقي أحدا. فلا بد من الحرص واليقظة كي لا يتخلف أحد ولا يتلفت، فيصيبه ما يصيب أهل المدينة المتخلفين.

بشاعة العقوبة بقدر بشاعة الذنب:

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا على شناعة المعصية و عظم الجرم تأمل و تصور ذلك العذاب! تصور تلك القرى وجبريل عليه السلام يرفعها بجناحه ثم يقلبها عليهم: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: ٧٤ – ٧٧].

نعم يخبر الله جل وعلا أنهم أخذتهم الصيحة، وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم، أمر الله جبريل –وهو ملك من ملائكة الرحمن له ستمائة جناح– أمر الله جبريل عليه السلام فاقتلع ديارهم بجناح واحد من أصولها، ورفعها إلى السماء الدنيا، حتى سمع الملائكة نباح الكلاب وصياح الديكة، فقلبها عليهم ثم اتبعهم الله بحجارة من سجيل منضود، فتلكم قرية سدوم الذي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتة خبيثة، في طريق مهيع مسلكه مستمر إلى اليوم، وهو المعروف بـ البحر الميت، الذي لا يعيش فيه شيء.

١–الطمس على الاعين (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ)

٢–الحاصب: الحاصب {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) و هي الريح شديدة البرد

٣–الصيحية ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣)﴾و تخيل اذا تعرض الجسم إلى موجات صوتية عالية ٢٠الف هرتز يؤدي ذلك الى الانفجار داخل الجسد تم تساقط الجلد و أخر حاسة يفقدها الإنسان من جراء الصيحة البصر قال الله في قوم ثمود ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٣–٤٤]

٤–فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا: جاء جبريل عليه السلام فرفع سبع قرى بجناح واحد بها ٤٠٠الف انسان و غيرها من الكائنات

حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم جعل عاليها سافلها

٥–وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ: قال بعض: أهل العلم حجارة من نار محرقة متتابعة قال الله تعالى {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ) انها معلمة و مخصصة لكل انسان حجر(مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ))

٦–(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) المطر الشديد الذي من أثاره تكون البحر الميت و لقد اكتشف علماء الجيولوجيا أن اعمق مكان على ظهر الأرض يكون في البحر الميت و سمي ميتا لأنه ليس به أي نوع من أنواع الحياة حيث أن ملوحة أي بحر لا تتجاوز ٣٪ أما البحر الميت فنسبة الملوحة فيه تصل إلى ٣٤٪ لما ماتت القلوب و الفطر أماتهم الاله و اقبرهم في مكان لا يوجد فيه أي نوع من أنواع الحياة و في أواخر التسعينات تم اكتشاف سبع قرى ذلك المكان

فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٥]

الخطبة الثانية

العنصر السادس: قومُ لوطٍ الجُدُد "الشواذ"

أيها الأحباب: إن هناك شريحةٌ أثمرتها حضارة العصر تسمى "شريحة الشواذ" والشاذُّ هو الغريب المستغرب غير المألوف عند أصحاب العقول، لكن يبدو أن ثوب الحضارة واسعٌ للجميع. خرجوا على الدنيا من قلب حضارتهم بمظاهراتٍ واحتفالاتٍ ومطالب تَسْتَجْلِبُ حمرة الخجل وتوجب المعَرَّةَ والندم.

إن أسفل الناس وأقلهم أخلاقاً -في قديم الأزمان -حيث التخلف والبداوة، لم يكن يدور بخلده أبداً أن الدنيا ستجود على أهلها بهذه النماذج المنحطة، شيء لا يتصوره خيال (الآدميين) أن تنطلق ثلةٌ منكسةُ الفطرةِ ومجردةٌ من طهرة إنسانيتها إلى هذا الدرك الأسفل من التعاطى لسلوك شاذ، ثم تزداد الصفاقة والسمادة إلى حد التظاهر ورفع الصوت.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء

إن ما يجنيه الشواذُّ اليوم من ثمرات الاعتراف بكيانهم في بلاد التحضر قد بدا غرسه منذ زمان، فقد [نشرت جريدةُ الأهرام القاهريَّة بتاريخ" ٣٠/ ١٩٦٧/١١ م" ما يلى: وافق تسعون من رجال الدين الأمريكيين في ندوةٍ عقدوها في نيويورك على عدم استنكار ممارسة الشذوذ الجنسي إذا كانت قائمة على عاطفة الحب]

أي حبٍ هذا الذي يطمس الفطرة ويعطل النسل ويورث الداء العضال؟

وهل تتغير معاني الحب وتتسفل إلى درك الغرائز المحرمة؟، إن الحب في عمق معناه أنقى وأطهر من أن يتداوله الشواذ والمخنثون.

واليوم .. قد تم اعتماد الشواذ للالتحاق بالجيوش نظراً لكثرتهم في المجتمعات (المتحضرة) وقد صار هذا من البروق والعروض التي يتاجر بها الساسة ضمن برنامجهم الانتخابيّ.

ولتشابه الصورة في أوروبا فقد صرح مرجعٌ دينيٌّ هام بما يفيد مزيد التدليل والتكريم، وتضاعف العطف لهذه الشريحة الاجتماعية غير الملومة في فكره، فقد [قال رئيس أساقفة السويد: أنه ينبغى إباحة تزويج المثليين في الكنيسة .. وهو اقتراحٌ مثيرٌ للجدل حتى في دولةٍ كانت سباقةً في الاعتراف

ببعض الحقوق للمثليين، وقال رئيس الأساقفة "كيد جى هامر" للصحفيين: رأينا هذا الزواج يعطي أولوية لجانب الحب بدلاً من التناسل، وهذا يفتح الباب لفهم الحب الذي ليس بين رجل وامرأة. وسمحت السويد منذ ١٩٩٥ م للمثليين بتسجيل أنفسهم كرفقاء، وهذا يعطيهم نسبياً نفس الحقوق القانونية التي يتمتع بها الزواج المدنى وهى أيضاً من بين الدول القليلة التي تسمح للمثليين بتبنى أطفال بموجب قانون صدر العام الماضى .. ومن المتوقع أن يثير تأييد رئيس الأساقفة لزواج المثليين احتجاج بعض الأساقفة] .

العنصر السابع: عقوبة من عمل عمل قوم لوط في الإسلام:

إخوة الإسلام: و في زماننا انتكست الفطر و انقلب الموازين و زين لبعض بني البشر ما زين لقوم لوط و انساق بعض شباب الامة وراء تلك النزغات و النزعات الشيطانية و جهل كثير من المسلمين بعقوبة تلك الجريمة الشنعاء وما يؤول إليه حالهم .....

ولما كانت تلك الجريمة تتنافى مع الأخلاق والآداب، وتغضب الجبار جل وعلا، جاء فيها وعيدٌ شديدٌ

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط" (٣٢٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط" (٣٢٧).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اقتلوا الفاعل و المفعول به" (٣٢٨).

وجه الاستدلال بالأحاديث السابقة:

---

٣٢٦ –سنن الترمذي مع تعليقات الألباني، أبواب الحدود، باب ما جاء في اللوطي (٣٤٥) قال الألباني رحمه الله: (صحيح).

٣٢٧ –أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه(٢٦/٥)، قال الذهبي في التعليق على الحاكم (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)(٣٩٥/٣).

٣٢٨ –أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، السابع والثلاثون من شعب الإيمان و هو باب في تحريم الفروج وما يجب من التعفف عنها(٣٥١/٤)قال الزيلعي: (وهو حديث في إسناده مقال، ولا نعلم أحدا رواه عن سهيل بن أبي صالح غير عاصم بن عمر العمري، وهو يضعف في الحديث من قبل حفظه) نصب الراية (٣٣٩/٣).

أنها دلت دلالة صريحة على أن اللواط مما يوجب استحقاق لعن صاحبه. وإقامة حد القتل على الفاعل والمفعول، وأنه من أعظم الأمور التي خاف منها الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته، فدل ذلك على أن اللواط كبيرة من كبائر الذنوب.

واعلَم أنَّ الصحابة – رضي الله عنهم – لَم يختلفوا في أنَّ حكم مَن فعَل تلك الفاحشة القتل، ولكن اختَلفوا في كيفيَّته، وإليك ما قاله الإمام الشوكاني – رحمه الله – حول عقوبة مَن فعَل ذلك: "وما أحقُّ مُرتكب هذه الجريمة، ومُقارف هذه الرذيلة الذميمة، بأن يُعاقب عقوبة يَصير بها عبرةً للمعتبرين، ويُعذَّب تعذيبًا يَكسِر شهرة الفَسَقة المتمردين، فحقيقٌ بمَن أتى بفاحشة قوم ما سبَقهم بها من أحدٍ من العالمين، أن يَصلَى بما يكون في الشدَّة والشناعة مشابهًا لعقوبتهم، وقد خسَف الله تعالى بهم، واستأصَل بذلك العذاب بِكرهم وثَيِّبَهم"؛ ا.هـ.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من الفواحش والفتن؛ ما ظهَر منها، وما بطَن، اللهمَّ احفَظ علينا وعلى أهلينا وأولادنا وإخواننا – الدينَ والنفس والعِرض، وحُسن الأخلاق، يا رحيم يا كريم، اللهمَّ إنَّا نسألك بأنَّك أنت الله، لا إله إلا أنت المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كلِّ مكان، اللهم انصُر المجاهدين في سبيلك في كلِّ مكان، اللهمَّ انصُرهم نصرًا مؤزَّرًا، اللهمَّ اربط على قلوبهم، وثبِّت أقدامهم، اللهمَّ أنجِ المستضعفين المسلمين في كل مكان، اللهمَّ احقِن دماءَهم وآمِن رَوعاتهم، واستُر عوراتهم واحفَظهم يا كريم يا منَّان.

إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يرام، الصمد الذي لا بصوره العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام، القدوس الذي تنزه عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام الغني عن جميع المخلوقات فالكل مفتقر إليه وهو الغني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال أين كان فتبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

اله عز من اعتز به فلا يضام، وذل من تكبر عن أمره ولقي الآثام

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

صلوا على خيـر الأنام محمـد إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى عليه قاعد يغفر له قبل القيام وللمتاب يجدد

وكذلك إن صلى عليه وهو قائما يغفر له قبل القعود ويرشد

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أما بعد :

أمة العقيدة الإسلامية: حديثنا في ذلك اليوم الأغر الميمون، خير يوم طلعت فيه الشمس، عن مظهر من مظاهر الإيمان، وعن وسمة من سمات أولياء الرحمن، عن مظهر من مظاهر الرقي والحضارة، هو عنوان أمة الإسلام وهو سبيل اتباع النبي العدنان –صلى الله عليه وسلم–إنه الجمال والنظافة التي انفردت بها أمة من بين سائر الأمم

فأعيروني القلوب والأسماع لنشف الآذان ببعض ونحيي القلوب بكلام علام الغيوب وبسنة النبي – المحبوب – صلى الله عليه وسلم–

أما بعد: – حياكم الله تعالى وبياكم وجعل الله تعالى الجنة مأوانا ومأواكم –حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون عن (إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام) لنتعرف على الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي تحلى بها المجاهدون في سبيل الله مع أعدائهم في ميدان المعركة حالهم كما قال الشاعر:

مَلكْنا فكان العَفْو منَّا سَجيَّةً فلمَّا ملـكْتُمْ سالَ بالـدَّمِ أبْطَـحُ

وحَلَّلْتُمُ قتلَ الأسارى وطالَما غَدوْنا عن الأسْرى نَعفُّ ونصفَح

فحسْبُكُمُ هذا التَّفاوتُ بيْنَنا وكـلُّ إنـاءٍ بالـذي فيهِ يَنْضَحُ

أيها الأحباب "مشهد الحروب القذرة في عالمنا اليوم، وما تلحقه من أضرار على البشرية، مقابل عدم قدرة القوانين الدولية على محاسبة مجرمي الحرب –وما أكثرهم –تجعلنا مدعوين لتقديم نموذجنا الإسلامية ورؤيتنا للحروب: أهدافها وضوابطها وأخلاقياتها وهي رؤية لم تصل إليها البشرية – رغم ما شهدته من تقدم وحضارة" .....و في هذه الخطبة نضع بعض تلك الأخلاق و القوانين فأعيروني القلوب و الأسماع

✍ أنه لا يقتل إلا المقاتلة: إخوة الإسلام إن من الأخلاق و الآداب و القوانين التي وضعها الإسلام للحرب أنه لا يتعرض للمدانين الذين لم يشاكوا في الحرب قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠]، قال الشوكاني: "وقال

جماعة من السلف: إن المراد بقوله: (الذين يقاتلونكم) من عدا النساء والصبيان والرهبان ونحوهم".([٣٢٩])

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" .([٣٣٠])

وعن نافع أن عبد الله رضي الله عنه أخبره "أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان".([٣٣١])

ولقد كان من رحمته صلى الله عليه وسلم بهم أنه لا يفرق بين ابن وأمه لأن ذلك التفريق ليس من الإنسانية فكيف يرضى به الإسلام فقد نهى أصحابه عن ذلك فعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ أَبَا أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، قَدِمَ بِسَبْيٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَبْكِي وَقَالَتْ: بِيعَ ابْنِي فِي عَبْسٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي أُسَيْدٍ: «لَتَرْكَبَنَّ فَلَتَجِيئَنَّ بِهِ كَمَا بِعْتَ بِالثَّمَنِ» فَرَكِبَ أَبُو أُسَيْدٍ فَجَاءَ بِهِ ([٣٣٢])

✍ثانيا: النهي عن قتل المدبر والإجهاز على الجريح:

معاشر الموحدين: ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى أتباعه عن قتل المدبر و نهاهم عن الإجهاز على الجريح فأي أخلاق تلك إنها الأخلاق الإسلامية الرفيعة عباد الله فعن حصين عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "ألا لا يقتل مدبر ولا يجهز على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن".(٣٣٣)

✍ثالثا: النهي عن الغدر والمثلة –تشويه الجثث–ومن الأخلاق الرفيعة مع الأعداء أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغدر و المثلة بجثث القتلى فقد كان من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا".([٣٣٤])

---

[٣٢٩] – فتح القدير، ٢٩٣/١.

[٣٣٠] – رواه أبو داود ٤٤/٢، (٢٦١٤).

[٣٣١] – رواه البخاري، ١٠٩٨/٣، (٢٨٥١)، ومسلم، ١٣٦٣/٣، (١٧٤٤).

[٣٣٢] – السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢١٢)

[٣٣٣] – ابن أبي شيبة، ٤٩٨/٦، (٣٣٢٧٦).

[٣٣٤] – رواه ابو داود، ٤٤/٢، والترمذي، ٢٢/٤، (١٤٠٨).

وقد ترسّخت قيمة الوفاء في نفوس الصحابة حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه في ولايته أنّ أحد المجاهدين قال لمحارب من الفرس: لا تَخَفْ. ثم قتله، فكتب رضي الله عنه إلى قائد الجيش: "إنه بلغني أنّ رجالاً منكم يَطْلُبُونَ العِلْجَ (الكافر)، حتى إذا اشتدّ في الجبل وامتنع، يقول له: "لا تَخَف". فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده! لا يبلغنّي أن أحدًا فعل ذلك إلاّ قطعتُ عنقه"([٣٣٥])

ورغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عمّ الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يُغيّر مبدأه، بل إنه صلى الله عليه وسلم هدّد المسلمين تهديدًا خطيرًا إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: "أَشَدُّ النّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلاَلَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْـمُمَثِّلِينَ"([٣٣٦])

ولم تَرِدْ في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثةٌ واحدة تقول بأن المسلمين مثّلوا بأَحَدٍ من أعدائهم.

رابعا : النهي عن التدمير والتخريب من غير حاجة، عن صالح بن كيسان قال: لما بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام على ربع من الأرباع خرج أبو بكر رضي الله عنه معه يوصيه ويزيد راكب وأبو بكر يمشي فقال يزيد: "يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل"، فقال: "ما أنت بنازل وما أنا براكب، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، يا يزيد إنكم ستقدمون بلاداً تؤتون فيها بأصناف من الطعام، فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع، فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيراً هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، ولا تخربوا عمراناً، ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغدر، ولا تمثل، ولا تجبن، ولا تغلل، (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحديد: من الآية٢٥] أستودعك الله وأقرئك السلام". ([٣٣٧])

---

[٣٣٥] – الموطأ: رواية يحيى الليثي (٩٦٧)، والبيهقي: معرفة السنن والآثار (٥٦٥٢).

[٣٣٦] – أحمد (٣٨٦٨)، واللفظ له، وحسنه شعيب الأرناءوط، والطبراني في الكبير (١٠٤٩٧)، والبزار (١٧٢٨)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨١).

[٣٣٧] – البيهقي السنن الكبرى، ٩/٩٠، (١٧٩٢٩).

✍خامسا: إكرام الأسير: قال الله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) [الإنسان: ٨]، قال البيضاوي: "مسكينا ويتيماً وأسيرًا يعني أسراء الكفار فإنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه". (٣٣٨)

✍إطعام الأسرى:

مما حث عليه الإسلام إطعام الأسير وجعل ذلك سببا من أسباب دخول الجنة إطعام الأسرى قال الله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان:٨]. في هذه الآية الكريمة من الدستور الإسلامي القرآن الكريم يحثُّ الله تعالى عباده المؤمنين على الإحسان إلى أسراهم وإطعامهم، ويعِدُهم بذلك النعيمَ في الآخرة. قال ابن عباس: أمر رسول الله أصحابه يوم بدر أن يُكرموا الأُسَارى، فكانوا يُقَدِّمُونهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة (٣٣٩)

ويعلق ابن جريج[على نفس الآية فيقول: لم يكن الأسير على عهد رسول الله إلا من المشركين، قال أبو عبيد: فأرى أن الله قد أثنى على من أحسن إلى أسير المشركين (٣٤٠)(

وها هو أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير يحكي ما حدث يقول: "كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خَصَّوْني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها؛ فأستحي فأردّها فيردّها عَلَيَّ ما يمسّها!

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث (٣٤١)

✍سادسا: النهي عن الإغارة على العدو ليلا حتى يصبح:

إخوة الإسلام: و من الآداب الإسلامية التي شرعها لنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يغير على عدوه ليلا و هم نائمون ولا يأخذهم وهم نائمون انظروا عباد الله إلى قمة العدل و قمة الأخلاق التي تحلى بها المسلمون مع أعدائهم فعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ

---

٣٣٨ – تفسير البيضاوي، ٤٢٧/١.

٣٣٩ –[ابن كثير (تفسير القرآن العظيم [٥٨٤/٤]).].

٣٤٠ – البيهقي (شعب الإيمان [٥٢٦/٦]).].

٣٤١ –[ابن كثير (السيرة النبوية [٤٧٥/٢]).].

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا.»(٣٤٢)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهَا لَيْلًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَا يُغِيرُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ.»(٣٤٣)

سابعا: النهي عن التحريق والتعذيب بالنار

أمة الإسلام ومن آداب وأخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى اتباعه عن تحريق أعدائهم بالنار وتعذيبهم بها على الرغم عباد الله أن التحريق بالنار كان سائدا في الحروب قبل الإسلام فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا.»(٣٤٤)

ثامنا: النهي عن النهب في الحرب :

أمة الإسلام: ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى المجاهدين عن النهب مهما أصابهم من جوعة وخصاصة لأن النهب من الخيانة التي لا يرضاها الإسلام

«عَنْ أَبِي لَبِيدٍ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ كَابُلَ، قَالَ: فَأَصَابَ النَّاسُ غَنِيمَةً، فَانْتَهَبُوهَا، فَأَمَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ، مُنَادِيًا يُنَادِي، فَنَادَى، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " مَنِ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا "، رُدُّوهَا، (١) فَرَدُّوهَا، فَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ»(٣٤٥)

عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ النَّاسَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ، وَأَصَابُوا غَنَمًا فَانْتَهَبُوهَا، فَإِنَّ قُدُورَنَا لَتَغْلِي إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

٣٤٢ – «صحيح البخاري –ط السلطانية» (٤/ ٤٧)

٣٤٣ – «صحيح البخاري –ط السلطانية» (٤/ ٤٨)

٣٤٤ – «صحيح البخاري –ط السلطانية» (٤/ ٦١):

٣٤٥ – «مسند أحمد» (٣٤/ ٢٣٣ ط الرسالة)

يَمْشِي عَلَى قَوْسِهِ، فَأَكْفَأَ قُدُورَنَا بِقَوْسِهِ، ثُمَّ جَعَلَ يُرَمِّلُ اللَّحْمَ بِالتُّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ النُّهْبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَةِ» أَوْ «إِنَّ الْمَيْتَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ النُّهْبَةِ»([٣٤٦])

تاسعا: النهي عن تضيق المنازل وقطع الطرق في الحرب:

ومن روائع الآداب الإسلامية أنه نهى أتباعه عن تضيق المنازل و قطع الطرق عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلْنَا عَلَى حِصْنِ سِنَانٍ بِأَرْضِ الرُّومِ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَضَيَّقَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا، فَضَيَّقَ النَّاسُ الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا فَنَادَى: " مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلًا أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا فَلَا جِهَادَ لَهُ " ([٣٤٧])

قوله: ((فضيق الناس)) قيل: التضييق هنا بسبب أخذ منزل لا حاجة له إليه أو فوق حاجته قوله: "فلا جهاد له"؛ أي: فلا كمالَ ثوابِ الجهاد له بإضراره الناس؛ لأنه إذا نزل في الطريق يمنع الناس من المرور، أو يضيقُ الطريق فيتضررون بالمرور، وإضرار الناس إثم.

عاشرا: النهي عن قتل الرسل:

ومن الآداب التي شرعها الإسلام في الحرب أن الرسل لا تقتل ولا تأسر وذلك من كرم الإسلام ومن عدله مع أعدائه فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، قَالَ لِلرَّسُولَيْنِ: فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَقُولُ: كَمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا " ([٣٤٨])

الحادي عشر النهي عن قتل المعاهد:

معاشر الموحدين إن من أخلاقيات الحرب في الإسلام أنه نهى عن قتل المعاهد وحذر من ذلك تحذيرا شديد

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا.»([٣٤٩])

الخطبة الثانية

---

[٣٤٦] –وأخرج البخاري (٢٤٨٨)، ومسلم (١٩٦٨)، وابن ماجه (٣١٣٧)، والترمذي (١٦٩١)

[٣٤٧] –«مسند أحمد» (٢٤/ ٤٠٥ ط الرسالة) «وأخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٢٤٦٨) ، وأبو داود (٢٦٢٩)»

[٣٤٨] –«مسند أحمد» (٢٥/ ٣٦٧ ط الرسالة)«وأخرجه أبو داود (٢٧٦١) ، والحاكم ١٤٢/٢–١٤٣»

[٣٤٩] –«صحيح البخاري – ط السلطانية» (٤/ ٩٩):

أهداف الحرب في الإسلام:

إخوة الإسلام: بعدما تعرفنا على الأخلاق والآداب التي شرعها الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم –نقف في عجالة سريعة لنتعرف على أهداف الحرب في الإسلام ليعلم الجميع أن الإسلام ليس متعطشا للدماء ولا داعيا للحرب والتخريب والتدمير لقد انتضى الإسلام السيف لا ليكره الناس على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف

أولا: شرع الجهاد عباد الله لصد عدوان يعده العدو لاجتياح بلاد المسلمين ويهدد أمنهم مثلما حدث ذلك في غزو حنين وحصار الطائف حين اجتمعت هوازن وثقيف بعد فتح مكة بقيادة مالك بن عوف النمري

ثانيا يشرع الجهاد للدفع عن الدين والأرض وصد هجمات الغزاة كما حدث في غزوة أحد والخندق حين اجتمعت الأحزاب لضرب الإسلام.

ثالثا: يشرع الجهاد ضد من نقض العهود والمواثيق مثل ما حدث مع بني قينقاع وبني النضير وفتح مكة

رابعا يشرع الجهاد لتامين المسلمين إذا تعرض لهم من يفتنهم عن دينهم أو يمنع الداعي من تبليغ دعوته قال الله تعالى﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٩٠] و قال تعالى﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]

يقول أحد المفكرين: لو لم يكن من مظاهر العدل في الإسلام إلا قوانينه الحربية لكان في ذلك ما يقنع المنصفين على اعتناقه

الدعاء .....

أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع

الخطبة الأولى

الحمد لله الحي العليم السميع البصير القادر، المتكلم بكلام قديم أزليّ هو به ناه وآمر، زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاء منها السرائر ن من رضي بدونه فهو الخائن الغادر، الشقي من حرمه،

والسعيد من رحمه، والطريد من حجبه، والقريب من جذبه، والنادم من أهانه، والسالم من أعانه، وقد علم الوليّ والعدو والرابح والخاسر.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

سبحانه أوضح الدلالة وبين، وحبب الإيمان إلى المؤمنين وزيّن، وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون في الحق بعد ما تبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:..... أحبابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثنا في هذا اليوم الطيب الميمون الأغر عن (أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع).

هذا الخلق الإسلامي الرفيع الذي هو من أسمي الأخلاق اتصف به الأنبياء والمرسلون ومدحهم الله تعالى به في غير ما آية من كتابه

ذلك الخلق هو عنوان الإيمان وأتم صفات أهل الإحسان فما هي الأمانة؟ وما هو فضلها وكيف تكون الأمانة في الصنعة والتجارة؟

هذا هو موضوع الحديث بحول الله تعالى وقوته:

كن للأمانة راعيا لا للخيانة تستكين

حتى ولو سرا فكن للسر حافظه الأمين

الناس تعجب بالذي قد صانها في كل حين

وتبجل الشخص الذي لم يفش سرا ...لا يلين

أدى الأمانة راجيا من ربنا كل الثواب

من خان أي أمانة حصد الهلاك مع الخراب

فالله يمتحن العباد والخائنون لهم حساب

أما الأمين هو الذي دوماً يفضله الصحاب

✍ العنصر الأول تعريف الأمانة:

الأمانة في الاصطلاح الشرعي: هي رعاية حقوق الله تعالى بتأدية المرء للفرائض والواجبات، وكذلك المحافظة على حقوق العباد فلا يطمع الإنسان في وديعة أؤتمن عليها ولا ينكر مالاً أو متاعاً أمّنه الناس عليه.

✍العنصر الثاني الأمانة في القران والسنة:

الأمانة العظمى، وهي الدين والتمسك به، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الأمانة تعم جميع وظائف الدين ا هـ.

وكذلك كل من جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فهم أمناء في تبليغ هذا الدين. وكل ما يأتي من أنواع يمكن دخولها في هذا النوع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ ". ([٣٥٠]) .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ ". ([٣٥١]) .

---

[٣٥٠] – أخرجه البخاري (٣٣) و (٢٦٨٢) و (٢٧٤٩) و (٦٠٩٥) ، ومسلم (٥٩) (١٠٧)

[٣٥١] – مسلم (٣/ ١٣٥٩ رقم ١٧٣٥)، البخاري (٦/ ٢٨٣ رقم ٣١٨٨)، وانظر (٦١٧٨، ٦١٧٧، ٦٩٦٦، ٧١١١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ» [٣٥٢].

العنصر الثالث أمانة الأنبياء والرسل:

إن الأمانة شرط أساسي لاصطفاء الرسل، وهي من أبرز أخلاقهم، فلولا أنهم أمناء على ما يعود بالنفع على أمتهم، وحريصون على هداية وإرشاد أقوامهم لما استأمنهم الله على رسالاته لخلقه، فقد نادى جميع الأنبياء الأقوام الذين أرسلوا إليهم بقولـه تعالـى: ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان: ١٧، ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨].

"أي إني رسول من الله إليكم أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد عليها ولا أنقص ومأمون على تبليغ هذه الرسالة"

وكل رسول كان لسان دعوته لقومه ولسان حاله الذي يخاطب به الناس إني لكم رسول ناصح أمين، معبراً عن ثقل التبعة، وخطر ما يعلمه من عاقبة ما هم فيه من الجاهلية في الدنيا، ورغبته في هداية قومه وهو منهم وهم منه، وفي كل مرة يقف الملأ الذين استكبروا موقف الرفض، وعدم الاستسلام والخضوع لهذا الدين، وهذه القضية التي قامت عليها الرسالات، وقام عليها دين الله كله في الأرض.

أمانه هود عليه السلام:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٦، ٦٨].

---

[٣٥٢] – أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٣/٢، رقم ٢٢٩٢) . وأخرجه أيضًا: في الصغير (١١٣/١، رقم ١٦٢)

• أمانة صالح عليه السلام وقال لهم:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

• أمانة لوط عليه السلام:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٦].

• أمانة شعيب عليه السلام:

قال تعالى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ – ١٨٣].

وتلك الصِّفة بعينها ذُكِرت خمس مرَّات متواليات بحقِّ الأنبياء في سورة الشُّعراء:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾.. فقد قالها نبيُّ الله نوح في آية [١٠٧]، ونبيُّ الله هود، في آية [١٢٥]، ونبيُّ الله صالح في آية [١٤٣]، ونبيُّ الله لوط في آية [١٦٢]، ونبيُّ الله شعيب في آية [١٧٨].

• أمانة النبي صلى الله عليه وسلم:

• رد الأمانات إلى أهلها عند الهجرة:

عن عائشة –رضي الله عنها–في هجرة النبي قالت: وأمر –تعني رسول الله – عليًّا أن يتخلف عنه بمكة؛ حتى يؤدِّيَ عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس. وكان رسول الله وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يُعلم من صدقه وأمانته... فخرج رسول الله، وأقام علي

بن أبي طالب ثلاث ليالٍ وأيامها؛ حتى أدَّى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لَحِق رسولَ الله [٣٥٣]

• رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة:

عن ابن جريج قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، قال: نزلت في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قَبض منه النبي مفتاحَ الكعبة، ودخلَ به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح[٣٥٤]

• أمانة النبي – صلى الله عليه وسلم – في تجارته لخديجة – رضي الله عنها–:

كانت خديجة – كما يروى ابن الأثير وابن هشام – امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد صلى الله عليه وسلم هذا العرض فرحل إلى الشام عاملا في مالها ومعه ميسرة.

فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها، وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونبل عظيم، ووجد ميسرة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم و عظيم أخلاقه ما ملأ قلبه دهشة له، وإعجاباً به فروى ذلك لخديجة.

فأعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منيّة)، فوافق النبي عليه الصلاة و السلام، وكلم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد. وتزوجها عليه الصلاة والسلام وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاما ولها من العمر أربعون.

الأمانة في البيع والشراء:

---

[٣٥٣] – سيرة ابن هشام (٢/ ٤٨٣).

[٣٥٤] – أخرجه ابن جرير التفسير (١٤٥/٥)

وأداء الأمانة في البيع والشراء أن يلتزم فيهما الحدود الشرعية التي رسمها الشارع الحكيم، فلا يتعاطى المعاملة بالربا لا صريحا ولا حيلة فإن التحيل على الربا شر من الربا الصريح لأن المتحيل جمع بين المخادعة والربا، وعلى العامل بالبيع والشراء أن يتجنب الغش.

الواقع التطبيقي:

الموقف الأول: عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقاراً لهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الذِي اشْتَرَى العَقارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ فقال الذِي اشْتَرَى العَقارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ ولم أبْتَعِ الذَّهَبَ وقال الذِي لهُ الأَرْضُ إنَّما بِعْتُكَ الأَرْضَ وما فيها فَتَحاكمَا إلى رَجُلٍ فقال الذِي تَحاكمَا إليه ألَكُما وَلَدٌ قال أحَدُهُما لِي غُلامٌ وقال الآخَرُ لِي جارِيَةٌ قال أنْكِحُوا الغُلامَ الجَارِيَةَ وأنْفِقوا على أنْفُسِكما منهُ وتَصَدَّقوا (٣٥٥)

الموقف الثاني: ذات يوم خرج أحد التجار الأمناء في سفر له، وترك أحد العاملين عنده ليبيع في متجره، فجاء رجل يهودي واشتري ثوبًا كان به عيب.

فلما حضر صاحب المتجر لم يجد ذلك الثوب، فسأل عنه، فقال له العامل: بعته لرجل يهودي بثلاثة آلاف درهم، ولم يطلع علي عيبه. فغضب التاجر وقال له: وأين ذلك الرجل؟ فقال: لقد سافر.

فأخذ التاجر المسلم المال، وخرج ليلحق بالقافلة التي سافر معها اليهودي، فلحقها بعد ثلاثة أيام، فسأل عن اليهودي، فلما وجده قال له: أيها الرجل! لقد اشتريت من متجري ثوبًا به عيب، فخذ دراهمك، وأعطني الثوب. فتعجب اليهودي وسأله: لماذا فعلت هذا؟ قال التاجر: إن ديني يأمرني بالأمانة، وينهاني عن الخيانة فقد قال رسولنا –صلى الله عليه وسلم–: (مَن غَشَّ فليس مني). (٣٥٦)

---

٣٥٥ – أخرجه البخاري (٣٤٧٢) ، ومسلم (١٧٢١) ، وأبو عوانة ٢٣/٤–٢٤ وابن حبان (٧٢٠) ، والبيهقي في "الشعب" (٥٢٩٠) ، والبغوي (٢٢١٢) .

٣٥٦ – أخرجه مسلم (٩٩/١، رقم ١٠٢) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٣٩٩/١١، رقم ٦٥٢٠) ، وابن حبان (٢٧٠/١١، رقم ٤٩٠٥)

فاندهش اليهودي وأخبر التاجر بأن الدراهم التي دفعها للعامل كانت مزيفة، وأعطاه بدلا منها،ثم قال: لقد أسلمت لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله).

الموقف الثالث وابرأ من أنها تقلب المعلف:

الأصمعي قال أنبأنا سكن الخرشي قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال بعها وابرأ من أنها تقلب المعلف وتنزع الوتد ولا تبرأ بعد ما تبيع بين قبل أن تبيع.

الأمانة في حفظ ورد الودائع:

تشمل الوديعة الأشياء العينية من مال ومتاع وكل ما يؤتمن عليه الإنسان يجب أن يؤديه إلى أصحابه كاملة غير منقوص، ووفق هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨]، فهم يؤدون الأمانات والودائع إلى أهلها، وإذا اؤتمنوا على شيء لم يخونوا، وجاء في الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ " [٣٥٧]

وأداء الودائع وسائر الأمانات واجب ولا سيما إذا طلبها صاحبها، ومن لم يؤدها في الدنيا أُخذت منه في يوم القيامة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» [٣٥٨].

فالأمانة بمعنى الوديعة حقها الأداء حيث ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم صراحة ومؤكداً بصيغة لام الأمر، قال تعالى: ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وورد الأمر بصيغة التصريح بفعل الأمر برد الودائع والأمانات إلى أهلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ، قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟

---

[٣٥٧] – أخرجه ابن أبي شيبة في "الإيمان" "٧"، و"المصنف" ١١/١١، وأحمد ١٣٥/٣ و١٥٤ و٢١٠، والبزار "١٠٠"،

[٣٥٨] – أخرجه أحمد ٣٢٣/٢ و٣٧٢ و٤١١، والبخاري في "الأدب المفرد" "١٨٣"، ومسلم"٢٥٨٢" في البر والصلة: باب تحريم الظلم،

قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ " فَأَتَيْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: كَذَا " قَالَ، كَذَا قَالَ، صَدَقَ أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ اللهُ: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨] " (٣٥٩)

الواقع التطبيقي:

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا من بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فقال: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فقال: كَفَى بِالله شَهِيدًا، قال: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قال: كَفَى بِالله كَفِيلًا، قال: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إليه إلى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ في الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عليه لِلْأَجَلِ الذي أَجَّلَهُ فلم يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فيها أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً منه إلى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أتى بها إلى الْبَحْرِ فقال: اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كنت تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فقلت كَفَى بِالله كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فقلت كَفَى بِالله شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إليه الذي له فلم أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بها في الْبَحْرِ حتى ولَجَتْ فيه، ثُمَّ انْصَرَفَ وهو في ذلك يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إلى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الذي أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قد جاء بِمَالِهِ فإذا بِالْخَشَبَةِ التي فيها الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فلما نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الذي كان أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فقال: والله ما زِلْتُ جَاهِدًا في طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فما وَجَدْتُ مَرْكَبًا قبل الذي أَتَيْتُ فيه، قال: هل كُنْتَ بَعَثْتَ إلي بِشَيْءٍ، قال: أُخْبِرُكَ أَنِّي لم أَجِدْ مَرْكَبًا قبل الذي جِئْتُ فيه، قال: فإن الله قد أَدَّى عَنْكَ الذي بَعَثْتَ في الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ دينار رَاشِدًا»(٣٦٠)

أمانة الصانع وأثرها على المنتج الوطني والرخاء الاقتصادي:

---

٣٥٩ – رواه الطبراني ١٠/ ٢١٩ (١٠٥٢٧)، قال الهيثمي ٥/ ٢٩٣، ورجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٣٠).

٣٦٠ – أخرجه أحمد (٣٤٨/٢، رقم ٨٥٧١) ،والبخارى (٨٠١/٢ رقم ٢١٦٩) .

إخوة الإسلام: ومن الأمانة التي ضيعها كثير من المسلمين أمانة الصناعة وإتقانها حتى رأينا كثيرا من المسلمين يتهافتون على المنتج الغربي الياباني والألماني وغيرها من منتجات أتقنها صناعها بأمانة وحس الصنعة فراجت تجارتهم وارتفع اقتصادهم في حين أننا نرى كثيرا من المنتجات القومية والوطنية قد أعرض عنها المشتري لعلمه أنها افتقدت الأمانة فحين أننا أمة الأمانة والإتقان.

إن الإتقان في العمل والمسئولية قيمة تربوية ومرتكز نفسي مؤثر، على أساسه ينبني الإنسان المسلم من بدايات حياته الأولى فاعلا ومؤثرا وناجحا، فيدع العجز والكسل، والقعود والخمول، وينطلق حيث الفعالية المؤثرة في شتى المجالات.

وأما السياج المحيط بصنعة الصانع فهو سياج الأخلاق، فالأخلاق تحيطه وتحميه من النقص أو الخلل، فأمر بكل خلق يصلح به العمل، فلا عمل بغير أمانة.

كذلك فالصدق في العمل، وعدم الغش فيه شرط من شروط صلاحه عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر على صبرة من طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال يا صاحب الطعام! ما هذا؟ قال أصابته السماء يا رسول الله! قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال من غش فليس منا أخرجه الترمذي.

وهكذا قل في الأخلاق الأخرى.

و لقد مدح الله تعالى أهل الأمانة في الصنعة فقال عن نبيه داود عليه السلام ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

ومدح الإتقان و الأمانة في حياة سليمان عليه السلام فقال سبحانه ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]

أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.... أما بعد:

العنصر الخامس: الوصايا النبوية للتجار والصناع:

أحباب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–و ها هي وصايا غراء من سيد الأصفياء – صلى الله عليه و سلم لكل تاجر في تجارته و كل صانع في صنعته:

الوصية الأولى إتقان الصنعة: أول هذه الوصايا أيها الصناع الإتقان أتقن عملك و صنعتك و اعلم أن الله تعالى يحب المتقنين عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْهِقُوا الْقُلَّةَ " قَالَ أَبُو حَفْصٍ: – يَعْنِي مُطَيَّنٌ، أَيِ ادْنُوَا إِلَيْهَا – فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ "[٣١]

الوصية الثانية: التزم بوعودك ولا تخلفها:

لا كما نرى وما نسمع أن كثيرا من الصناع والتجار رأس مالهم إخلاف الوعود وعدم الالتزام بها وللأسف لقد شاع في الأمثال: (فلان وعده إنجليزي) لما يرونه من صدق هؤلاء في وعودهم وعدم إخلافها.

ونحن أحق وأولى لأننا امرنا الله تعالى بذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]. فلا ينبغي للصانع أن يَعِد الناس بما لا يقدر على وفائه.

الوصية الثالثة: احذر أن تكتم عيبا في تجارتك أو صنعتك: لأن هذا من الغش المذموم كما ذكرنا أنفا و لان ذلك يوجب اللعن و الطرد من رحمة الله تعالى

الوصية الرابعة احذر من الأيمان الكاذبة: فإنهما تمحق البركة و تهين صاحبها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

[٣١] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٤/٤، رقم ٥٣١٢) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٣٤٩/٧، رقم ٤٣٨٦)

أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلَ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ ابْنَ السَّبِيلِ مِنْهُ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لِلدُّنْيَا إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ، وَفَّى لَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا عَلَى سِلْعَتِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ الْآخَرُ» (٣٦٢)

ألا وصلوا وسلِّموا على خير خلق الله نبينا محمد، فقد أمرنا ربنا بهذا، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

تطهير البلاد من أدران وبؤر الفساد

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

---

٣٦٢ – أخرجه البخاري في: ٤٢ كتاب المساقاة: ٥ باب إثم من منع ابن السبيل من الماء

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع فيّ خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيما مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

أمة الإسلام: نعيش في ذلك اليوم الطيب الميمون مع قضية القضايا التي تشغل بال كثير من الناس إنها قضية الفساد والإفساد التي أزكمت الأنوف وأفسدت على كثير من الأخيار حياتهم

فسد الزمان وعاثت الأشرار سلم هديت بذا جرت أقدارُ

صبراً على هذا الزمان وأهله إن جار نحوك بالبلا أو جاروا

واعلم هديت بأننا في آخرٍ من دار دنيا عيشها أكدارُ

طمت حوادثها وعم بلاؤها وإلى مماتٍ ليس عنها فرارُ

فما هو الفساد؟

وما هي أنواعه؟

وما هي صفات المفسدين في القران الكريم؟

وما هي نهاية المفسدين؟

الجواب بحول الملك الوهاب:

العنصر الأول: تعريف الفساد: إخوة العقيدة: الفساد في أدق عبارة و ارق إشارة هو: خروج الشيء عما كان عليه من الاعتدال والسلامة، قليلا كان الخروج أو كثيرا. والمذموم في القرآن يشمل كل ما يخالف الصلاح ويتعارض مع الشرع من قول أو فعل أو اعتقاد.

قال شيخ الإسلام: ((كل قول أو عمل يبغضه الله فهو من الفساد))

العنصر الثاني: أنواع الفساد: و اعلموا علمني الله تعالى إياكم ان الفساد ينقسم إلى نوعين و: حسي ومعنوي، فالحسي كفساد اللحم واللبن والطعام ونحو ذلك، قال عبد الرؤوف المناوي: ((واعلم أن الفساد في الحيوان أسرع منه إلى النبات، وإلى النبات أسرع منه إلى الجماد؛ لأن الرطوبة في الحيوان أكثر)). وكان يقال: الفضائل العلمية تشبه النخل؛ بطيء الثمرة، بعيد الفساد .

والفساد المعنوي أشد خطرا، وأنكى ضررا وهو أنواع كثيرة، منها:

١-فساد في العقيدة والفكر والتصور والإدراك. ٢-فساد في العبادة والعمل.

٣-فساد في السلوك والأخلاق. ٤-فساد في العلوم والمعارف.

٥-فساد في المعاملة والعقود والعلاقات مع الغير. ٦-فساد في النظام والحكم والإدارة.

العنصر الثالث: ذم الفساد وأهله

أمة الحبيب الأعظم محمد -صلى الله عليه وسلم-جاء القران الكريم ليصلح ما أفسدته الطبائع البشرية وغيرته النزوات الشيطانية فالقران الكريم كتاب إصلاح فهو مصلح لكل زمان ومكان

لذا نرى القران الكريم حارب الفساد و المفسدين قال الله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: ٥٦، ٨٥] ، أي لا تخربوا الدنيا بمعاصيكم، بعد أن أصلحها الله للطاعات وأصلحها الصالحون بها؛ فإن المعاصي تفسد الأرض وما عليها، وتفسد الأعمال والأرزاق، كما أن الطاعات تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة.

قال ابن عطية في شرح الآية: ((ألفاظ عامة، تتضمن كل إفساد قل أو كثر، بعد إصلاح قل أو كثر، والقصد بالنهي هو على العموم، وتخصيص شيء دون شيء في هذا تحكّم إلا أن يقال على وجهة المثال)) [٣٦٣]

وقال ابن قيم الجوزية: ((قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره)) "[٣٦٤]

وقال تعالى في خمسة مواضع من كتابه: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}،(في سورة البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥، والشعراء: ١٨٣، والعنكبوت: ٣٦) والعثي هو أشد الفساد" أي لا تفرطوا في الإفساد ولا تفسدوا دنياكم بالتمادي في المعاصي؛ فإنها تدع الديار بلاقع موحشة، وتصحب الأجسام في ظلمة موحشة، ولما كان قبح الفساد معلوما نهي عن أعلاه تنبيها على أدناه.

عباد الله لقد حذركم الله تعالى من الاستماع و الانصياع للمفسدين فقال تعالى: { وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء: ١٥١، ١٥٢]، وهنا نهى ربنا عن إطاعة الذين غلوا في الإفساد ودأبوا عليه لزيادة التنفير عنهم وعن فعلهم، وللتنبيه على أن أقل الفساد يجرّ إلى الإسراف فيه، وفي هذا موعظة لأولي النهى الذين يتعظون بغيرهم، والنهي عن طاعتهم يستلزم النهي عن صحبتهم، وقد قال سفيان الثوري: ((ليس شيء أبلغ في فساد رجل وصلاحه من صاحب)) [٣٦٥]

وقال ممشاد الدينوري: ((صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد)). [٣٦٦]

---

[٣٦٣] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص ٧١١ .

[٣٦٤] – بدائع الفوائد" ٨٥٦/٣ .

[٣٦٥] – الإبانة الكبرى" لابن بطة العكبري ٤٧٨/٢ .

[٣٦٦] – صفة الصفوة" لابن الجوزي ٧٨/٤

رأيت صلاح المرء يُصلح أهله ... ويُعديهم داءَ الفساد إذا فسد

و المتأمل في القران و التاريخ يرى أن عاقبة المفسدين إلى بوار قال تعالى: {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٠٣] ، أي اعتبر بهلاكهم ومصيرهم، فحذّر الله من مآل المفسدين، وجعله مثالا يتوعد به على أمثالهم.

واعلموا ان كثيرا من هؤلاء المفسدين يظنون ويزينون للناس أنهم مصلحون وربك اعلم بمضل يضل عن سبيله {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١، ١٢]،

فهؤلاء المنافقون أفسدوا أنفسهم بأعظم الفساد، وهو الكفر والنفاق، وأفسدوا الناس بالتعويق عن الإيمان والتثبيط عن الحق وتشويش أفكارهم بقلب الحقائق، وأفسدوا المجتمع بنشر العداوات وتسعير الفتن، وسعوا في الأرض الفساد حيث تولّوا الكفار وأظهروا لهم أسرار المؤمنين وأغروهم بقتالهم.

ثم زعموا أن إفسادهم هذا إصلاح، بل زعموا أنهم وحدهم هم المصلحون، فجمعوا بين فعل الفساد واعتقاده حقا والدعوة إليه، ولذلك أكّد الله على أنهم هم المفسدون بأبلغ أسلوب وأوثق توكيد، فليس بعد فسادهم فساد، ولكن من حمقهم لا يستشعرون ولا يستحيون من الله.

قال الإمام ابن القيم: ((فنفى علمهم بسفههم وشعورَهم بفسادهم، وهذا أبلغ ما يكون من الذم والتجهيل: أن يكون الرجل مفسدا ولا شعور له بفساده ألبته، مع أن أثر فساده مشهور في الخارج مرئي لعباد الله، وهو لا يشعر به، وهذا يدل على استحكام الفساد في مداركه وطرق علمه، ...

فإذا كان بهذه المنزلة وهو لا يعلم بحاله كان من أشقى النوع الإنساني، ... ونفي الشعور عنه بالفساد الواقع منه متضمن لفساد آلات إدراكه، فتضمنت الآيتان الإسجال عليهم بالجهل وفساد آلات الإدراك، بحيث يعتقدون الفساد صلاحا والشر خيرا))[٣٦٧]

[٣٦٧] – بدائع الفوائد" ١٥٤١/٤

✍ذم الفساد أهله على لسان مصلح الثقلين محمد –صلى الله عليه وسلم– :

أما إذا انتقلنا إلى السنة المطهرة فهي قرينة القران وهدفها الأسمى إصلاح البلاد والعباد

لذا: عباد الله حارب النبي الفساد والمفسدين وشنع عليه في غير ما موطن من سنته المطهرة تنوعت دلالات سنة النبي–صلى الله عليه وسلم–على ذم الفساد والتحذير منه ومن أهله، ومن ذلك: عن أبي هريرة: عن النبي – صلى الله عليه وسلم –بمثله نحو حديث الثوري

عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ (٣٦٨)

قال ابن رجب الحنبلي: ((فهذا مثل عظيم جدا، ضربه النبي –صلى الله عليه وسلم –لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذا الغنم))

و لقد بين لنا الحبيب — صلى الله عليه و سلم ان مدار سعادة المرء في الدنيا و الآخرة مبناها على صلاح القلب عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – :قال سمعتُ رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيهِ : « ألا وإنَّ في الجسد مضغة ، إذا صلَحتْ صلَحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّه ، ألا وَهِي القلبُ». أخرجه البخاري ومسلم

فعلم عباد الله: أن فساد أعمال الجوارح تابع لفساد القلب، وفساده باستيلاء الهوى والشهوة أو الشك والشبهة عليه، وبحسب فساده تفسد الأعمال وتنبعث الجوارح للفساد؛ لأن القلب ملك

---

[٣٦٨] – وأخرجه عبد الله بن المبارك في"الزهد" "١٨١" زيادات نعيم بن حماد، ومن طريقه أحمد ٤٦٠/٣، والترمذي "٢٣٧٦" في الزهد: باب رقم "٤٣"، والطبراني في " الكبير" ١٩/"١٨٩"، والبغوي "٤٠٤٥" وصححه الألباني في " صحيح الجامع " (٥٦٢٠) .

الأعضاء، وبفساد الملك تفسد الرعية. فمعنى الحديث أن فساد الظاهر أو صلاحه تابع لفساد الباطن أو صلاحه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول)) "[٣٦٩]

وقال ابن القيم: ((أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب؛ فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان)) [٣٧٠]

و ها هو المعصوم – صلى الله عليه وسلم–يبن لنا أهمية صلاح النيات و أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَعْلَاهُ فَسَدَ أَسْفَلُهُ" [٣٧١]

و علموا عباد الله ان الله تعالى لما شرع الجهاد في سبيله لم يشرعه للفساد و التدمير و إنما شرعه ليكون أداة إصلاح لما أفسدته الطبائع البشرية فاذا تخطى الجهاد الغاية التي من أجلها شرع كان إفسادا و فسادا عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَنِ ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ».[٣٧٢]

✍العنصر الرابع: صفات المفسدين في القران الكريم: لقد عدد القران الكريم صفات المفسدين في الأرض وحذر منها لأن فيها إفسادا للأرض بعد صلاحها نذكر منها

أيها الآباء وأيها الإخوة والأعزاء في هذا اللقاء طرفا منها

✍الصفة الأولى: سفك الدماء :

---

[٣٦٩] – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٣٥٧/٢ .

[٣٧٠] – الداء والدواء" لابن القيم ص ٤٩٥.

[٣٧١] – صحيح ابن حبان – محققا (٢/ ٥١) وأخرجه ابن ماجة "٤١٩٩"

[٣٧٢] – أخرجه أبو داود (٢٥١٥) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (١٧٦) ، وفي "الشاميين" (١١٥٩) ، والحاكم ٨٥/٢، والبيهقي ١٦٨/٩ صَحِيح الْجَامِع: ٤١٧٤ ، الصَّحِيحَة: ١٩٩٠

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٣٠]

و سفك الدماء و الاستهتار بأرواح الأبرياء صفة من صفات الفراعنة الذين اكثروا في الأرض فسادا {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص: ٤، ٥]

و سفك الدماء صفة من صفات اليهود قتلت الأنبياء و الأبرياء قال رب الأرض و السماء {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [المائدة: ٦٤]

الصفة الثانية: الاعتداء على المال العام:

فتلك من صفات المفسدين يعتدون على المال العام إما بالسرقة أو النهب أو التزوير أو المحاباة و كلها من صور الفساد التي تضر العباد و البلاد {قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} [يوسف: ٧١ – ٧٣]

الصفة الثالثة: ترويع الآمنين وزعزعت أمن البلاد والعباد:

و من أخطر تلك الصفات التي عمت و طمت ترويع الآمنين و زعزعت امن العباد و البلاد {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٩]

لذا شرع الله تعالى محابة هؤلاء المفسدين فقال رب العالمين: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المائدة: ٣٣، ٣٤]

فحرّم المصطفى– صلى الله عليه وسلم–تخويف المسلم وترويعه، ونهى عن إدخال الرعب عليه بأي وسيلة، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسيرون مرة مع النبي في سفر، فاستراحوا ونام رجل منهم، فقام بعضهم إلى حبل معه فأخذه، وأمَرَّهُ على جسد أخيه النائم ففزع، فعن عبدِ الرحمن بن أبي ليلى حدَّثنا أصحابُ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – أنهم كانوا يسيرونَ مع النبيِّ – صلى الله عليه وسلم –، فنامَ رجُلٌ منهم، فانطلقَ بعضُهُم إلى حَبْلٍ معه فأخذه، ففزعَ، فقال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا يَحِلُّ لمسلم أن يُرَوِّعَ مُسْلِماً" [٣٧٣]

ونَهى عن الإشارة بالسلاح فعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» [٣٧٤]

فهذا تحذير من الإشارة بأي آلة مؤذية قد تؤدي الإشارة بها إلى القتل، كالسكين والآلات الأخرى الحادة، حتى لو كانت الإشارة مجرّد مزاح، وفي هذا تأكيد على حرمة المسلم،

✍الصفة الرابعة: قطيعة الأرحام:

و من الفساد الاجتماعي الذي يذر المجتمع ممزقا متحاسدا متباغضا قطيعة الأرحام التي أمر رب الأنام بصلتها قال الله تعالى و هو يصف المفسدين {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [البقرة: ٢٧]

---

[٣٧٣] – سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ٣٥٢)"مسند الشهاب" (٨٧٨)، والبيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٤٩، وفي "الآداب" (٤١١)

[٣٧٤] – أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآدب –باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم–٤/ ٢٠٢٠ رقم (١٢٥)

فالقطيعة سبب الخسران في الدنيا و الآخرة ،و هي أيضا سبب اللعن و الطرد من رحمة الله و دخول جهنم و العياذ بالله قال تعالى { وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [الرعد: ٢٥]

الصفة الخامسة: الغدر والخيانة

ومن أخس صفاتهم عباد الله: أنهم أهل غدر و خيانة يتلونون كما تتلون الحرباء و يلبسون للناس جلود الضأن و قلوبهم قلوب ذئاب فكم جر هؤلاء على الأمة من الويلات و النزاعات من أجل نزواتهم قال الله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٧]

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

الصفة السادسة: الصد عن سبيل الله:

ومن صفات المفسدين انهم لا يسعون للخير ولا يأمرون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر و إنما دابهم الصد و محابة الفضيلة و نشر الرذيلة قال الله تعالى {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ٨٦]

إلا أن هؤلاء المفسدين لا يتبعون غير هذا السبيل، ولا يحرصون إلا عليه، وما أقبح فعلهم الذي فاق كل مخالفة: {وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٢١٧].

ولئن اختلف أهل الباطل فيما بينهم إلا أنهم تتوحد هممهم على المؤمنين في هذا المضمار، ويتجمع شتاتهم عليهم؛ صدًا لهم عن سبيل الله الذي أمرهم بلزومه، فها هم أهل الكتاب من يهود ونصارى على اختلاف بينهم يتفقون على بغض أهل الإيمان إلا أن يدخلوا في دينهم: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} [البقرة:١٢٠]، وهم يريدون أن يحرفوا المؤمنين عن عقيدتهم –لا سيما الداخلين حديثًا في دين الله الراغبين فيما عنده سبحانه –فيقول فيهم الله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [آل عمران:٩٩].

وللمرء أن يعجب كيف يصرون على هذا الصد وهم يعلمون الحق واضحًا جليًا –لا سيما كبراؤهم–: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة:١٤٦].

و من صور الصد عن سبيل الله –الإعراض عن أحكام الشرع، والاعتراض عليها، والتشكيك فيها، أو السعي لعلْمنتها، وتحريفها عن معانيها.

إذا دُعُوا إلى التحاكُم إلى الكتاب والسُّنة والتسليم لها، والانقياد إليها، فروا وصدُّوا {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [النساء: ٦١]

وإذا كان لهم مصلحة في الأخْذ بالكتاب والسُّنة، رأيتَ المواعظ الثعالبية، والاستشهاد بالآيات القرآنية؛ {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ } [النور: ٤٨، ٤٩]

هؤلاء الذين لم يدخلوا في السِّلْم كافَّة، ولم يستسلموا لأحكام الله عامَّة، يصدُّون عن السبيل!!! متى؟

ترى الواحد من هؤلاء لا يُعرَف بالعلم، وليس هو من أهْل الاختصاص فيه، والتضلُّع في فنونه، ومع ذلك يقتحمُ مَيدان الشرع بلا علم، ويجعل لنفسه حقَّ الاجتهاد، والنظر في المسائل الشرعيَّة، ثم يُردِّد على المعترضين بمواعظ، من أمثال: لا رهبانيَّة في الإسلام، وليس الدين حِكرًا على أحد، وهم رجال ونحن رجال.

يبحثون في التراث عن القول الشاذ؛ لحاجة في صدورهم، فإذا وجدوه أبرزوه وأظهروه، ورفعوا من شأنه، وأقنعوا بعدها الآخرين أنَّ منطلقاتهم شرعيَّة، وأنَّهم لا يخالفون الكتاب والسُّنة، وأنَّ لهم سلفًا في قولهم؛ فيغتر بهم بعد ذلك مَن يغتر، ويُترَك القولُ الصحيح، ويقلُّ العمل به، وهل هذا إلا صدٌّ عن سبيل الله؟!

الصفة السابعة: تشويه صورة الحقِّ وأهله:

هذا الفِعْل له ما بعده من الأفعال؛ من جُرأة السفهاء، وتسافُل الجُهلاء على أهل العلم، ودُعاة الحقِّ، وإحداث البلابل داخل المجتمع بعد ذلك.

وهذا أسلوب عرفناه من قُدماء المنافقين، لقد حضَر المنافقون مشاهدَ الجهاد، ولكن لم يكنْ حضورُهم لرفْعِ راية الدِّين؛ وإنَّما لزعزعة صفوف المؤمنين، وخَلخلتها من داخلها؛ قال – سبحانه – عن المنافقين: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

ونحن اليومَ نرى بعض مَرْضَى القلوب يحضرون مجالس العلم، أو يتسمعون ندواتهم، لا للاستفادة منها، أو نشْر الخير الذي فيها؛ وإنَّما لتصيُّد كلمة حمَّالة، أو بَتْر عبارة من سياقها؛ ليُزَاد عليها

بعد ذلك، ثم تُبَث وتُنْشَر على أنَّها من قول هذا العالم أو الداعية؛ كل ذلك لتشويه صورته وتجهيله وتقزيمه.

ويزداد الأمر سفالةً حين يستخدم هؤلاء أسلوب التحريض، ولغة الوشاية ضدَّ أهْل العلم والاحتساب.

لقد عرفنا قديمًا غمزاتِ المنافقين ولمزاتهم ضدَّ أهل العلم من الصحابة، حين قالوا: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء.

وها نحن اليوم نرى صوت النفاق يسلق بحدِّةٍ أهْلَ العلم، ويصفهم بالتشدُّد والرجعيَّة، والتَّزمُّت والظلاميَّة.

إن الغمزَ واللمز في العلماء ليس طعنًا في ذواتهم، بل هو طعْنٌ للعلم الذي أخذوه وورثوه من نبيِّهم – صلى الله عليه وسلم.

فتشويه صورتهم، وإسقاط كلمتهم، إنَّما هو في الحقيقة إسقاط للحقِّ الذي معهم ويقولون به.

تحذير الأجيال من خطورة الإهمال

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع فيّ خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيما مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

أمة الحبيب الأعظم ماذا أقول و الفواجع مؤلمة والمصائب جمة؟

ماذا يخط بناني ؟

و ماذا يقول لساني ؟

في أقل من ثلاثة أيام مُني الشعب المصري بعدة حوادث الحادث الأول حادث سوهاج حيث ماتت فتيات في سن الظهور في حادث سير مؤلم و لم تمض عليه إلا ساعات و حدث حادث البحيرة المُريع الذي يدمي القلوب و يدمع العيون أبناء و بنات كانوا عماد ظهور آبائهم و أمهاتهم كانوا قرة اعيين لهم

كان الآباء و الأمهات و الأبناء و البنات يؤملون مستقبل مليء بالنجاح و الأفراح و لكن:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فإن قلت ما هو سبب تلك الفواجع و ما هو سبب تلك الحوادث؟

الجواب في كلمة واحدة

إنه: الإهمال الذي أصبح سجية عند كثير من أبناء ذلك المجتمع

إهمال في الأسرة

إهمال في المدرسة

إهمال في الطرق والمواصلات

إهمال الراعي لرعيته

تُرى ما هو ذلك العدو اللدود الذي يسمى بالإهمال؟

وما هي صوره ؟

وما هي عقوبة المهمل في الشرع ؟

هذا ما سنحاول بيانه بحول الله تعالى وطوله

أمة الإسلام:

١-تعريف : الإِهْمَال: التَّرْكُ عَنْ عَمْدٍ أَوْ نِسْيَانٍ، وَيُقَال: أَهْمَلَهُ إِهْمَالاً إِذَا خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَيَأْتِي عِنْدَ الْفُقَهَاءِ بِمَعْنَى التَّرْكِ

الإهمال هو نوع من الضرر أو الجرم، جنائياً كان أم مدنياً، يستحق عقوبة جزائية. والإهمال يستشري في الدول المتخلفة لغياب الوازع أو الرادع.

و هو أيضا سلوك سلبي ناشئ عن إخلال الجاني بواجبات الحيطة و الحذر التي تفرضها قواعد الدين و القانون او الخبرة الإنسانية

٢- صور الإهمال و خطورتها :

١- الإهمال الأسري: فكم و كم نرى من أباء و أمهات يهملون أبناءهم و يتركونهم للأفلام و المسلسلات و للمواقع الهابطة التي تربي في نفسة الأبناء الأخلاق المذمومة و تحبب اليهم الجرائم و الفواحش و ربما تجره إلى الإلحاد و المخدرات فكم من أبناء حادوا عن الصراط المستقيم و لنتأمل أضرار الإهمال الأسري :

١-انتشار الفواحش والأمراض الأخلاقية في المجتمع

فكل آفة يراها الناس في طريق المسلمين، وكل خلق سيئ انتشر في بلادهم، وكل مرض أخلاقي أصاب شبابهم، سببه الأول هم الآباء الذين أهملوا تربية أبنائهم وبناتهم، وقصروا في صيانتهم وحفظهم عن الشرور والأخلاق الذميمة

٢-ظهور العقوق والتفكك الأسري

ومن الأمراض المنتشرة ظهور عقوق الوالدين وتفكك الأسر ، وهذا من أظهر آثار إهمال تربية الأولاد، وقد قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على أبنه حقا فللابن على أبيه حق، فكما قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً) (العنكبوت:٨) قال تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم:٦) .

قال ابن القيم معلقا على قوله:« فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ... فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا»

٣-انحطاط الأمة الإسلامية وذلها لأعداء الدين

وما أصاب المسلمين في العصور المتأخرة من ذل وصغار أما المشركين والكفار، إلا لأنهم ابتعدوا عن تعاليم دينهم عن عقائده الصحيحة وأخلاقه القويمة، ولأن التمكين في الأرض منحة ربانية يهبها الله تعالى لمن يشاء وينتزعها ممن يشاء، حسب الأسباب المقتضية لها، فأعز الله تعالى المسلمين لما كانوا قائمين على الإسلام، فلما تخلوا عنه تخلى الله عنهم وعاقبهم ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد:١١)، وإذا أردنا أن نُرجع إلى هذا الدين عزته وكرامته

فما علينا إلى أن نرجع إلى ديننا وأن نربي الأجيال الناشئة عليه ، وقد قال مالك بن أنس : " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".[٣٧٥]

٤-ظهور أخطاء تربوية شنيعة

ومما يجعل المسلم يدرك أهمية التربية أن يعلم أن المسلمين -وقد يكون هو واحدا منهم- واقعون في أخطاء تربوية كثيرة، لا تعلم ولا تدرك إلا بتعلم المنهج التربوي النبوي ، ومن هذه الأخطاء: الإفراط في استعمال التخويف الذي يربي الأولاد على الجبن والضعف ، وإهمال التعليم واللجوء إلى أساليب العقاب التي نهي عنها شرعا، والتربية على الميوعة والليونة، وعدم مجالسة الأولاد، وعدم العدل بين الأولاد في العطية، وإظهار التسخط بالبنات ، وتسمية الأولاد بالأسماء السيئة وتلقيبهم بالألقاب الشنيعة أو الرخوة، والتدخين والتلفظ بالكلام غير اللائق أمامهم، وعدم مراقبة ما يشاهدونه من برامج تلفزيونية، والتساهل في سماع الغناء، والتساهل في أمر اللباس المخالف للشرع ، والدعاء على الأولاد بالشر وغيرها كثير مما سيأتي بيانه في هذه السلسلة.

كيد أعداء الأمة في هذا الميدان:

ومما يبين لنا أهمية التربية أن أعداء الإسلام والمسلمين من يهود ونصارى وغيرهم، قد اعتمدوا منذ القديم أسلحة كثيرة في حربهم ضد المسلمين، والسلاح الذي لم يتخلوا عنه ولم يتركوه حتى في أيام السلم هو سلاح إفساد العقائد ومسخ الأخلاق، لذلك فهم يسعون جاهدين لنشر الأفكار الهدامة من العقائد الضالة والرذائل وإبعاد المسلمين عن دينهم ، وذلك عبر أربع نقط أساسية ضمن خطة متكاملة:

١-نشر الفساد عبر وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية.

٢-إفساد الأنظمة التعليمة وعرقلتها، ونشر البرامج التعليمية المعمِّقة للجهل والمبعدة للنشء عن حقائق الدين وعن الأخلاق الفاضلة.

---

[٣٧٥] - تنقيح التحقيق - العلمية (٢/ ٤٢٣)

٣-إفساد الروابط الأسرية وضرب استقرار البيوت بطرق أهمها إخراج المرأة من بيتها وإغرائها بمظاهر المدنية والحضارة الزائفة باسم حقوق المرأة والحرية والمساواة مع الرجل.

٤-وأخيرا الاجتهاد في إبعاد المسلمين عن التربية الدينية، والسعي إلى تحجيم دور المؤسسات الدينية وتطويقها حتى لا تؤدي دورها في هذا المجال.

٣- الإهمال و الطرق و المواصلات و من أخطر صور الإهمال التي توجهنا في كل ساعة من الساعات الإهمال في الطرق و المواصلات و اذا أردت أن تقف على خطورة ذلك فاسمع عدد الحواد و الضحايا التي تحدث في المواصلات

* تحتل مصر المرتبة الأولى عالميًا حوادث الطرق، بحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية، ويبلغ عدد الوفيات الناجمة عنها ١٢ ألفًا، فيما بلغ عدد المصابين ٤٠ ألفًا في نهاية عام ٢٠١٢.

ويتراوح المعدل العالمي لقتلى حوادث الطرق لكل ١٠ آلاف مركبة، ما بين ١٠ و١٢، لكنه يصل في مصر إلى ٢٥، أي ضعف المعدل العالمي، وأيضا يبلغ عدد قتلي حوادث الطرق لكل ١٠٠ كم في مصر ١٣١ قتيلاِ، في أن حين أن المعدل العالمي يتراوح ما بين ٤ و٢٠ قتيلًا، أي أن المعدل في مصر يزيد على ٣٠ ضعف المعدل العالمي، وأيضا فإن مؤشر قسوة الحادث يوضح أن مصر يحدث بها ٢٢ قتيلًا لكل ١٠٠ مصاب، في حين أن المعدل العالمي ٣ قتلي لكل ١٠٠ مصاب.

صور الإهمال في المواصلات

كسر إشارة المرور: ومن الإهمال تعدي إشارة المرور كسرها و هذا قد يسبب في إرباك حرك المرور و يؤدي إلى مالا يحمد عقباه و هو عبارة عن استهتار بالأرواح و تعدي للقوانين التي وضعها ولي الأمر فهو فعل محرم شرعا

« إن المتخطي والمستخف بإشارة المرور آثم ، والمتجاوز لها عاص ويتحمل وزراً»، ودعا المفتي الناس لترويض أنفسهم على الأدب واحترام إشارات المرور وعدم العبث بها ، حتى لو كانت الشوارع خالية.

- السير عكس الاتجاه: ومن الأخطاء و المخالفات التي يرتكبه بعض السائقين السير عكس الاتجاه و هذا من الأمور التي يعاقب عليها القانون بالغرامة و الحبس ففي القانون المصري : تنص المادة ٧٦ من قانون المرور الجديد بالحبس و الغرامة من ١٢٠٠ إلى ٣٠٠٠ جنية

- عدم الالتزام بالسرعة المحددة: من الإهمال التي تجلب المصائب و تزهق النفوس عدم التزام السائق بالسرعة المحددة له و إنك ترى طيش كثير من السائقين حيث إنهم يسيرون بسرعة جنونية و يخالفون بذلك القوانين المرورية التي تحدد السرعة للسائقين وليس تحديد السرعة أمر اعتباطيا و إنما هو أمر جد خطير فالسائق الذي يقود السيارة يحمل معه أرواحا واجب عليه أن يحافظ عليها و هي أمانة بين يديه و هو مسؤول عنها أمام الله تعالى – كذلك هناك أرواح تسير على الأرض ،و تعال لنرى إحصائيات حوادث المرور لنعلم أن كل ذلك بسبب الخروج عن القوانين التي سنها ولي

- و من صور الإهمال العفو عن أخطاء المستهترين بالأرواح مما يجعله يستهين و يهمل لانه يعلم انه لا عقاب فمن امن العقاب أساء الأدب

- ومن صور الإهمال عدم الحزم مع كثير من السائقين الذين يتعاطون المخدرات و المنشطات فحسب الدراسات التي أجراها مركز بحثي، علي عينه عشوائية على عدد ٢٠٠٠ سائق يحملون رخص قيادة، وجاءت النتيجة أن ٩٠ ٪ منهم يتعاطون المخدرات أثناء قيادة السيارات.

فماذا تكون النتيجة؟

حوادث مفزعة وإزهاق لأرواح الأبرياء وإضاعة للأموال

٤-إهمال ولي الأمر ومن دونه للرعية و عدم الإحساس بالمسؤولية أمام الله تعالى

عباد الله، إن من كمال هذه الشريعة اهتمامها بجميع شؤون الحياة التي تتعلق بالإنسان، ولهذا أمرت كل فرد القيام بمسئوليته على قدر موقعه ومكانته، في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ

عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". [٣٧٦]

أيُّها المسلم، في هذا الحديث يبين صلى الله عليه وسلم كثيرا من أصناف المسئولين عن رعاية المجتمع المسلم:

فيبدأ بالإمام، والإمام كل من يقتدى به، وكل مسئول قل مسئوليته أو كثرة، ولاشك أن الإمام العام هو أولى بتلك المسئولية لكمال مكانته وعلو شأنه.

فالإمام العام وهو المسئول عن الأمة، ومسئول عن رعيته عن شؤون رعيته، فيسوسهم سياسة حكيمة في شؤونهم وأمورهم سياسة تفرض من الصلاح قدر الاستطاعة.

ومن حق الرعية عليه: حل مشاكلهم، وما يواجهونه وما يعانونه من مشكل حل هذه المشكل بقدر الاستطاعة والإمكان.

ومن حقهم عليه: تأمين حاجاتهم كلها، حاجة حياتهم والسعي في تحقيها وتسهيل المهمة قدر ما استطاع.

ومن حقهم عليه: أن يسوسهم بالعدل في المعاملة والرعاية، ولا يفرق بينهم بغير سبب شرعي، فإن العدل سبب لصلاح المجتمع، والعدل سبب لصلاح الأمة وانتظام الدولة وشؤونها، وبالعدل تآلف القلوب وتجتمع الكلمة ويقل الشر والفساد.

و الذي يتأمل حال كثير من مؤسسات الدولة يجد أن الإهمال ضارب بجذوره متغلغل فيها فاين ولاة الأمر من تقصير الموظفين

أيها المسئول في جميع دوائر الدولة، كل مسئول، الوزير مسئول في وزارته، والمدير في إداراته، وكل مسئول عن مهمته

---

[٣٧٦] – أخرجه مالك في"الموطأ" (٩٩٢) (رواية محمد بن الحسن) ، ومن طريق مالك أخرجه البخاري في"صحيحه" (٧١٣٨) ، وفي"الأدب المفرد" (٢٠٦) ، وأبو داود (٢٩٢٨)

عنِ الْحَسَنِ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً ، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ ، إِلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ .[٣٧٧]

قصص عن تحمل المسؤولية و عدم إهمال الراعي لها :

الرقابة الذاتية على نفسه ومحاسبتها : وعن داود بن علي قال: قال عمر رضي الله عنه "لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة، لظننت أن اللّه عز وجل سائلي عنها يوم القيامة.

وعن عبد اللّه بن عمر قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب اللّه به عمر.

وعن علي رضي الله عنه قال: "رأيت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: "يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: "بعير نَدَّ من إبل الصدقة أطلبه" فقلت: "لقد أذللت الخلفاء بعدك، فقال: "يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أخذت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة" [٣٧٨]

وقد كان الخليفة العباسي المأمون يُخَصِّصُ يوم الأحد من كل أسبوع للنظر في المظالم، وفي يوم من أيام جلوسه جاءته امرأة في ثياب رثّة "فقالت:

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرَّشَدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ

تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْمُلْكِ أَرَمَلَةٌ عَدَا عَلَيْهَا فَمَا تَقْوَى بِهِ أَسَدُ

فَابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بَعْدَ مَنْعَتِهَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فأطرق المأمون يسيرًا ثمَّ رفع رأسه وقال:

مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عِيلَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ وَأَقْرَحَ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنُ وَالْكَمَدُ

---

[٣٧٧] – –أخرجه البخاري (٩/ ٦٤) رقم ٧١٥٠؛ ٧١٥١ ومسلم ٢٢٧/٢٢٨؛ ٢٢٩ (١٤٢)

[٣٧٨] – ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ١٦١.

هَـذَا أَوَانُ صَـلاَةِ الظُّهْرِ فَانْصَرِفِـي وَأَحْضِرِي الْـخَصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُ

الْـمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَ الْجُلُوسُ لَنَا أُنْصِفْكِ مِنْهُ وَإِلاَّ الْـمَجْلِسُ الأَحَـدُ

فانصرفت وحضرت يوم الأحد في أوَّل النَّاس، فقال لها المأمون: من خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك العبَّاس بن أمير المؤمنين (ابنه)، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم: أجلسها معه وانظر بينهما. فأجلسها معه، ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامها يعلو، فزجرها بعض حجَّابه، فقال له المأمون: دعها فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرسه. وأمر بردِّ ضياعها عليها. ففعل المأمون في النَّظر بينهما حيث كان بمشهده، ولم يباشره بنفسه لما اقتضته السِّياسة؛ من وجهين: أحدهما: أنَّ حكمه ربَّما توجَّه لولده، وربَّما كان عليه، وهو لا يجوز أن يحكم لولده، وإن جاز أن يحكم عليه. والثَّاني: أنَّ الخصم امرأةٌ يجلُّ المأمون عن محاورتها... وباشر المأمون تنفيذ الحكم وإلزام الحقِّ.[٣٧٩]

٥- الإهمال في أخذ العدة: حيث ان اخذ العدة فرض على اللامة : والإهمال في أخذ العدة، سواء أكانت عدة معنوية بقوة القلوب وشدتها، أم كانت عدة مادية بالاستعداد لمقاومة الأعداء، وهذه لا يمكن أن يتقنها ويجيدها إلا الناس الذين اشتغلوا بمعالي الأمور، وأعرضوا عن السفاسف، أما صرعى الشهوات فليسوا أهلاً لذلك، بل إن مجرد الكلام عن الحرب يخيفهم، مجرد إخراج إعلان أو تحذير عن الحرب تجده يخيفهم ويرعبهم، فضلاً عن الخوض في المعركة، هذا مع أننا حين نقول العذاب لا نعني العذاب عن طريق حرب من عدونا لا، { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } [المدثر: ٣١].

٦- الإهمال في المستشفيات و إهمال الأطباء فكم و كم سمعنا عن صور مبكية من الإهمال في كثير من المستشفيات فكم من مريض مات و لم يلتفت إليه صبيب الرحمة و كم امن مصاب يظل الليل البهيم يان و يتالم من المرض ولا مسعف له ، وما قصة المراة التي ولدت خارج المستشفى منا ببعيد

فبعض الأطباء لا يخافون الله، وفي الحالات الخطرة تجد إهمالاً وتسيباً من بعضهم، وقد يموت المريض نتيجة إهمال الطبيب فيكون الطبيب عليه كفارة قتل الخطأ، وبعضهم قد يصرف دواء لا

---

[٣٧٩] – الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٤٦، ١٤٧.

يتقي الله فلا يتدبر ولا يفكر ولا يتأكد فيصرف هكذا وقد يكون هذا الدواء أو هذه الإبرة سبباً في موت المريض وعند ذلك يجب عليه التوبة إلى الله توبة عظيمة لأنه تسبب في قتل وعليه كفارة القتل .

التحذير من الكسل والحث على البناء والتعمير

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني

لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فأنت رجائي شافعي ويقيني

ولست أرى لي حجة أبتغي بها رضاك إن العفو منك يقيني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وشفع فيّ خير الخلائق طرا نبيا لم يزل أبدا حبيبا

هو الهادي المشفع في البرايا وكان له رحيما مستجيبا

عليه من المهيمن كل وقت صلاة تملأ الأكوان طيبا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:..... أمة الإسلام: حديثنا في هذا اليوم الطيب الأغر الميمون عن قضة من اخطر القضايا التي تجتاح المجتمع و تسود في كثير من مناحي الحياة إنها العقبة الكؤود التي ينبغي على أبناء الأمة أن يجتازوها إنها عقبة الخمود و الكسل فيا أبناء الأمة:

إن المكارم لا تحصل بالمنى لكن لها بالتضحيات سبيلا

فلكم سما للمجد من أجدادنا بطل أقام على السمو دليلا

فسل المعالي عن شجاعة خالد وسل المعارك هل رأته ذليلا

وسل الحضارة إن رأيت بهائها عمن أنار لهديها القنديلا

وسل المكارم والمعالي هل رأت من بعدهم في ذا الزمان مثيلا

هذى المكارم عندهم كبداية لسلوك درب ما يزال طويلا

في الأرض مجدهم ولكن قلبهم لجنة الفردوس رام رحيلا

وخذ المكارم لا تخف أعبائها عبء المكارم لا يكون ثقيلا

فهيا هيا لنتعرف على [التحذير عن الكسل والحث على البناء والتعمير].

فما هو الكسل وما هي آثاره و أضراره وما هي أسبابه وما هو علاجه.

أعيروني القلوب والأسماع.

✍العنصر الأول: تعريف الكسل: الكسل في الشرع: هو التغافل عن كل واجب فرضه الله تبارك وتعالى على الإنسان. كالكسل عن أداء الفرائض، كالصلوات الخمس أو الصوم أو الجهاد، وكالكسل عن كل عمل نافع يضمن للإنسان حياة كريمة ويعفه ويصونه عن المسألة.

✍العنصر الثاني: التحذير من الكسل والفتور: أحباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الكسل ذمه الله تعالى في كتابه وهو من أوضح العلامات الدالة على النفاق فما ذكر التقاعس والتكاسل إلا و قرن بهؤلاء المنافقين فالمنافقون لا يدفعون و لا ينفعون لا يمعرون الديار و لا يحمون الزمار قال العزيز الجبار: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧١ – ٧٣]

وها هم يتكاسلون عن الفرائض و الواجبات حتى و إن قاموا بها تراهم لا يقومون إلا و هم كسالى وقال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، أي: متثاقلين لا رغبة تبعثهم ولا نشاط؛ لأنهم لعدم إيمانهم لا يرجون فيها ثوابا في الآخرة، ولا يبتغون بها تربية ملكة مراقبة الله تعالى وحبه والأنس بذكره ومناجاته لتنتهي نفوسهم بذلك عن الفحشاء والمنكر، وتكون أهلا لرضوان الله الأكبر، كما هو شأن المؤمنين الصادقين، وإنما هي عندهم كلفة مستثقلة، فإذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوها، وإذا كانوا معهم سايروهم بالقيام إليها يراءون الناس بها، أي: يبتغون بذلك أن يراهم الناس المؤمنون فيعدوهم منهم، فالكسل: التثاقل عما ينبغي النشاط فيه.[٣٨٠]

---

[٣٨٠] – تفسير المنار (٥/ ٣٨٢)

المتكاسلون عباد الله يضنون بالأموال ولا ينفقون على الفقراء ولا المحتاجين إلا وهم كارهون كذا وصفهم رب العالمين في سورة الفاضحة الله تعالى في سورة﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٣، ٥٤]

والكسل: هو التراخي في أداء المهمة. إذن فهم يصلون رياءً، فإن كانوا مع المؤمنين ونُودي للصلاة قاموا متثاقلين. وإن كانوا حيث لا يراهم المؤمنون فهم لا يؤدون الصلاة. إذن فسلكوهم مليء بالازدواج والتناقض.

والسبب الثالث: ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤] والنفقة هي بذل ما عندك من فضل ما أعطاه الله لك؛ سواء أكان ذلك مالاً أم علماً أم جاهاً.

أثر استحواذ الشيطان على نشاط الإنسان: أحباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الكسل دليل واضح على استحوذ الشيطان على الإنسان فتراهم يتكاسلون عن كل خير قد بال الشيطان في آذانهم وعقد على قافيتهم.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة. فإن توضأ انحلت عقدة. فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان".[٣٨١]

وقوله «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه وقال أبو العباس القرطبي نشيطا لما يرد عليه من العبادات لكونه ألفها طيب النفس لرجاء ثواب ما فعل وقوله خبيث النفس أي بشؤم تفريطه وتمام خديعة الشيطان له كسلان

---

[٣٨١] – أخرجه البخاري: كتاب التهجد بالليل، باب: عقد الشيطان في قافية الرأس، مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روى فيمن نام أجمع حتى الصبح (٧٧٤)،

أي متثاقل عن الخيرات وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات انتهى وهو قريب من المعنى الذي ذكره النووي لكنه أحسن بيانا وإيضاحا.

كونه يصبح خبيث النفس كسلان، هل يترتب على ترك كل واحدة من هذه الخصال التي هي الذكر والوضوء والصلاة فلا ينتفي عنه ذلك إلا بفعل الجميع أو يترتب على ترك المجموع حتى لو أتى ببعضه لا ينفي عنه خبث النفس والكسل قال النووي في شرح مسلم: ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهي الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان انتهى.

وقد يقال إذا جمع بين الأمور الثلاثة انتفى عنه خبث النفس والكسل انتفاء كاملا وإذا أتى ببعضها انتفى عنه بعض خبث النفس والكسل بقدر ما أتى به منها فليس عند من استيقظ فذكر الله من خبث النفس والكسل ما عند من لم يذكر الله أصلا.[٣٨٢]

فقد روى البخاري ومسلم عن بن مسعود قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل له: ما زال نائما حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة قال: "ذلك رجل بال الشيطان في أذنه" أو قال: "في أذنيه".[٣٨٣]

العنصر الثالث: صور من التكاسل المذموم. التواكل: مفهوم التواكل: هو اعتماد الإنسان على الغير دون عمل أو سبب للحصول على الكسب والمال.

من مظاهره: العجز – الكسل – الخمول: فهؤلاء ركنوا إلى الدعة و الكسل و نسوا هذه القاعدة: [من أراد السيادة فعليه بترك الوسادة].

قصة المتواكل: يحكى أن رجلاً متعبداً في قرية كان قدوة للجميع لمستوى تدينه، وكان كل أهل القرية يسألونه في أمور دينهم ويتخذونه نموذجاً يحتذى في الإيمان بالله، وذات يوم حل طوفان بالقرية أغرقها بالماء، ولم يستطع أحد النجاة إلا من كان معه قارب، فمر بعض أهل القرية على بيت المتعبد لينقذوه فقال لهم: "لا داعي، الله سينقذني... اذهبوا". ثم مر أناس آخرون وقال لهم

---

[٣٨٢] – طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٨٨)

[٣٨٣] – أخرجه أحمد (١/ ٤٢٧، رقم ٤٠٥٩)، والبخاري (٣/ ١١٩٣، رقم ٣٠٩٧)، ومسلم (١/ ٥٣٧، رقم ٧٧٤)،

نفس الكلام، ومرت آخر أسرة تحاول النجاة بنفس المتعبد وقالوا له: " اركب معنا نحن أخر من في القرية، فإن لم ترحل معنا ستغرق"، فأجابهم: "لا داعي، الله سينقذني... اذهبوا". وعندما انتهى الطوفان وتجمع أهل القرية وجدوا جثة المتعبد. فثار الجدل بين الناس، أين الله؟ لماذا لم ينقذ عبده؟.. وقرر البعض الارتداد عن الدين! حتى جاء شاب متعلم واعٍ وقال: "من قال لكم إن الله لم ينقذه؟... إن الله أنقذه ثلاث مرات عندما أرسل له ثلاث عائلات لمساعدته لكنه لم يرد أن ينجو!". إن الله لا يساعدنا بطرق إعجازية، إنما هو يجعل لكل شيء سبباً وعلى الإنسان الاجتهاد والأخذ بالأسباب كي ينال مساعدة الله.!".

ثانيا: التكاسل عن الفرائض و الواجبات وإهمال الجمع والجماعات.

و من صور التكاسل التي تقد العبد عن العمل الدنيوي و الأخروي أن يتكاسل عن أداء الصلاة التي هي اعظم أركان الإسلام بعد شهادة التوحيد وقال الباري سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

ثالثا: عدم الشعور بالمسؤولية:

ومن مظاهر الفتور و الكسل (عدم استشعار المسئولية الملقاة على عاتقه، والتساهل والتهاون بالأمانة التي حملَّه الله إياها، فلا تجد لديه الإحساس بعظم هذه الأمانة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢][الأحزاب: ٧٢]وقد تحدِّثه ساعة ويحدِّثك أخرى، فلا تجد أنَّ همَّ الدعوة يجري في عروقه، أو يؤرق جفونه ويقضَّ مضجعه. ومما يلحق بهذا الباب أنَّك تجد هذا الفاتر أصبح يعيش بلا هدف، أو غاية سامية، فهبطت اهتماماته، وسفلت غاياته، وذلت مطامحه ومآربه. وتبعًا لذلك فلا قضايا المسلمين تشغله، ولا مصائبهم تحزنه، ولا شئونهم تعنيه، وإن حدث شيء من ذلك فعاطفة سرعان ما تبرد وتخمد ثم تزول).

العنصر الرابع: آثار الخمول والكسل على الفرد والمجتمع.

أول الآثار التخلف عن ركب الأمم والحضارات:

يقول ابن القيم – رحمه الله – قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن الراحة لا تنال بالراحة وأن من آثر اللذات فاتته اللذات"[٣٨٤]

فأمة يكسل أبناؤها أمة لا تبني ولا تعمر بل تتراجع عن موكب التقدم والحضارة فأول ضريبة يدفعها المجتمع أن يصبحوا مسخا إمعه لا يدفعوا ولا ينفعوا.

لذا حثنا الله تعالى على العمل والجد والسعي فقال – سبحانه – وقد سوى الله تعالى بين العمل والسعي على التقدم والازدهار بالجهاد في سبيله فقال سبحانه- ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[المزمل: ٢٠]

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: "سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله"[٣٨٥]

وفي ذلك قال هلال بن العلاء الرفاء:

كأن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهراً

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكي فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا[٣٨٦]

ففقر الأمة وتأخرها: إذا اتصف أبناء أمة من الأمم بالكسل، فذلك سيكون سبب في تأخرها بين الأمم، لأن العمل والإنتاج هما عصب الحياة، فالأمة المنتجة القوية تسعى إلى السيطرة على غيرها من الأمم الضعيفة الفقيرة، لذلك لا سبيل إلى رفعة الأمة وقوتها إلا بالعمل والتخلي عن الكسل.

ثانيا: احتقار الناس للمتكاسلين: فالناس لا يعجبها أن ترى أناسا يتكاسلون عن الواجبات ويعتمدون على غيرهم في معاشهم لذا فان المتكاسل يسقط من أعين الناس.

---

[٣٨٤] – شفاء العليل (ص: ٢٥٠)

[٣٨٥] – تفسير القرطبي (١٩/ ٥٥)

[٣٨٦] – المستطرف (٢/ ١٢٧)

الكسول لا ينال شرف السيادة بين الناس، ولا في قومه، لأنه اكتفى بالكسل، ورضي أن يعيش عالة على غيره، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني[٣٨٧]

ثالثا: حرمان السيادة والريادة:

فما علم لكسلان ولا وسنان أنه ساد قومه أو نال درجة عالية بين أقرانه يقول ابن القيم – رحمه الله –: أن العقلاء قاطبة متفقون على استحسان أتعاب النفوس في تحصيل كمالاتها من العلم والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة وطلب محمدة من ينفعهم حمده وكل من كان اتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالا وأرفع قدرا وكذلك يستحسنون أتعاب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونه إلى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر.

دع المكارم لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وهذا التعب والكد يستلزم آلاما وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحملها ولا يعدونه عائبا بل هو العقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدو له هذا في مصالح المعاش فكيف بمصالح الحياة الأبدية الدائمة والنعيم المقيم كيف لا يكون الآمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل إلى الخير الدائم حكيما رحيما محسنا ناصحا لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا إلى ما في أمره ونهيه من المصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه)[٣٨٨]

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

رابعا عذاب النار في الآخرة: فالذين يركنون إلى الدعة و الكسل إنما يعيشون كالطفيليات على المجتمع الذي يعيشون فيه يسودون وجههم بالمسألة لذا يكون جزاؤهم من جنس عملهم عن ابن

---

[٣٨٧] – المجالسة وجواهر العلم (ص: ٦٤١)

[٣٨٨] – ا شفاء العليل (ص: ٢٢٥)

عمر رضي الله عنهما: أن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم)) [٣٨٩]

((المزعة)) بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: القطعة.

العنصر الخامس: علاج الكسل.

التعوذ بالله من الكسل: عن أبي سعيد الجدريّ رضي اللّه عنه قال: «دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالسا فيه»، فقال «يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت صلاة»، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول اللّه. فقال: «ألا أعلّمك كلاما إذا قلته أذهب اللّه عزّ وجلّ همّك وقضى دينك». فقال: بلى يا رسول اللّه. قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الهمّ و الحزن. و أعوذ بك من العجز والكسل. وأعوذ بك من البخل والجبن. وأعوذ بك من غلبة الدّين و قهر الرّجال». قال: فقلت ذلك فأذهب اللّه همّي و قضى عنّي ديني.]. [٣٩٠]

التبكير للعمل: من أسباب النشاط والإنجاز والبركة ان يبكر المسلم إلى أداء ما عليه من واجبات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بورك لأمتي في بكورها" [٣٩١]

الاستعانة بالله: الله سبحانه هو خير معين و خير من يلوذ به المسلم: لذا عباد الله لابد أن نتوكل ونستعين به فالمسلم يكرر في كل ركعة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا كان وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) [٣٩٢]

---

[٣٨٩] – متفق عليه

[٣٩٠] – إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٥٥٥)

[٣٩١]–(أخرجه أبو يعلى) ٥٤٠٩، (و الطيالسي) ٧٥٤، انظر صحيح الجامع: ٢٨٤١

[٣٩٢]–أخرجه: مسلم ٨/ ٥٦ (٢٦٦٤) (٣٤)

لبست ثوب الدجى والناسُ قد رقدوا وبتُ أشكو إلى مولاي ما أجد

فقلتُ يا أملي في كل نائبةٍ ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها مالي على حملها صبرٌ ولا جلد

وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً يا خير من مُدت إليه يد

فلا تردنّها يا رب خائبةً فبحر جودك يَروي كل من يرد

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم الكريم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

العنصر السادس: صور مشرقة من الجد والنشاط: أصحاب الهمة العالية هم الذين يقوون على البذل في سبيل المقصد الأعلى، و يبدلون أفكار العالم، ويغيرون مجرى الحياة بجهادهم وتضحياتهم، ومن ثَمَّ فهم القلة التي تنقذ الموقف، وهم الصفوة التي تباشر مهمة " الانتشال السريع " من وحل الوهن، ووهدة الإحباط.

زاحم بكتفيك وساعديك قوافل العظماء المجددين من السلف والخلف، ولا تؤجل فإن مرور الزمن ليس من صالحك، وإن الطغيان كلما طال أمده، كلما تأصَّلت في نفوس المتميعين معاني الاستخذاء، ولابد من مبادرة تنتشل، ما دام في الذين جرفهم التيار بقية عرق ينبض، وبذرة فطرة كامنة.

هذا زمان لا توسُّط عنده يبغي المغامر عالياً وجليلا

كن سابقاً فيه أو ابق بمعزلٍ ليس التوسط للنبوغ سبيلا[٣٩٣]

إن أمتك المسلمة تترقب منك جذبة " عُمَرِيَّة " توقد في قلبها مصباح الهمة في ديجور هذه الغفلة المدلهمة، وتنتظر منك صيحة " أيوبية " تغرس بذرة الأمل، في بيداء اليأس، وعلى قدر المئونة؛ تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجز. المصدر: المفكرة الدعوية.

و ها هي نماذج في البناء و العمير و البذل و العطاء بتلك النماذج تتفوق الأمم و تسموا الشعوب و تتوقد العزائم.

١- داود عليه السلام: لما أعطى الله داود عليه السلام إلانة الحديد، فيم استخدمها ذلك النبي الكريم؟ لقد استخدمها في صناعة الدروع، وملابس الحرب، والعتاد العسكري؛ ليجاهد في سبيل الله عز وجل.

٢- سيلمان عليه السلام: وقد أعطى الله سيلمان عليه السلام نعماً كثيرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[النمل: ١٦]

ولذلك فها هو يستخدم الهدهد في طاعة الله، وفي إرسال كتب الإنذار والإعذار إلى الكفار؛ لدعوتهم إلى دين الله، وتهديدهم إذا هم مالوا وحادوا عن شرع الله.. وها هو يستخدم جنوده من الجن، والإنس، والطير في تهديد الكفار، وإرغامهم وحملهم على إتباع الدين، وها هو يستخدم العفاريت في جلب ما إذا رآه الكفار أسلموا، واستخدم الجن في بناء الصرح الممرد من قوارير، الذي بهر عين ملكة الكفار؛ فأسلمت لما علمت أن ملكها لا يساوي شيئاً بجانب ملك سليمان المؤيد من عند الله عز وجل.

وإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن. وقال سبحانه ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٦ – ٣٨] من الجن الذين عصوا سليمان.

---

[٣٩٣] – ديوان أحمد شوقي (ص: ٦٦٥)

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢]. أنعم الله عليه بها، ففي أي شيء استخدمها؟ في السفر عليها لطاعة الله، في سبيل الله سبحانه.

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢]. النحاس المذاب يصنع فيها ما يشاء مما فيه فائدة للدين والبلاد والعباد.

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ [سبأ: ١٢]. سخرهم الله لسليمان.. ماذا يعملون له؟ المحاريب: المساجد، والأبنية. والجفان التي كالجواب، وهي: الأحواض العظيمة التي يجبى إليها الناس. والقدور الراسيات لعظمها ترسو من ثقلها لينتفع مما فيها المسلمون.

وكذلك كان عند الأفراد المسلمين طاقات فردية قدموها لنصرة الدين، وإعلاء كلمة الله:

١- زيد بن ثابت رضي الله عنه: عن خارجة بن زيد، أن أباه زيدا، أخبره: أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال زيد: ذهب بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا زيد، تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب.[٣٩٤]

فإذن كان لدى هذا الغلام من الذكاء والفهم الذريع ما تعلم به لغة قوم من الكفار غير لغته؛ ليخدم الدين، وليكون كاتباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كتب اليهود المرسلة إليه، ويجيب له عليها.

٢- عيسى العوام رحمه الله: وقد تستغربون المواهب التي قد يبدع فيها البعض، ويبرع فيها فيسخرها لخدمة الدين كيف تكون! قال ابن شداد رحمه الله في إحدى الوقائع التي كانت بين صلاح الدين والنصارى: ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها أن عواماً مسلماً كان يجيد العوم، يقال له: عيسى العوام وكان يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات على ظهره ليلاً على غرة من العدو – البلد

---

[٣٩٤] – مسند أحمد (٣٥/ ٤٩٠)أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٥٨ – ٣٥٩، والبخاري في "تاريخه" ٣/ ٣٨٠ – ٣٨١،

المسلمة كانت محاصرة بسفن العدو كانوا ينتظرون المدد ورسائل صلاح الدين التي يخبرهم فيها ماذا سيعملون ويمدهم بالنفقات لدعم الجهاد – فكان هذا الغواص المسلم يدخل من تحت سفن الأعداء ثم يخرج بعدها، ويدخل البلدة المسلمة وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر لمراكب العدو، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار، وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه، ولكن الله قدر أن يموت هذا الرجل وهو جندي في وسط المعركة يخدم الدين، وأبطأ خبره عنا فاستشعر الناس هلاكهم ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد وإذا البحر قد قذف إليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام. ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين. فما رُؤِيَ من أدى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته إلا هذا الرجل[٣٩٥]

فإذن: حتى الغواصين والغطاسين كانوا يستغلون هذه الموهبة لنصرة الدين.

٣- ولما دخل رسول الله المدينة توزعت الطاقات، واستغلت المواهب: فهذا بلال يؤذن، وسعد وغيره لحراسة الرسول صلى الله عليه وسلم في مبدأ الأمر. وزيد وغيره لكتابة الوحي والرسائل، وخالد وغيره للقيادة. خالد الذي كان مبدعاً في القيادة استغل طاقته في أي شيء؟ استلم مباشرة الجيوش يقودها في سبيل الله، وحسان، وكعب، وابن رواحة للقيام بالدور الإعلامي المطلوب لخدمة الإسلام.

وابن مسعود صاحب النعلين والمطْهَرة؛ لأنه كان فقيها شديد التعلم كان يسأل رسول الله.. حتى في الأشياء الدقيقة ليتعلم.. وسلمان يدل على فكرة الخندق لما احتاج المسلمون.. ونعيم بن مسعود الثقفي يعرض خدماته لما أسلم.. وأبو طلحة يأتي رسول الله بتبرع سخي بستان كبير، يقول: يا رسول الله ضعها حيث أراك الله.

ووضع التجار إمكاناتهم لنصرة الدين: فهذا عثمان رضي الله عنه يحفر بئراً على نفقته، ويجهز جيش العسرة على نفقته، ويفك أزمة المسلمين في وقت شدة بأن تبرع بالدواب التي حملت التجارة

---

[٣٩٥] -(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)

له بما عليها للمسلمين.. والملاحظ في السيرة النبوية أن هذا الاستغلال والتوزيع لم يظهر بشكل واضح إلا في المجتمع المدني بعد إرساء القاعدة الصلبة والهجرة إلى المدينة.

الحرص على توفير الكفاءات التي يحتاج إليها المجتمع المسلم، وقبل ذلك توفير الكفاءات الشرعية التي يتربى الناس عليها: وإلا فما الفائدة من الأطباء والمهندسين إذا كانت قلوبهم خاوية على عروشها من الإيمان والعقيدة الصحيحة. وانظر إلى الغثاء المتدفق من أجيال البعثات على بلاد المسلمين – كثير منهم ممن جاءوا من الغرب، أو الشرق قد أصبحوا حرباً على الإسلام وأهله – فليست القضية مجرد كفاءات علمية، وليست القضية مهارة في الأمور الدنيوية.. قبل ذلك لا بد أن تعمر القلوب بالإيمان، وأن تتربى النفوس، وإلا فإن هذه الطاقات ستستخدم في حرب الإسلام ولو كان أصحابها عبد الله ومحمد وأحمد.

ثم إنه – تعالى – أوصانا بالعمل جميعاً، فقال: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]؛ فالعمل لهذا الدين مسؤولية الجميع.

أيا صاحِ هذا الركب قد سار مسرعاً ونحن قعود ما الذي أنت صانع؟

أترضى بأن تبقى المخلَّفَ بعدهم صريعَ الأماني والغرام ينازع[٣٩٦]

[٣٩٦] – المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى

الفهرس

المقدمة ٣

الحقوق العشر للوطن في الإسلام..... ٥

القول الجلي في بيان متطلبات الولاء والانتماء الوطني..... ١٦

أثر الوطن والاستيطان في العبادات والقربات..... ٢٢

القول الجلي في بيان أسباب النهوض بالمنتج الوطني..... ٢٩

سمات وسلوك الشخصية الوطنية في ضوء الشرع الحنيف..... ٤١

الحفاظ على الأوطان من المعاصي التي تدمر البلدان..... ٤٩

الصوارم الحسان للدفاع عن الأوطان..... ٥٧

الحب في الله وأثره في الأمن المجتمعي..... ٦٨

التعاون في حياة الأنبياء والصالحين من القيم المجتمعية الراقية..... ٧٦

عشر صور للاعتداء على المال العام..... ٨٤

محو الأمية قضية إسلامية وضرورة حياتية..... ٩٢

الاهتمام بالشأن العام للأمة..... ١٠١

علو الهمة وصلابة الإرادة في مواجهة الأزمات.....١١١

البناء الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي.....١١٨

بناء النبي صلى الله عليه وسلم لوعي الأمة وأثره في مواجهة التحديات.....١٢٧

بريق الجُمان في بيان عقد الأمان.....١٣٥

تقديم المصلحة العامة على الخاصة.....١٤٤

تحفة العمال بثمرات إتقان الأعمال.....١٥١

من أصول البر الإيمان بالملائكة وأثره على أمن وسلامة الأوطان.....١٥٨

القول السديد في بيان صفات الشهيد.....١٦٧

العقد الفريد في بيان منزلة الشهيد وأحكام.....١٧٧

رسالة من الشهداء إلى جموع الأمة الإسلامية.....١٩١

ملياردير الصحابة عبد الرحمن بن عوف ودوره في الأزمات.....١٩٧

نبي الله لوط عليه السلام ومواجهته للفساد الأخلاقي.....٢٠٤

إعلام الأنام بأخلاق الحرب في الإسلام.....٢١٣

أمانة الصانع والتاجر وأثرها على الفرد والمجتمع.....٢٢٠

تطهير البلاد من أدران وبؤر الفساد.....٢٣٠

تحذير الأجيال من خطورة الإهمال.....٢٤٤

التحذير من الكسل والحث على البناء والتعمير.....٢٥٤